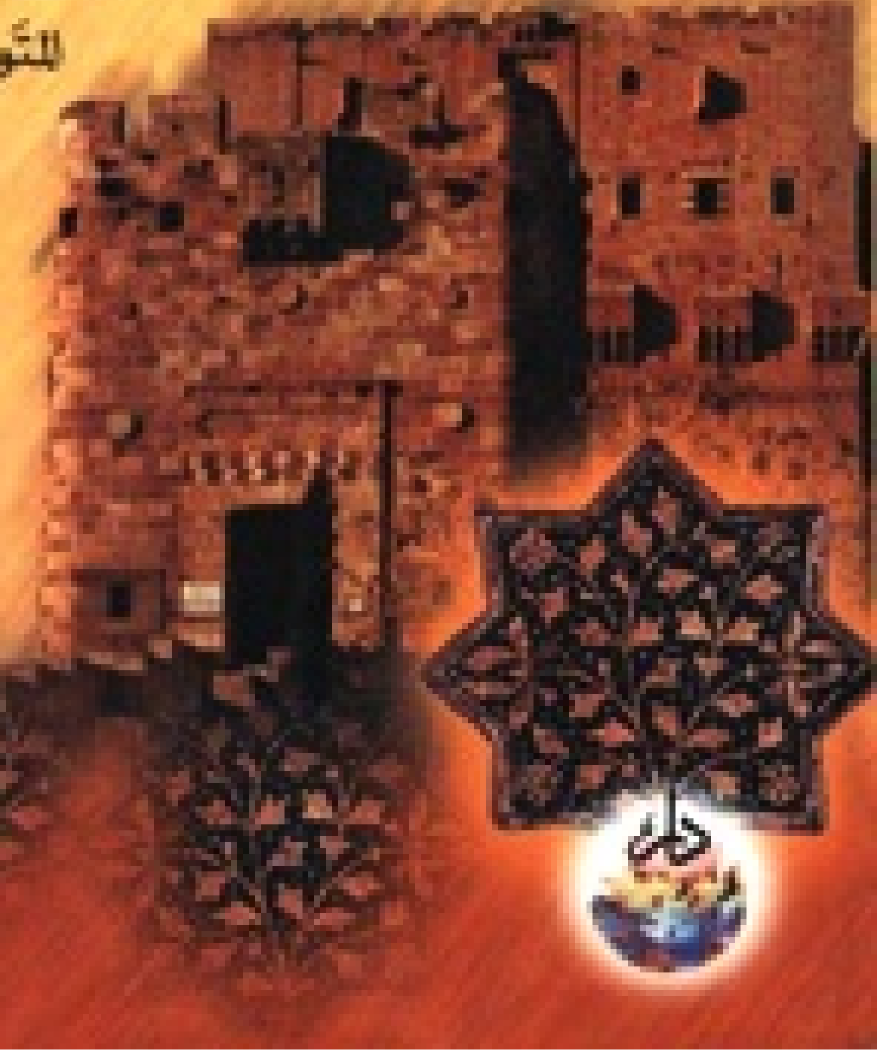
زبدة الحلب من تاريخ حلب

للصاحب كمال الدين
عمر بن أحمد بن أبي جرادة
المتوفى سنة ٦٦٠هـ

حققه وقدم له
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الثاني



بسم الله الرحمن الرحيم

زبده الحلب من تاريخ حلب

كاتب:

كمال الدين عمر بن احمد بن ابى جراده حلبى (ابن العديم)

نشرت فى الطباعة:

دار الكتاب العربى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

زبده الحلب من تاريخ حلب المجلد ۲

اشاره

سرشناسه : ابن عدیم، عمر بن احمد، ۵۸۸-۶۶۰ق.

عنوان و نام پدیدآور : زبده الحلب من تاریخ حلب/ کمال الدین عمربن احمدبن ابی جراده؛ حققه و قدم له سهیل زکار.

مشخصات نشر : بیروت: دار الکتاب العربی، ۱۴۱۸ ق.= ۱۹۹۷ م.= ۱۳۷۶ -

مشخصات ظاهری : ج.: نمونه.

وضعیت فهرست نویسی : برون سپاری.

يادداشت : عربی.

يادداشت : ج. ۲(چاپ اول: ۱۴۱۸ ق.= ۱۹۹۷ م.= ۱۳۷۶).

يادداشت : کتابنامه.

يادداشت : نمایه.

موضوع : حلب (سوریه) --تاریخ

موضوع : حلب (سوریه) -- اوضاع اجتماعی

شناسه افزوده : زکار، سهیل

رده بندی کنگره : DS۹۹/ح ۸الف ۲۴ ۱۳۷۶

رده بندی دیویی : ۹۵۶/۹۱۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۸-۲۶۸۰۷

ص: ۱

اشاره

ص: ٢٣٣

[عصر الدوله الأتابكيه]

[عماد الدین زنکی]

[عصر الدوله الأتابکیه](۱)

و قیل: إنّ ختلغ أبه لم یزل بالقلعه حتی وصل أتابک فنزل إلیه.

و صعد أتابک إلی القلعه، یوم الاثنین سابع عشر جمادی الآخره، من سنه اثنتین و عشرین و خمسمائه، و ارتاد موضعا ینقل أباه قسیم الدّوله إلیه و یدفنه به، و کان مدفونا بالقبّه التی علی جبل قرنبیا، فعرض علیه بدر الدّوله نقل أبیه إلی المدرسه التی أنشأها بالزّجّاجین.

و قیل: إنّ أبا طالب بن العجمی طلب منه ذلک، فنقله و رفعه فی اللّیل من سور حلب، و دفنه فی البیت الشّمالی من المدرسه(۲)، و اتّخذه تربه لمن یموت من أولاده و وقف علی المقرئین علی تربه والده القریه المعروفه بشامر(۳).

۱- أضیف ما بین الحاصرتین للتوضیح.

۲- انظر الآثار الاسلامیه ص ۹۰- ۹۱.

۳- تبعد شامر عن مدینه حلب مسافه ۱۲ کم و هی من قری منطقه جبل سمعان.

و أما الملک ابراهیم بن رضوان فإنّه هرب منه إلی نصیبین، و کانت فی أقطاعه إلی أن مات.

و أما ختلغ أبه فانه سلّمه إلی فضائل بن بدیع فکحله(۱) بداره، ثم قتله أتابک بعد ذلک.

و قیل: إنّ بدر الدّوله هرب منه عند ذلک؛ و هرب فضائل بن بدیع إلی قلعه ابن مالک خوفا من أتابک.

و ولّی أتابک رئاسه حلب الرئیس صفیّ الدّین أبا الحسن علی بن عبد الرّزّاق العجلانی البالسیّ، فسلک أجمل طریقه مع النّاس.

و خرج أتابک من حلب، و سار حتّی نزل أرض حماه، فوصله صمصام الدّین خیر خان بن قراجا، و تأكّدت بینهما مودّه لم تحمد عاقبتها- فیما نذکره بعد- و کذلک وصله سونج ابن تاج الملوک.

ثم سار أتابک(۲) بعد ذلک، فوطیء بساط السّلطان، فی سنه ثلاث و عشرین و خمسمائه؛ و عاد بالتّواقیع السلطانیّه بملک الغرب کله، و دخل الموصل، ثم فتح قلعه السّنّ(۳)، و توّجه إلی حلب، و رعی عسکره زرع الرّها.

و عبر أتابک الفرات إلی حلب بتوقیع السّلطان محمود، و قد کان السلطان آثر أن تکون البلاد لدبیس، فقبّح المسترشد ذلک، و کاتب

۱- التکحیل هنا: امرار میل محمی علی الجفنین حتی یلتصقا.

۲- لزنکی ترجمه جیده فی بغیه الطلب ص ۳۸۴۵- ۳۸۵۷.

۳- السن مدینه علی دجله فوق تکریت عند مصب الزاب الأسفل. معجم البلدان.

السّلطان و قال له فيما قال: إنّ هذا أعان الفرنج على المسلمين و كثر سواد الكفار؛ فبطل هذا التدبير.

و استقرّ ملك أتابك بالموصل، و الجزيره، و الرّحبه، و حلب، و التوقيع له بجميع البلاد الشّاميّه و غيرها.

و تزوّج أتابك خاتون بنت الملك رضوان، و بنى بها فى دير الزّبيب(۱)؛ و كانت معه إلى أن فتح الخزانه بحلب، و اعتبر ما فيها، فرأى الكبر(۲) الّذى كان على أبيه أقسنقر، حين قتله تتش جدّها، و هو ملوّث بالدّم، فهجرها من ذلك اليوم.

و قيل: إنّه هدم المشهد الّذى على قبر رضوان، عند ذلك.

و دام أتابك مهاجرا لها إلى أن دخلت على القاضى أبى غانم قاضى حلب؛ و شكت حالها، فصعد إليه، و كان جبارا إلّا أنه ينقاد إلى الحقّ، و إذا خوّف باللّه خاف، فخرج ليركب، فلما ركب ذكر له القاضى ما ذكرته خاتون، فساق دابّته أتابك، و لم يردّ عليه جوابا، فجذب القاضى أبو غانم بلجام دابته، فوقفت، و قال له: «يا مولانا، هذا الشّرع لا ينبغى العدول عنه»، فقال له أتابك: «اشهد علىّ أنّها طالق»، فأرسل اللجام و قال: «أمّا السّاعه فنعم!».

۱- خارج مدينه حلب. بغيه الطلب ص ۳۸۵۲.

۲- الكبر: قباء محشو يتخذ للحرب. المعرب للجواليقى ص ۲۵۲. الحاشيه ۲.

و استوحش الأمير سوار بن أيتكين من تاج الملوك بورى صاحب دمشق، و كان فى خدمته، فورد إلى حلب إلى خدمه أتابک، فى سنه أربع و عشرين، فأكرمه و شرّفه، و خلع عليه، و أجرى له الإقطاعات الكثيره، و أعطاه ولايه حلب و أعمالها، و اعتمد عليه فى قتال الفرنج، و كان له بصيره بالحرب و تدبير الأمور؛ و له وقعات كثيره مع الفرنج و مواقف مشهوره أبان فيها عن شجاعه و إقدام، و صار له بسببها الهيبه فى قلوب الكفّار الأغتام.

و عزم أتابک فى السّنه على الجهاد، و كتب إلى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق، يلتمس منه المساعده، فأجابه إلى ذلك و تحالفا على الصّفاء.

و كتب تاج الملوك إلى ولده بهاء الدين سونج بحماه، يأمره بالخروج بعسكره، و جهّز إليه من دمشق خمسمائه فارس، و جماعه من الأمراء مقدّمهم شمس الخواص؛ فخرجوا حتّى وصلوا إلى مخيّم أتابک على حلب، فأكرمهم و تلقّاهم، و أقاموا عنده ثلاثا، ثم أظهروا الغاره على عزاز، و ركبوا و عطفوا على سونج، و غدر به و بأصحابه، و نهب خيامهم و أثقالهم و كراعهم، و هرب بعضهم، و قبض على سونج و الباقين، و حملهم إلى حلب، و اعتقلهم فيها.

و سار من يومه إلى حماه فأخذها يوم السّبت ثامن شوال، و أقام بها أياما، و طلبها خير خان بن قراجا صاحب حمص، و بذل عليها مالا، فسلّمها إليه بكره الجمعه رابع عشر شوال، و ضربت بوقاته عليها، و خطب

له الخطيب على المنبر، فلمّا كان وقت العصر من ذلك اليوم قبض عليه و نهب خيامه و جميع ما فيها.

و سار فنزل حمص، فقاتلها أربعين يوما لم يظفر فيها بطائل غير الربض، و كان يربط خير خان على غراير التّبن، و يعاقبه و يعذّبه أنواع العذاب، و انتقم اللّه منه ببعض ظلمه فى الدّنيا، و هو كان يحرّض أتابك على الغدر بسونج، فكأفأه اللّه(۱).

و هجم الشّتاء فعاد أتابك إلى حلب فى ذى الحجّه.

و ملكت أنطاكيه زوجه البيمند بنت بغدوين، و حالفت جماعه من الفرنج على قتال أبيها، و وقع بين الفرنج شرّ(۲).

و هجم المسلمون ربض الأثارب، و ربض معرّه مصرين؛ فوصل بغدوين من البيت المقدّس، و أغار على أنطاكيه و أخذ قوما من أصحاب ابنته، فقطع أيديهم و أرجلهم.

و فتح قوم من السر جنديه(۳) باب أنطاكيه، فدخلها فى سنه خمس و عشرين، فطرحت ابنته نفسها عليه، فصفح عن ذنبها، و أخذ أنطاكيه، و وهبها جبله و اللّاذقيه، و عاد إلى القدس.

۱- انظر تاريخ ابن القلانسى ص ۳۶۱- ۳۶۲(حوادث سنه ۵۲۴ ه).

۲- انظر وليم الصورى ص ۶۵۸- ۶۶۰.

۳- غالبا ما كان السرجنديه من المشاه ذوى التسليح الثقيل و ممن كانت الكنيسه تتولى الإنفاق عليهم.

و توجّه أتابك إلى الموصل فى سنه خمس و عشرين و خمسمائه، و استصحب معه سونج بن تاج الملوك، و بعض المقدّمين، من عسكر دمشق؛ و ترك الباقين بحلب؛ و تردّدت المراسلات فى إطلاقهم، فلم يفعل؛ و التمس عنهم خمسين ألف دينار أجاب تاج الملوك إلى تحصيلها و حملها.

و وقع فى هذه السّنه وقعه بين جوسلين و سوار، بناحيه حلب الشماليّه، فكانت الغلبه لجوسلين؛ و قتل من المسلمين جماعه، و خرج سوار بعد ذلك فهجم ربض الأثارب و نهبه.

[دبيس بن صدفه عند زنكى]

و وصل دبيس فى هذه السنه منهزما من المسترشد، و كان قد كسره عسكر المسترشد فى هذه السّنه، فانهزم و خفى خبره عن كلّ أحد، فظهر بعد مدّه أنّه وصل إلى قلعه جعبر، و أودع ابن السلطان عند مالك صاحبها، و سار إلى جوسلين، و استند إلى الفرنج فلم ير ما يعجبه.

و كاتب تمرتاش ثم خاف من غدره، و أن يفادى به خير خان، فسار إلى بلد دمشق، فنزل ضالا على مكتوم بن حسّان.

و قيل: كان سائرا إلى صاحبه صرخد ليتزوّجها، فضلّ فى الطريق، و لم يكن معه دليل عارف بالمناهل.

و قيل: كان قاصدا حلّه مرى، فهلك أكثر أصحابه.

و حصل فى حلّه حسان كالمنقطع الوحيد فى نفر يسير من أصحابه،

فأنهض تاج الدّوله بوری العسکر إلیه حینما سمع به، فأسره، و وصلوا به إلی دمشق، لستّ خلون من شعبان سنه خمس و عشرین(۱)؛ و أنزله فی دار بقلعه دمشق، و أکرمه و أضافه، و حمل إلیه من الملبوس و المفروش ما یلیق به، و اعتقله اعتقال کرامه. و کاتب المسترشد فی أمره، فردّ علیه الجواب بالاحتیاط علیه إلی أن یصل من یحمله إلی بغداد.

فلمّا عرف أتابک زنکی ذلک، أنفذ رسوله إلی تاج الملوک یطلب تسلیم دبیس إلیه، و أن یطلق له الخمسین ألف دینار المقرّره عن ولده سونج و بقیّه العسکر، فأجاب إلی ذلک، و تقرّر الشّرط علیه.

و وصل أتابک زنکی إلی قریب قارا بسونج و المعتقلین؛ و توجّه أصحاب تاج الملوک بدبیس فتسلّمه زنکی، و حمله فی محفّه مقیّدا؛ و سلّم سونج بن تاج الملوک و جماعته إلی أصحابه.

و کان یظنّ دبیس أنّ أتابک زنکی یهلکه، فلمّا وصل إلی حلب أطلقه و أکرمه، و أنزله بحلب فی دار لاجین، و أعطاه مائه ألف دینار، و خلع علیه خلعا فاخره(۲).

و کان عرض لدبیس فی طریقه و هو مکبّل بالحدید شاعر امتدحه بأبیات، و لم یکن معه ما یجیزه، فکتب له فی رقعه هذین البیتین، و دفعهما

۱- مری بن ربیعه، و حسان بن مکتوم. انظر بغیه الطلب ص ۳۴۸۱- ۳۴۸۲. تاریخ ابن القلانسی ص ۳۶۶.

۲- انظر بغیه الطلب ص ۳۴۸۲.

إليه:

الجود فعلی و لکن لیس لی مال و کیف یصنع من بالفرض یحتال

فهاک خطّی إلی أیّام میسرتی دینا علیّ فلی فی الغیب آمال

فجاءه الشّاعر بحلب، و قد خرج مسیّرا فی میدان الحصا، فقال له:

«یا أمیر لی علیک دین!» فقال: «و اللّه ما أعرف لأحد علیّ دینا»

فقال: «بلی، و شاهده منک»، و أخرج له خطّه؛ فلمّا وقف علیه قال: «إی و اللّه دین و أیّ دین!» و أمره أن یأتی إلیه إذا نزل، فأتاه فأعطاه ألف دینار و الخلعه التی خلعها أتابک زنکی علیه، و کانت جبّه أطلس و عمامه شرب.

و حصل دبیس بعد ذلک عند السّلطان مسعود، فی سنه تسع و عشرین، حتی کسر مسعود المسترشد و أسره علی باب مراغه(۱).

و سیّر السّلطان إلی أتابک زنکی یستدعیه، فکتب إلی أتابک یعلمه و یحذّره من المجی ء فامتنع، و کان السلطان قد سیّر دبیسا إلی الحلّه، و اطّلع بعد ذلک علی فعل دبیس، فردّه، و حذّره النّاس فلم یفعل فوصل، فلما وصل إلی الخیمه قام السّلطان عن السّریر، و قال: «هذا جزاء من یخون مولاه». و ضرب رأسه فأطاره، فبلغ ذلک زنکی فقال: «فدیناه بالمال و فدانا بالرّوح».

۱- مراغه بلده مشهوره عظیمه و هی أعظم بلاد أذربیجان و أشهرها. معجم البلدان.

و وصل سدید الدّوله بن الأنباریّ کاتب الإنشاء للمسترشد إلی تاج الملوک، فی أواخر ذی القعده لتسلیم دبیس إلی من یحمله إلی بغداد، فوجد الأمر قد فات، فعاد فصادفته خیل أتابک زنکی بناحیه الرّحبه فأوقعوا به، و قبضوه، و نهبوا ما کان معه حتّی نهبوا القافله الّتی کانت معه، و قتل بعض غلمانه، و لقی شدّه عظیمه من الاعتقال إلی أن أطلق، و عاد إلی بغداد.

و فی سنه ست و عشرین و خمسمائه، فتح الملک کلیام رام حمدان(۱)، و سار أتابک و دبیس إلی بغداد، مباینین للمسترشد، و عزما علی أن یهجما بغداد، فبذل لهما الحلّه، و أن یدخل نائبهما بغداد، فأبیا فخرج إلیهما المسترشد بنفسه، و التقوا فی شعبان علی عقرقوف(۲) فکسرهما، و عاد أتابک زنکی إلی الموصل، و سار دبیس إلی السّلطان سنجر.

و وقع بین الفرنج، فی هذه السنه، فتن، و قتل بعضهم بعضا، و قتل صاحب زردنا، و نزل الترکمان علی بلد المعرّه و کفرطاب، و قسموا المغلّات، فاجتمع الفرنج و هزموهم عن البلد، و فتحوا حصن قبّه ابن ملاعب، و أسروا منه بنت سالم بن مالک و حریم ابن ملاعب، و خرّبوا الموضع.

و أوقع الأمیر سیف الدّین سوار بفرنج تلّ باشر، و قتل منهم خلقا کثیرا، و وثب قوم من أهل الجبل علی حصن القدموس، فأخذوه و سلّموه

۱- رام حمدان من قری ناحیه معرتمصرین، محافظه ادلب، و تبعد عن ادلب مسافه ۱۵ کم.

۲- عقرقوف قریه من نواحی دجیل، بینها و بین بغداد أربعه فراسخ.

إلى سيف الملك بن عمرون، فاشتراه أبو الفتح الدّاعى الباطنىّ منه.

و وصل صاحب القدس إلى أنطاكيه، و جمع و خرج إلى نواز، و سار إلى قنّسرين فى جموع الفرنج، و التقوا بعسكر حلب و سوار، و فى سنه ثمان و عشرين فى ربيع الأوّل، فكسروا المسلمين، و قتلوا أبا القاسم التركمانى، و كان شجاعا، و قتلوا القاضى أبا يعلى بن الخشّاب، و غيرهما.

و تحوّل الفرنج إلى النّقره، فصالحهم سوار و العسكر، فأوقعوا بسريّه منهم، فقتلوهم، و عادوا برؤوسهم و أسرى منهم، فسرّ النّاس بذلك بعد مساءتهم بالأمس.

و أغارت خيل الرّها من الفرنج ببلد الشّمال، و هى عابره إلى عساكر الفرنج، فأوقع بهم سوار و حسّان صاحب منبج و قتلوهم بأسرهم و حملوا الرؤوس و الأسرى إلى حلب(۱).

و فتح شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك حماه من يد نائب صلاح الدّين(۲)، و كان قد عزم على ذلك، فتحصّن و اليها، فانتهى ذلك إلى شمس الملوك، فخرج فى العشر الأواخر من شهر رمضان، و عزم على قصدها و النّاس بها غافلون.

و هجم يوم العيد على من فيها و زحف فى الحال فتحصّنوا منه، فعاد فى

۱- انظر ابن القلانسى ص ۳۷۴(حوادث سنه ۵۲۷ ه) مع الحواشى.

۲- صلاح الدين اليغيسيانى، من أكبر شخصيات دوله زنكى.

ذلک الیوم، و قد نکا أصحابه فی أهلها، ثمّ زحف علیها زحفا قویا، فانهزموا بین یدیه، و هجم البلد فطلبوا الأمان فأمّنهم، و حلّفه و الی القلعه علی أشیاء اقترحها، و أجابه إلیها و سلمها إلیه، فسلّمها إلی شمس الخواصّ.

و حصر المسترشد الموصل، و ثارت الحروب بین السّلاطین، فبلغ المسترشد ما أزعجه، فعاد عنها، فوصل حسام الدّین تمرتاش إلی خدمه أتابک زنکی، فسار معه إلی لقاء داود بن سکمان بن أرتق، فکسره أتابک بباب آمد، و انهزم داود و أسر ولده، و قتل جماعه من أصحابه، و ذلک فی یوم الجمعه سلخ جمادی الآخره.

و نزل علی آمد و حصرها، و قطع شجرها، فصانعه صاحبها بمال، فرحل عنها إلی قلعه الصّور ففتحها، و فتح البارعیّه، و جبل جور، و ذا القرنین، و وهب ذلک کلّه لحسام الدّین تمرتاش، و فتح طنزه فاستبقاها لنفسه(۱).

و تزوّج أتابک صاحبه خلاط ابنه سقمان القطبی.

و استولی أتابک علی العقر(۲) و شوش(۳) و غیر ذلک من قلاع الأکراد؛

۱- أتی ابن الأزرق الفارقی علی ذکر تفاصیل هذه الحوادث، انظر ص ۵۲۵۰ مع التعریف بالأماکن الجغرافیه.

۲- عقر الحمیدیه قلعه حصینه کانت للأکراد ببلاد الموصل- الأعلاق الخطیره- قسم الجزیره- ص ۸۱۱.

۳- عند ابن الأزرق« تل شیح» و وافقت روایه ابن العدیم هنا روایه ابن الأثیر ج ۸ ص ۳۴۳.

و أغار فی هذه السّنه سوار علی الجزر و حصن زردنا، و أوقع بالفرنج علی حارم، و شحن علی بلد المعرّتین، و عاد بالغنائم إلی حلب.

و استوزر زنکی فی هذه السّنه ضیاء الدین أبا سعد الکفرتوثی، و کان مشهورا بحسن الطّریقه و الکفایه و حبّ الخیر و المذهب الحمید، و قدم معه إلی حلب، و عزم علی قصد دمشق و مضایقتها.

و ذکر العظیمیّ فی تاریخه: «أنّه حصرها فی هذه السّنه مدّه(۱)، ثمّ رحل إلی حلب، ثمّ شرّق إلی الموصل».

و الصحیح: أنّه حصرها فی سنه تسع و عشرین و خمسمائه.

[مقتل اسماعیل بن بوری]

و ذلک أنّ صاحبها شمس الملوک أبا الفتح اسماعیل بن بوری، انهمک فی المعاصی و القبائح، و بالغ فی الظّلم، و أعرض عن مصالح الدّین و النظر فی أمور المسلمین، بعد اهتمامه أوّلا بذلک.

و استخدم بین یدیه رجلا کردیا- یعرف ببدران الکافر- جاءه من بلد حمص، و کان قلیل الدّین متنوّعا فی أبواب الظلم، لیس فی قلبه لأحد رحمه، فسلّطه علی ظلم المسلمین و مصادره المتصرّفین بأنواع قبیحه من الظّلم، و ظهر منه بخل عظیم و سفّت نفسه إلی تناول الدنایا و غیر ذلک من الأفعال الذّمیمه.

۱- أی سنه ۵۲۸ ه، انظر تاریخ حلب للعظیمی- ط. دمشق ۱۹۸۵ ص ۳۸۶، و عند ابن القلانسی ص ۳۹۰- ۳۹۲ بین حوادث السنه التالیه ۵۲۹ ه.

و عزم على مصادره كتّابه و حجّابه و أمرائه، فخاف منه أصحابه، و استشعروا منه، و وقعت الوحشه بينهم.

و عرف عزم أتابک زنكى على قصد دمشق، و أنه متى وصلها سلّمت إليه، فكاتب أتابک زنكى و حثّه على سرعه الوصول إليها ليسلّمها إليه طوعا، و شرط عليه أن يمكّنه من الانتقام من كلّ من يكرهه من المقدّمين و الأمراء و الأعيان، و كرّر المكاتبه إليه فى ذلک، و قال: «إن أهملت هذا الأمر استدعيت الفرنج و سلّمت دمشق إليهم، و كان إثم المسلمين فى عنقک».

و شرع فى نقل أمواله و أحواله إلى صرخد: فظهر هذا الأمر لأصحابه، فأشفقوا من الهلاک و أعلموا والدته زمرّد خاتون بذلک، فقلقت له، و حسّنوا لها قتله، و تمليک أخيه شهاب الدّين محمود؛ فرجح ذلک فى نظرها، و عزمت عليه، فانتظرت وقت خلوته من غلمانه و سلاحيّته، و أدخلت عليه من أصحابها من قتله.

و أخرجته فألقى فى ناحيه من الدّار ليشاهده غلمانه و أصحابه فسرّوا بذلک، و ذلک فى يوم الأربعاء الرّابع عشر من شهر ربيع الآخره، سنه تسع و عشرين و خمسمائه.

و قيل: إنّه اتّهم يوسف بن فيروز حاجب أبيه بوالدته، فهرب منه إلى تدمر، فأراد قتل أمّه، فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه، و أجلست والدته

مکانه أخاه شهاب الدّین محمود بن بوری(۱)، و حلف النّاس له. و توجّه أتابک زنکی من الموصل مجدّا لیتسلّم دمشق من شمس الملوک، فوصل إلی الرّقه و قال: «أشتهی أن أدخل الحمام». فأحضر صلاح الدّین مسیّب بن مالک صاحب الرّقه، و قال له: «أتابک یشتهی دخول الحمّام، و هذه خمسمائه دینار تسلّمها و اعمل له بها دعوه» فلم یشکّ فی ذلک، و دخلوها، فلما حصلوا بها أخذوها منه، و ذلک فی العشرین من شهر ربیع الآخر.

و بلغه ما جری بدمشق، فلم یقطع طمعه فیها، و سار فنزل العبیدیه(۲)، و راسل أهل دمشق، فلم یجیبوه إلی مطلوبه، و ردّوا علیه جوابا خشنا، یتضمّن أنّ الکلمه قد اتّفقت علی حفظ الدّوله و الذبّ عنها، فلم یحفل بذلک.

و سار إلی حماه فخرج إلیه شمس الخواص بعد أن توثّق منه بالأیمان، و رحل إلی دمشق، و سار إلیها، فنزل علی دمشق فی عسکر عظیم، و زحف علیها مرارا متعدّده، فلم یظفر فیها بطائل، و اشتدّ الغلاء فی العسکر، و عدموا القوت، و قفز جماعه من العسکر إلی دمشق، و وقعت المراسله فی حدیث الصلح، و کان قد وصل مع أتابک بعض أولاد السّلطان فطلب أن یخرج شهاب الدّین محمود لوطء بساط ولد السّلطان، فلم یفعل.

و اتّفق الأمر علی خروج أخیه تاج الملوک بهرام شاه، و اتّفق عند ذلک

۱- لمزید من التفاصیل انظر القلانسی ص ۳۸۷- ۳۹۰.

۲- فی ابن القلانسی ص ۳۹۱:« وخیم بأرض عذراء إلی أرض القصیر».

وصول بشر بن بشر كريم بن بشر رسولا ـ من المسترشد إلى زنكى بخلع هيّئت له؛ و تقدّم إليه بالرّحيل عن دمشق و الوصول إلى العراق، ليولّيه أمره و تدبيره، و أن يخطب للسّلطان ألب أرسلان داود بن محمود المقيم بالموصل- و كان قد وصل هاربا من بين يدى عمّه السّلطان مسعود- فأكرمه أتابك.

فدخل الرّسول و بهاء الدّين بن الشهرزورىّ إلى دمشق، و قرّرا هذه القاعده و أخمدا الفتنه، و أكّدا الأيمان؛ و خطب يوم الجمعه الثّامن و العشرين من جمادى الأولى بجامع دمشق بحضورهما، على القاعده الّتى وصل فيها الرّسول(۱).

و عاد أتابك من دمشق، فلمّا وصل حماه قبض على شمس الخواص صاحبها، و أنكر عليه أمرا ظهر منه، و شكا أهلها من نوّابه فتسلّمها منه، و أطلقه فهرب، وردّ حماه إلى صلاح الدّين و رحل من حماه.

و سار إلى بلد حلب، فنزل على الأثارب، ففتحها أوّل رجب، ثمّ فتح زردنا، ثم تلّ أعذى، ثمّ فتح معرّه النّعمان، و منّ على أهلها بأملاكهم، ثمّ فتح كفر طاب و نزل على شيزر فخرج إليه أبو المغيث بن منقذ نائبا عن أبيه، ثمّ نزل بارين(۲) و أظهر أنّه يحاصرها، ثمّ سار، و أهل حمص غارون، فشنّ عليهم الغاره، و استاق كلّ ما كان فى بلدها و نهبهم.

۱- لمزيد من التفاصيل انظر ابن القلانسى ص ۳۹۲.

۲- تعرف الآن باسم بعرين و هى من قرى منطقه مصياف فى محافظه حماه و تبعد عن حماه مسافه ۴۲ كم.

و وصل ابن الفنش الفرنجی من بیت المقـدس و خرج فی جموع الفرنـج، فنزل قنّسـرین، فسار إلیهم أتابک فأحسن التّـدبیر، و ما زال بالمسلمین حولهم حتی عادوا إلی بلادهم.

[استیلاء زنکی علی حماه]

و سار زنکی إلی حمص فأحرق زرعها، و قاتلها فی العشر الأواخر من شوّال، ثمّ سار إلی الموصل فی ذی القعده من هذه السّنه.

[مسیر زنکی إلی بغداد]

و سار منها فی المحرّم من سـنه ثلاثین و خمسمائه إلی بغداد، و معه داود بن محمود بن ملکشاه الواصل إلیه إلی الموصل، فأنزله فی دار السّلطنه ببغداد، و أتابک فی الجانب الغربیّ، و الخلیفه إذ ذاک الرّاشد بعد قتل المسترشد.

فوصل السّـلطان مسـعود إلی بغداد فحصـرهم بها فوقع الوباء فی عسکره، فسار إلی أرض واسط لیعبر إلی الجانب الغربیّ، فاغتنم أتابک غیبته، و سار إلی الموصل، و سار داود إلی مراغه.

و بلغ الخبر السّلطان مسعود فعاد، فهرب الرّاشد، و لحق أتابک بالموصل. و دخل مسعود بغداد، فبایع محمد المقتفی، و خطب له ببغداد و أعمال السّـلطان، و بقیت الخطبه بالشّام و الموصل علی حالها إلی أن اتّفق أتابک زنکی و السّلطان مسعود و اصطلحا، و خطب بالشام و الموصل للمقتفی و لمسـعود. و فارق الرّاشـد إذ ذاک زنکی، و سار عن الموصل إلی خراسان فی سـنه إحـدی و ثلاثین(۱).

۱- عاصر ابن الأزرق الفارقی هذه الأحداث و مواده علی درجه عالیه من الأهمیه، انظر الموسوعه الشامیه ص ۵۲۲۶- ۵۲۴۹.

و سار سیف الدّین سوار فی سنه ثلاثین و خمسمائه فی جمع من التركمان یبلغ ثلاثه آلاف إلی بلد اللّاذقیّه، و أغار علی الفرنج علی غرّه و قلّه احتراز، فعادوا و معهم ما یزید علی سبعه آلاف أسیر، ما بین رجل و امرأه و صبی و صبیّه و مائه ألف رأس من البقر و الغنم و الخیل و الحمیر، و الّذی نهبوه- علی ما ذكر- مائه قریه و امتلأت حلب من الأساری و الدّواب، و استغنی المسلمون بما حصل لهم من الغنائم.

و وصل أتابك زنكی من الموصل إلی حلب، فی رابع و عشرین من شهر رمضان سنه إحدی و ثلاثین، و سیّر صلاح الدّین فی مقدمته، فنزل حمص، و سار أتابك إلی حماه، و عیّد عید الفطر فی الطّریق، و أخذ من حلب معه خمسمائه راجل لحصار حمص.

و رحل أتابك من حماه إلی حمص فی شوال و بها أنر(۱) من قبل صاحب دمشق، فحصرها مدّه.

و خرج الفرنج نجده لحمص و غیله لزنكی، فرحل عن حمص،

[استیلاء زنكی علی بارین]

و لقیهم تحت قلعه بارین، فكسرتهم طلائع زنكی مع سوار، فأفنوا عامّتهم قتلا و أسرا، و قتل أكثر من ألفین من الفرنج، و نجا القلیل منهم، فدخل إلی بارین مع ملكهم كندیاجور(۲) صاحب القدس؛ و أقام الحصار علی بارین

۱- المعلومات لدی ابن القلانسی أوسع ص ۳۹۷- ۳۹۸، و سیكون لمعین الدین أنر دور السیاده فی دمشق حتی وفاته فبعد وفاته بقلیل سقطت- كما سنری- لنور الدین محمود بن زنكی. انظر تاریخ ابن القلانسی ص ۴۱۵.
۲- هو فولك أوف آنجو. انظر تاریخ ولیم الصوری ص ۶۸۶- ۶۸۹.

بعشر مجانیق لیلا و نهارا، ثمّ تقرّر الصلح فی العشر الأواخر من ذی القعده علی التّسلیم بعد خراب القلعه.

و خلع علی الملک و أطلق، و خرج الفرنج منها، و تسلّمها زنکی، و عاد إلی حلب.

و استقرّ الصلح بین أتابک و صاحب دمشق، و تزوّج أتابک خاتون بنت جناح الدّوله حسین، علی ید الإمام برهان الدّین البلخی، و دخل علیها بحلب فی هذه السّنه.

[وصول ملک الروم إلی انطاکیه]

و وصل فی هذه السّنه ملک الروم کالیانی(۱) من القسطنطینیه فی جموعه، و وصل إلی أنطاکیه فخالفه الفرنج- لطفا من اللّه تعالی- و أقام إلی أن وصلته مراکبه البحریّه بالأثقال و المیره و المال، فاعتمد لاون بن دوبال(۲) صاحب الثّغور فی حقّه فتحا عظیما.

و تخوّف أهل حلب منه فشرعوا فی تحصینها و حفر خنادقها، فعاد إلی بلاد لاون ففتحها جمیعها، فدخل إلیه لاون متطارحا، فقال: «أنت بین الفرنج و الأتراک لا یصلح لک المقام»، فسیّره إلی القسطنطینیه، و أقام فی عین زربه و أذنه و الثّغور، مدّه الشتاء.

و کان فی عوده عن أنطاکیه إلی ناحیه بغراس(۳) فی الثّانی و العشرین من

۱- هو یوحنا بن ألکسیوس کومنین. انظر تاریخ ولیم الصوری ص ۶۸۴- ۶۸۶.

۲- ملک دوله أرمینیه فی کلیکیه.

۳- وصف ابن العدیم کل من عین زربه و المصیصه و بغراس و مدن الثغور الأخری فی کتابه بغیه الطلب ص ۱۵۱- ۱۷۲.

ذی الحجه من سنه إحدی و ثلاثین، أنفذ رسوله إلی زنکی، و ظفر سوار بسریّه وافره العدد من عسکره، فقتل و أسر، و دخل بهم إلی حلب.

و وصل الرّسول إلی زنکی، و هو متوجّه إلی القبله فردّه و معه هدیه إلی ملک الروم: فهود و بزاه و صقور، علی ید الحاجب حسن، فعاد إلیه و معه رسول منه و أخبره بأنّه یحاصر بلاد لاون، فسار إلی حماه، و رحل إلی حمص فقاتلها.

ثم سار فی نصف المحرّم من سنه اثنتین و ثلاثین فنزل بعلبک، و أخذ منها مالا، و سار إلی ناحیه البقاع فملک حصن المجدل(۱) من أیدی الدمشقیین، و دخل فی طاعته ابراهیم بن طرغت والی بانیاس.

و شتی أتابک زنکی بأرض دمشق، و ورد علیه رسول الخلیفه المقتفی و السلطان مسعود بالتّشریف، ثمّ رحل أتابک عن دمشق فی شهر ربیع الآخر، و عاد إلی حماه، ثمّ رحل عنها إلی حمص، فخیّم علیها، و جرّد من حلب رجالا لحصارها، و جمع علیها جموعا کثیره، و هجم المدینه، و کسر أهلها و نال منهم منالا عظیما.

و نقض الفرنج الهدنه الّتی کانت بینهم و بین زنکی علی حلب، و أظهروا العناد، و قبضوا علی التّجار بأنطاکیه و السّفار من أهل حلب، فی جمادی الأولی من السّنه، بعد إحسانه إلیهم و اصطناعه لمقدّمیهم، حین

۱- فی تقویم البلدان ص ۲۳۰. و بالقرب من عین الجرضیعه تعرف بالمجدل و هی علی الطریق الآخذ من بعلبک علی وادی التیم. هذا و تعنی کلمه مجدل: حصن.

أظفره اللّه بهم، و انضافوا إلى ملك الرّوم كاليانى.

و ظهر ملك الرّوم بغته من طريق مدينه البلاط، يوم الخميس الكبير من صومهم؛ و نزل يوم الأحد يوم عيد النّصارى، و هو الحادى و العشرون من شهر رجب، على حصن بزاعا.

و انتشرت الخيل بغته فلطف اللّه بالمسلمين، فرأوا رجلا من كافر ترك(۱) و معه جماعه منهم، قد تاهوا عن عسكر الروم، و أظهروا أنّهم مستأمنه و أنذروا من بحلب بالرّوم.

فتحزّر النّاس و تحفّظوا، و كاتبوا أتابك زنكى بذلك، فوصله الخبر و هو على حمص، فسيّر فى الحال الأمير سيف الدّين سوار و الرّجاله الحلبّيين و خمسمائه فارس، فى أربعه من الأمراء الاصفهسلاريّه(۲) منهم زين الدّين على كوچك، فقويت قلوب أهل حلب بهم، و وصلوا فى سابع و عشرين من رجب.

و أمّا الرّوم فإنّهم حصروا حصن بزاعا، و قاتلوه سبعه أيّام، فضعفت قلوب المسلمين، و كان الحصن فى يد امرأه فسلّموه إلى الرّوم بالأمان، بعد أن توثّقوا منهم بالعهود و الأيمان، فغدروا بهم، و أسروا من بزاعا سته آلاف مسلم أو يزيدون؛ و أقام الملك بالوادى يدخّن على مغاير الباب عشره أيّام، فهلكوا بالدخان.

۱- استخدمت بيزنطه أعدادا كبيره من العناصر التركيه الوثنيه بمثابه مرتزقه فى جيوشها.

۲- القاده الكبار.

ثم رحل فنزل يوم الأربعاء الخامس من شعبان، بأرض الناعوره، ثمّ رحل يوم الخميس سادس شعبان، و معه ريمند صاحب أنطاكيه و ابن جوسلين، فنزل على حلب و نصب خيمته من قبليّها على نهر قويق، و أرض السعدى، و قاتل حلب يوم الثّلاثاء من ناحيه برج الغنم(۱) و خرج إليهم أحداث حلب، فقاتلوهم و ظهروا عليهم، و قتل من الرّوم مقدّم كبير و رجعوا إلى خيمهم خائبين.

و رحل يوم الأربعاء ثامن شعبان مقتبلا إلى صلدى(۲) فخاف من بقلعه الأثارب من الجند المسلمين، فهربوا منها يوم الخميس تاسع شعبان، و طرحوا النّار فى خزائنهم.

و عرف الرّوم ذلك فخفّت منهم سرّيه و جماعه من الفرنج، و معهم سبى بزاعا و الوادى، فملكوا القلعه، و ألجأوا السّبى إلى خنادقها و أحواشها، فهرب جماعه منهم إلى حلب، و أعلموا الأمير سيف الدّين سوار بن أيتكين بذلك، و أنّ الروم انعزلوا عنها.

فنهض إليهم سوار فى لمّه من العسكر، فصابحهم و قد انتشروا بعد طلوع الشّمس، فوقع عليهم و استخلص السّبى جميعه إلّا اليسير منهم، و أركب الضّعفاء منهم خلف الخيّاله حتّى أنّه أخذ بنفسه جماعه من الصّبيان، و أركبهم بين يديه و من خلفه، و وصل بهم إلى حلب، و لم يبق من السّبى إلّا

۱- كان هذا البرج من أشد أبراج سور حلب مناعه.

۲- قريه قريبه من حلب على نهر قويق.

القليل، و وصل بهم إلى حلب فى يوم السّبت الحادى عشر من شعبان، فسرّ أهل حلب سرورا عظيما.

و كان أتابك قد رحل من حمص إلى حماه ثم رحل إلى سلميه، و رحل ملك الرّوم إلى بلد معرّه النّعمان، و رحل عنها يوم الاثنين ثالث عشر شعبان إلى جهه شيزر، و نزلوا كفر طاب و رموها بالمجانيق، فسلّمها أهلها فى نصف شعبان.

و هرب أهل الجسر(۱)، و تركوه خاليا فوصله الرّوم، و جلسوا فيه و رحلوا عنه إلى شيزر، يوم الخميس سادس عشر شعبان، فوصلوها فى مائه ألف راكب و مائه ألف راجل، و معهم من الكراع و السّلاح ما لا يحصيه إلّا اللّه، فنزلوا الرّابيه المشرفه على بلده شيزر، و أقاموا يومهم و يوم الجمعه إلى آخر النّهار.

و ركبوا و هجموا البلد، فقاتلهم النّاس و جرح أبو المرهف نصر بن منقذ، و مات فى رمضان من جرحه ذلك.

[حصار الروم لشيزر]

ثمّ انهزم الرّوم، و خرجوا، و نزل صاحب أنطاكيه فى مسجد سمّون، و جوسلين فى المصّلى، و ركب الملك يوم السّبت، و طلع إلى الجبل المقابل لقلعه شيزر المعروف بجريجس، و نصب على القلعه ثمانيه عشر منجنيقا و أربع لعب تمنع النّاس من الماء.

۱- جسر شيزر و كان عليه موقع حصين غير بعيد عن شيزر نفسها.

و دام القتال عشره أيام، و لقى أهل قلعه شيزر بلاء عظيما، ثمّ اقتصروا فى القتال على المجانيق، و أقاموا إلى يوم السّبت تاسع شهر رمضان.

و بلغهم أنّ قرا أرسلان بن داود بن سكمان بن أرتق عبر الفرات فى جموع عظيمه تزيد عن خمسين ألفا من التّركمان و غيرهم، فأحرقوا آلات الحصار، و رحلوا عن شيزر، و تركوا مجانيق عظاما رفعها أتابک إلى قلعه حلب بعد رحيلهم، و ساروا بعد أن هجموا ربض شيزر دفعات عده، و يخرجهم المسلمون منها(۱).

فوصل صلاح الدّين من حماه يوم السّبت تاسع الشّهر، و بلغه أنّ الفرنج هربوا من كفرطاب فسار إليها، و ملكها، و وصل أتابک يوم الأحد عاشر الشّهر، و سار إلى الجسر يوم الاثنين، فوجد الفرنج قد هربوا منه نصف اللّيل و نزل أهله من «أبى قبيس»(۲)، فمنعوهم.

و دخل الرّوم مضيق أفاميه إلى أنطاكيه، و طلبها من الفرنج فلم يعطوه إيّاها، فرحل عنها إلى بلاده، و سيّر أتابک خلفهم سرّيه من العسكر تتخطّفهم. هذا كلّه و أتابک لم يستحضر قرا أرسلان بن داود، و لم يجتمع به؛ بل بعث إليه يأمره بالعود إلى أبيه، و أنّه مستغن عنه و انحاز عنهم فنزل

۱- لمزيد من المعلومات انظر ابن القلانسى ص ۴۱۵- ۴۱۸. وليم الصورى ص ۶۹۵- ۶۹۷.

۲- ما تزال قلعه أبى قبيس قائمه، و تبعد عن مدينه حماه مسافه ۵۴ كم.

أرض حمص، و كتب إلى شهاب الدّين محمود بن بورى يطلبها.

[زواج زنكى من زمرد خاتون]

و تردّدت الرّسل بينهم على أن يسلّم إلى أتابك حمص، و يعوّض أنر و اليها بارين، و اللكمه(۱) و الحصن الشرقىّ، و أن يتزوّج أتابك أمه زمرّد خاتون بنت جاولى، و يتزوّج محمود ابنه أتابك؛ و يسلّم أتابك حمص، و يسلّم الدمشقيون المواضع المذكوره.

و سارت زمرّد خاتون من دارها إلى عسكر زنكى مع أصحابه المندوبين لإيصالها إليه فى أواخر شهر رمضان سنه اثنتين و ثلاثين، و قد اجتمع عنده رسول الخليفه المقتفى، و ألبسه التّشريف الواصل إليه، و رسول السّلطان، و رسول مصر، و الرّوم، و دمشق.

و رحل أتابك عن حمص، و سار إلى حلب، ثمّ خرج منها إلى بزاعا و فتحها بالسّيف، يوم الثلاثاء تاسع عشر محرّم من سنه ثلاث و ثلاثين و خمسمائه؛ و قتل كلّ من كان بها على قبر شرف الدّوله مسلم بن قريش، و كان ضرب عليها بسهم فى عينه فمات.

و عاد منها إلى حلب، و سار إلى الأثارب، ففتحها، فى ثالث صفر.

[زلازل فى حلب]

و فى يوم الخميس ثالث عشر صفر، حدثت زلزله شديده ثمّ اتبعها أخرى، و تواصلت الزّلازل، فهرب النّاس من حلب إلى ظاهر البلد و خرجت الأحجار من الحيطان إلى الطّريق، و سمع النّاس دويا عظيما،

۱- اللكمه: حصن بالساحل قرب عرقه. معجم البلدان.

و انقلبت الأثارب فهلك فيها ستّمائه من المسلمين، و سلم الوالی و معه نفر يسير، و هلك أكثر البلاد من شيح، و تلّ عمار(۱)، و تلّ خالد، و زردنا(۲)؛ و شوهدت الأرض تموج، و الأحجار عليها تضطّرب كالحنطه فی الغربال.

و انهدم فی حلب دور كثيره، و تشّعث السّور، و اضطّربت جدران القلعه، و سار أتابک مشرّقا فنزل القلعه فأخذها، و سار منها إلی القلعه(۳)، ثمّ إلی الموصل.

و تواترت الزّلازل إلی شوّال، و قيل: إنّ عدّتها كانت ثمانين زلزله.

و كان فی سنه اثنتين و ثلاثين قد عولّ أتابک علی قبض أملاک الحلبيين الّتی استحدثوها من أيّام رضوان إلی آخر أيّام إيلغازی، ثمّ قرر عليهم عشره آلاف دينار، فأدّوا من ذلک ألف دينار؛ و جاءت هذه الزّلازل، فهرب أتابک من القلعه إلی ميدانها حافيا، و أطلق القطيعه.

و فی هذه السّنه، نهض سوار إلی الفرنج فغنم من بلادهم، و لحقوه فاستخلصوا ما غنم، و انهزم المسلمون فغنم الفرنج، و أخذوا منهم ألفا و مائتی فارس، و أسروا صاحب الكهف ابن عمرون، و كان قد سلّمها إلی الباطنيه(۴).

۱- تل عمار فی منطقه أعزاز محافظه حلب و يبعد عن حلب مسافه ۳۳ كم.

۲- زردنا فی جوار مدينه أدلب و تبعد عنها مسافه ۲۵ كم.

۳- عند العظيمی فی تاريخ حلب ص ۳۹۴:« و فتح دارا و رأس العين».

۴- الكهف إحدی قلاع الدعوه فی جبال بهراء.

و فی شهر رمضان منها، استحکم الفساد بین أتابک و تمرتاش، فنزل أتابک زنکی(۱) دارا، و حصرها و افتتحها فی شوّال، و أخذ رأس عین(۲) و جبل جور(۳) و ذا القرنین(۴) و مات سوتکین الکرجی بحّران، فأنفذ أتابک زنکی و أخذها.

[مقتل محمود بن بوری]

و قتل شهاب الدّین محمود بن تاج الملوک علی فراشه، لیله الجمعه الثالثه و العشرین من شوّال من السنه، قتله البغش و یوسف الخادم، و فرّاش، و کان قد قرّبهم و اصطفاهم(۵).

و سیر أنر إلی محمّد أخیه صاحب بعلبک، فأجلسه فی منصب أخیه و أخرج أخاه بهرام شاه فمضی إلی حلب و شرّق إلی أتابک زنکی.

و علمت والدته زمرّد خاتون، فأرسلت إلی زوجها زنکی، و هو بالموصل تستدعیه لطلب الثأر بولدها، و تحثّه علی الوصول، فأقبل و فی مقدّمته الأمیر الحاجب صلاح الدّین، فسار إلی حماه.

و وصل زنکی حتّی عبر الفرات، و نزل بالناعوره، و دخل حلب،

۱- دارا مدینه بین نصیبین و ماردین. معجم البلدان.

۲- رأس العین إحدی المدن السوریه علی نهر الخابور مقابل الحدود الترکیه.

۳- جبل جور أحد حصون دیار بکر قریب من أرمینیه. الأعلاق الخطیره- قسم الجزیره- ج ۲ ص ۷۷۶.

۴- حصن ذی القرنین حصن یقع تحته رأس دجله شمالی میافا فارقین- الأعلاق الخطیره- قسم الجزیره- ج ۲ ص ۷۸۳.

۵- لمزید من التفاصیل انظر ابن القلانسی ص ۴۲۱- ۴۲۲. مرآه الزمان ج ۱ ص ۱۷۱.

[زنكى يحاصر دمشق]

و رحل إلى حماه فى سابع ذى الحجه، و رحل إلى حمص، ثم إلى بعلبك، فحصرها أوّل محرّم من سنه أربع و ثلاثين و خمسمائه، و ضربها بالمجانيق إلى أن فتحها يوم الاثنين رابع عشر صفر.

و فتح القلعه يوم الخميس خامس و عشرين منه، و أقام بها إلى منتصف شهر ربيع الآخر، و كان قد حلف لأهل القلعه بالأيمان المغلّظه و المصحف و الطلاق، فلمّا نزلوا غدر بهم، و سلخ و اليها، و شنق الباقين، و كانوا سبعه و ثلاثين رجلا، و غدر بالنّساء، و أخذهم.

و سار فى نصف ربيع الآخر إلى دمشق لمضايقتها فنزل على داريّا، و زحف إلى البلد، و راسل محمّد بن بورى فى تسليمها، و أخذ بعلبك و حمص، و ما يقترح معهما عوضا عنها، و أراد إجابته إلى ذلك فمنعه أصحابه، و خوّفوه الغدر به، فمات محمّد بن بورى، فى ثامن شعبان، و نصب ولده عضب الدوله أبق مكانه.

و كاتب أنر الفرنج فى نجدته، و تسليم بانياس من ابراهيم بن طرغت إليهم، فتجمّعوا لذلك، فرحل أتابك عن دمشق، فى خامس شهر رمضان، للقاء الفرنج إن قربوا منه إلى ناحيه بصرى و صرخد من حوران، و أقام مدّه، ثم عاد إلى الغوطه فنزل عذراء و أحرق عده ضياع من الغوطه.

و وصل الفرنج فنزلوا بالميدان، فرحل أتابك إلى ناحيه حمص. و أسر ريمند صاحب أنطاكيه ابراهيم بن طرغت صاحب بانياس، و قتله، و نزل

معین الدّین أنر علیها فحصرها و تسلّمها، و سلّمها إلی الفرنج، و عادت خاتون إلی حلب فی عشرین من ربیع الأول.

و عاد أتابک إلی حلب فی الرّابع و العشرین من جمادی الأولی، و استقرّ الحال بین زنکی و أبق علی أن خطب زنکی بدمشق.

و مات قاضی حلب أبو غانم محمّد بن أبی جراده فی شهر ربیع الآخر من سنه أربع و ثلاثین و خمسمائه، فولّی أتابک قضاء حلب ولده أبا الفضل هبه اللّه بن محمد بن أبی جراده، و لمّا استحضره و ولّاه القضاء قال له: «هذا الأمر قد نزعته من عنقی، و قلّدتک إیّاه، فینبغی أن تتقی اللّه و أن تساوی بین الخصمین، هکذا»؛ و جمع بین أصابعه.

و کثر عیث التّرکمان و فسادهم، و امتدث أیدیهم إلی بلاد الفرنج، فأرسلوا رسولا إلی أتابک یشکونهم، فعاد الرّسول متنصّلا، فلقیه قوم من التّرکمان فقتلوه، فأغار الفرنج علی حلب، فأخذوا من العرب و التّرکمان ما لا یحصی.

و عاد أتابک فی سنه ستّ و ثلاثین علی الحلبیّین بالقطیعه الّتی کان قرّرها علی الأملاک، و أرسل إلیهم علیّ الفوتی العجمی، فعسف النّاس فی استخراج القطیعه، و أخرق بهم، و مات ابن شقاره بحلب، و صارت أملاکه إلی بیت المال فردّ علی النّاس ما کان وظّف علی أملاکه من القطیعه و أخذه منهم.

و أغار الفرنج فی سنه ست و ثلاثین و خمسمائه علی بلد سرمین، و أخربوا

و نهبوا، ثمّ تحوّلوا إلى جبل السّماق، و كذلك فعلوا بكفرطاب، و تفرّقوا فأغار علم الدّين بن سيف الدّين سوار مع التّركمان إلى باب أنطاكيه، و عادوا بالغنائم و الوسيق العظيم.

و أغار لجه التركى و كان قد نزح عن دمشق إلى خدمه زنكى على بلد الفرنج، فى جمادى، فساق و سبى و قتل، و ذكر أن عدّه المقتولين سبعمائه رجل.

و اتّفق فى هذه السّنه خلف شديد بين أتابك زنكى و قرا أرسلان بن داود بن سكمان بناحيه بهمرد(۱)، فالتقيا فكسره أتابك، و فتح بهمرد، و عاد إلى الجزيره، ثم إلى الموصل فشتّى بها.

و فى هذه السّنه تقرّر الصّلح بين أتابك و الأرتقيّه و وصل أولادهم إلى الخدمه ثمّ عادوا.

و فى خامس شعبان مات وزير أتابك ضياء الدّين بن الكفرتوثى و وزّر موضعه أبا الرضا بن صدقه، ثمّ عزله فى سنه ثمان و ثلاثين.

و نهض سوار فى شهر رمضان إلى بلد أنطاكيه، و عند الجسر جمع عظيم و خيم مضروبه من الفرنج، فخاض التّركمان إليهم العاصى، و كسروا الجميع هناك، و قتلوا كلّ من كان بالخيم، و نهبوا و سبوا، و عادوا إلى حلب بالوسيق العظيم، و الأسرى و الرؤوس.

۱- احدى قلاع ديار بكر. الأعلاق الخطيره- قسم الجزيره- ج ۲ ص ۸۲۰.

و فتح أتابک قلعه آشب المشهوره بالحصانه(۱) فی ثالث و عشرین من شهر رمضان من سنه سبع و ثلاثین.

و خرج ملک أنطاکیه إلی وادی بزاعا، فخرج سوار فردّهم إلی بلد الشّمال و اجتمع سوار و جوسلین بین العسکرین فاتّفق الصّلح بینهما.

و فی سنه ثمان و ثلاثین و خمسمائه، فتح أتابک قلعه انیرون(۲)، و بعدها قلعه حیزان(۳)، و ممّا کان أیضا بید الفرنج جملین، و الموزر(۴)، و تل موزن(۵)، و غیرهما.

و خرج عسکر حلب فظفروا بفرقه کبیره من التّجار و الأجناد و غیرهم خرجت من أنطاکیه ترید بلاد الفرنج، و معها مال کثیر و دوابّ و متاع، فأوقعوا بهم، و قتلوا جمیع الخیّاله من الفرنج الخارجین لحمایتهم، و أخذوا ما کان معهم، و عادوا إلی حلب، و ذلک فی جمادی الأولی من السّنه.

و فی یوم الأربعاء خامس و عشرین من ذی القعده، وقعت خیل ترکمان نهضت من بلد حلب، فأوقعت بخیل خارجه من باسوطا(۶)

۱- هدم عماد الدین هذه القلعه و عمر مکانها واحده جدیده حملت اسمه« العمادیه». معجم البلدان.

۲- من قلاع دیار بکر.

۳- بلده من دیار بکر قرب أسعرد. معجم البلدان.

۴- هما فی اقلیم نصیبین.

۵- بلد بین ماردین و الرها اسمها الیوم ویران شهر. اللؤلؤ المنثور ص ۵۰۵.

۶- باسوطا الآن فی منطقه عفرین محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ۶۹ کم.

فقتلوهم، و أسروا صاحب باسوطا و جاءوا به إلى حلب، فسلّموه إلى سوار فقيّده.

و عزل أتابک وزيره جلال الدّين أبا الرّضا بالموصل، و استوزر أبا الغنائم حبشى بن محمّد الحلّى.

[فتح الرها]

و كان أتابک زنکى لا يزال يفكّر فى فتح الرّها، و نفسه فى كل حين تطالبه بذلک، إلى أن عرف أنّ جوسلين صاحبها قد خرج منها فى معظم عسكره، فى سنه تسع و ثلاثين و خمسمائه، لأمر اقتضاه، فسارع أتابک إلى النّزول عليها فى عسكر عظيم؛ و كاتب التّركمان بالوصول إليه، فوصل خلق عظيم.

و أحاط المسلمون بها من كلّ الجهات، و حالوا بينها و بين من يدخل إليها بميره أو غيرها، و نصب عليها المجانيق؛ و شرع الحلبيّون فنقبوا عدّه مواضع عرفوا أمرها إلى أن وصلوا تحت أساس أبراج السّور، فعلقوه بالأخشاب، و استأذنوا أتابک فى إطلاق النّار فيه، فدخل إلى النّقب نفسه و شاهده ثم أذن لهم، فألقوا النّار فيه، فوقع السّور فى الحال(۱).

و هجم المسلمون البلد، و ملكوه بالسّيف يوم السّبت سادس عشر جمادى الآخره، و شرعوا فى النّهب و القتل والأسر و السّبى، حتّى امتلأت أيديهم من الغنائم، ثمّ أمر أتابک برفع السّيف عن أهلها، و منع السّبى،

۱- كان النقابون يفتحون ثغره بأسفل السور تملأ أثناء العمل بالخشب ثم تحرق الأخشاب فينهار السور.

و ردّه من أيدى المسلمين، و أوصى بأهلها خيرا، و شرع فى عماره ما انهدم منها و ترميمه.

و كان جمال الـدّين أبو المعالى فضل اللّه بن ماهان رئيس حرّان هو الّذى يحثّ أتابک فى جميع الأوقات على أخذها، و يسـهّل عليه أمرها فوجد على عضاده محرابها مكتوب:

أصبحت صفرا من «بنى الأصفر»أختال بالأعلام و المنبر

دان من المعروف حال به ناء عن الفحشاء و المنكر

مطهّر الرّحب على أنّنى لو لا «جمال الدّين» لم أطهر

فبلغ ذلـک رئيس حران، فقـال: «امحوا جمـال الـدّين، و اكتبوا عمـاد الـدّين»، فبلغ ذلک زنكى، فقال: «صـدق الشّاعر لولاک ما طمعنا فيها»، و أمر عمّاله بتخفيف الوطأه عليهم فى الخراج، و أن يأخذوه على قدر مغلّاتها(۱).

ثمّ رحل إلى سروج ففتحها، و هرب الفرنج منها، ثمّ رحل فنزل على البيره، فى هذه السنه فحاصرها فى هذه السّنه.

[مقتل جفر بالموصل]

و جاءه الخبر من الموصل أن نصير الـدّين جقر نائبه بالموصل قتل، فخاف عليها، و ترک البيره بعـد أن قارب أخذها(۲)، و سار حتّى دخل

۱- لمزيد من المعلومات انظر بغيه الطلب ۳۸۵۰- ۳۸۵۱. و انظر ما جاء عند المؤرخ السريانى المجهول.

۲- لمزيد من التفاصيل انظر الباهر ص ۷۰- ۷۲.

الموصل، و أخذ فرخانشاه ابن السّلطان الّذى قتل جقر، و عزم على تملّك الموصل، فقتله بدم جقر، و ولّى الموصل مكانه الأمير زين الدّين على كوچك.

ثمّ شرع زنكى فى الجمع و الاحتشاد، و الاستكثار من عمل المجانيق، و آله الحرب، فى أوائل سنه أربعين و خمسمائه؛ و يظهر للنّاس أنّ ذلك لقصد الجهاد، و بعض النّاس يقول: إنّه لقصد دمشق و منازلتها، و كان ببعلبكّ مجانيق فحملت إلى حمص، فى شعبان من هذه السّنه.

و قيل: إنّ عزمه انثنى عن الجهاد فى هذه السّنه، و أنّ جماعه من الأرمن بالرّها عاملوا عليها، و أرادوا الإيقاع بمن كان فيها من المسلمين و اطّلع على حالهم؛ و توجه أتابك من الموصل نحوها، و قوبل من عزم على الفساد بالقتل و الصلب.

و سار و نزل على قلعه جعبر بالمرج الشّرقى تحت القلعه، يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجّه، فأقام عليها إلى ليله الأحد سادس شهر ربيع الآخر نصف اللّيل من سنه إحدى و أربعين و خمسمائه، فقتله يرنقش الخادم؛ كان تهدّده فى النّهار، فخاف منه فقتله فى اللّيل فى فراشه.

[مقتل زنكى]

و قيل: إنّه شرب و نام، فانتبه فوجد يرنقش الخادم و جماعه من غلمانه يشربون فضل شرابه، فتوعّدهم، و نام فأجمعوا على قتله، و جاء يرنقش إلى تحت القلعه، فنادى أهل القلعه: «شيلونى فقد قتلت أتابك». فقالوا له:

«اذهب إلى لعنه اللّه، فقد قتلت المسلمين كلّهم بقتله»(۱).

و قـد كان أتابک ضايق القلعه، فقلّ الماء فيها جـدّا، و الرّسل من صاحبها علىّ بن مالک تتردّد بينه و بين أتابک، فبـذل علىّ بن مالک له ثلاثين ألف دينار ليرحل عنها، فأجابه إلى ذلک.

و نزل الرّسول، و قـد جمع الذّهب حتّى قلع الحلق من آذان أخواته، و أحضـر الرّسول، و قال لبعض خواصّه: «امض بفرسه و قرّبه إلى قدر اليخنى فإن شـرب منه فأعلمنى». ففعل ذلک، فشـرب الفرس مرقه اليخنى، فعلم أنّ الماء قد قلّ عندهم، فغالط الرّسول و دافعه، و لم يجبه إلى ملتمسه، فأسقط فى يد علىّ بن مالک.

و كـان فى القلعه عنـده بقره وحش، و قـد أجهـدها العطش، فصـعدت فى درجه المئـذنه حـتّى علت عليهـا، و رفعت رأسـها إلى السّـماء، و صاحت صـيحه عظيمه، فأرسل اللّه سـحابه ظلّلت القلعه، و أمطروا حتى رووا، فتقدّم حسّان البعلبكىّ صاحب منبج إلى تحت القلعه، و نـادى علىّ بن مالـک، و قال له: «يا أمير علىّ، ايش بقى يخلّصک من أتابک» فقال له» «يا عاقل، يخلّصـنى الـذى خلصک من حبس بلک». يعنى حين قتل، بلک على منبج و خلص حسّان، فصدق فأله- و كان ما ذكرناه-.

و أخبرنى والدى- رحمه اللّه- أنّ حارس أتابک كان يحرسه فى اللّيله التى

۱- عزا وليم الصورى ص ۷۴۲ مقتل زنكى إلى مؤامره دبرها صاحب قلعه جعبر.

قتل فيها بهذين البيتين:

يا راقد اللّيل مسرورا بأوّله،إنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا!

لا تأمننّ بليل طاب أوّله فربّ آخر ليل أجّج النّارا!

و كان أتابك جبارا عظيما ذا هيبه و سطوه، و قيل: إنّ الشاووش(۱) كان يصيح خارج باب العراق، و هو نازل من القلعه، و كان إذا ركب مشى العسكر خلفه كأنّهم بين حيطين مخافه أن يدوس العسكر شيئا من الزّرع، و لا يجسر أحد على هيبته أن يدوس عرقا منه، و لا يمشى فرسه فيه، و لا يجسر أحد من أجناده أن يأخذ لفلّاح علاقه تبن إلّا بثمنها أو بخط من الدّيوان إلى رئيس القريه؛ و إن تعدّى أحد صلبه.

و كان يقول: «ما يتّفق أن يكون أكثر من ظالم واحد»- يعنى نفسه- فعمرت البلاد فى أيّامه بعد خرابها و أمنت بعد خوفها، و كان لا يبقى على مفسد، و أوصى ولاته و عمّاله بأهل حرّان، و نهى عن الكلف و السّخر و التثقيل على الرّعيه، هذا ما حكاه أهل حرّان عنه.

و أما فلّاحو حلب فإنّهم يذكرون عنه ضدّ ذلك(۲).

۱- يكتب أيضا« الجاووش» و هو المنادى الذى يتولى استنفار العساكر لتخرج إلى القتال، و قرأنا فى النوادر السلطانيه لابن شداد ص ۶۶، ۱۰۸« فركب السلطان و صاح الجاووش فركب العسكر».

۲- كانوا يذكرون« أنه كان عليهم منه جور و ظلم فى أيام ولايته، و أكثر ما كان يذكر عنه من الظلم ما يلزم الناس به من جمع الرجاله للقتال و الحصار». بغيه الطلب: ۲۸۵۲.

و كانت الأسعار فى السّنه الّتى توّفى فيها رخيه جدّا، الحنطه ستّ مكايك بدينار؛ و الشّعير أثنا عشر مكّوكا بدينار؛ و العدس أربع مكايك بدينار؛ و الجلبان خمسه مكايك بدينار؛ و القطن ستّون رطلا بدينار؛ و الدّينار هو الّذى جعله أتابك دينار الغلّه؛ و قدره خمسون قرطيسا برسا(۱) و ذلک لقلّه العالم.

[حلب أيام نور الدين محمود]

و لمّا قتل افترقت عساكره فأخذ عسكر حلب ولده نور الدّين أبا القاسم محمود بن زنكى، و طلبوا حلب فملّكوه إيّاها، و أخذ نور الدّين خاتمه من إصبعه قبل مسيره إلى حلب، و سار أجناد الموصل بسيف الدّين غازى إلى الموصل و ملكها.

و بقى أتابک وحده، فخرج أهل الرّافقه فغسّلوه بقحف جرّه، و دفنوه على باب مشهد علىّ- عليه السّلام- فى جوار الشهّداء من الصّحابه- رضوان اللّه عليهم- و بنى بنوه عليه قبه، فهى باقيه إلى الآن(۲).

و ملک الملک العادل نور الدّين أبو القاسم محمود بن زنكى بن أق سنقر حلب، عند ذلک فى شهر ربيع الآخر يوم الثّلاثاء عاشر الشهر، سنه إحدى و أربعين و خمسمائه.

[استرداد الرها]

و وصل إليه صلاح الدّين الياغيسيانى يدبّر أموره و يقوم بحفظ دولته

۱- من أنواع الدراهم النحاسيه قد يوازى كل/ ۱۳/ منها درهما فضيا.

۲- انظر بغيه الطلب ص ۳۸۵۵- ۳۸۵۷. و زالت معالم القبه الآن، و كانت قرب ما يعرف الآن بباب بغداد، و دلت بعض الحفريات الأثريه على مكان القبر.

فحینئذ راسل جوسلین الفرنجی أهل الرّها و عامّتهم من الأرمن، و حملهم علی العصیان و تسلیم البلد، فأجابوه إلی ذلک، و واعدوهم یوما یصل إلیهم فیه.

و سار إلیها فملک البلد، و امتنعت القلعه فقاتلها، فبلغ الخبر إلی نور الدّین محمود بن زنکی، و هو بحلب، فسار إلیها فی عسکره، فخرج جوسلین هاربا إلی بلده.

و دخلها نور الدّین فنهبها و سبی أهلها، و خلت منهم، فلم یبق بها منهم إلّا القلیل(۱).

و أرسل نور الدّین من سبیها جاریه فی جمله ما أهداه إلی زین الدّین علی کوچک، نائب أبیه بالموصل، فلمّا رآها دخل إلیها، و خرج من عندها و قد اغتسل، و قال لمن عنده: «تعلمون ما جری لی یومنا هذا؟» قالوا:

«لا»، قال: «لمّا فتحنا الرّها مع الشّهید وقع بیدی من النّهب جاریه رائقه أعجبنی حسنها و مال قلبی إلیها، فلم یکن بأسرع من أن أمر الشّهید فنودی بردّ السّبی المنهوب، و کان مهیبا مخوفا، فرددتها و قلبی متعلّق بها، فلمّا کان الآن جاءتنی هدیّه نور الدّین و فیها عدّه جوار منهنّ تلک الجاریه، فوطئتها خوفا أن یقع مثل تلک الدّفعه».

و شرع نور الدّین- رحمه اللّه- فی صرف همّته إلی الجهاد، فدخل فی

۱- أوفی التفاصیل حول هذه الواقعه عند المؤرخ السریانی المجهول. الموسوعه الشامیه ص ۲۰۱۵- ۲۰۲۱.

سنه اثنتين و أربعين و خمسمائه، إلى بلد الفرنج؛ ففتح أرتاح بالسّيف، و نهبها و فتح حصن مابوله، و بسرفوث، و كفرلاثا و هاب(۱).

و كان الفرنج بعد قتل والده قد طمعوا و ظنّوا أنّهم يستردّون ما أخذه، فلمّا رأوا من نور الدّين الجدّ فى أول أمره، علموا بعد ما أمّلوه.

[حصار دمشق من الحمله الثانيه]

و خرج ملك الألمان و نزل على دمشق، فى سنه ثلاث و أربعين و خمسمائه، و سار لنجدتها سيف الدّين غازى من الموصل، و نور الدين محمود، فوصلا إلى حمص.

و توّجه نور الدّين إلى بعلبكّ، و اجتمع بمعين الدّين أنر بها، و رحل ملك الألمان عن دمشق، و كان صحبته ولد الفنش، و كان جده قد أخذ طرابلس من المسلمين، فأخذ ولد الفنش هذا حصن العريمه من الفرنج، و عزم على أخذ طرابلس من القمص، فأرسل القمص إلى نور الدين إلى بعلبكّ يقول له فى قصد حصن العريمه و أخذه من ولد الفنش.

فسار نور الدّين و معين الدّين أنر معه، و سيّرا إلى سيف الدّين غازى إلى حمص، يستنجدانه فأمدّهما بعسكر كثير مع الدّبيسى صاحب الجزيره، فنازلوا الحصن، و حصروه و به ولد الفنش.

فزحف المسلمون إليه مرارا، و نقب النقّابون السّور فطلب من به من الفرنج الأمان، فملكه المسلمون، و أخذوا كلّ من به من فارس و راجل،

۱- انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۲ ص ۴۲۵.

و صبىّ، و امرأه، و فيهم ابن الفنش، و أخربوا الحصن، و عادوا إلى حمص(۱).

ثم عاد سيف الدين غازى إلى الموصل.

و تجمّع الفرنج ليقصدوا أعمال حلب، فخرج إليهم نور الدّين بعسكره و التقاهم بيغرى(۲)، و اقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم الفرنج، و أسر منهم جماعه و قتل خلق، و لم ينج إلّا القليل.

و فى هذه الوقعه يقول الشّيخ أبو عبد اللّه القيسرانى من قصيده:

و كيف لا نثنى على عيشناالمحمود و السّلطان «محمود!»

و صارم الاسلام لا يثنى إلّا و شلو الكفر مقدود

مكارم لم تك موجودهاإلّا و «نور الدّين» موجود(۳)

[تجديد المدارس و الرباطات فى حلب]

و شرع نور الدّين فى تجديد المدارس و الرّباطات بحلب، و جلب أهل العلم و الفقهاء إليها، فجدّد المدرسه المعروفه بالحلاويّين، فى سنه ثلاث و أربعين و خمسمائه، و استدعى برهان الدّين أبا الحسن على بن الحسن البلخى الحنفى و ولّاه تدريسها، فغيّر الأذان بحلب، و منع المؤذّنين من قولهم: «حىّ على خير العمل» و جلس تحت المناره و معه الفقهاء، و قال

۱- الحديث هنا عن حصار دمشق للمره الثانيه، الآن من قبل ما يعرف بالحمله الثانيه، مع ما تلته من أحداث. انظر وليم الصورى ص ۷۷۹- ۷۹۱.

۲- من عمل حارم ناحيه العمق، و لعلها المعروفه الآن باسم يغله فى محافظه ادلب- ناحيه كفر تخاريم.

۳- انظر القصيده بأكملها فى الروضتين لأبى شامه ج ۱ ص ۵۵- ۵۶.

لهم: «من لم يؤذّن الأذان المشروع فألقوه من المناره على رأسه»، فأذّنوا الأذان المشروع، و استمرّ الأمر من ذلك اليوم.

و جدّد المدرسه العصرونيّه على مذهب الشافعى، و ولّاها شرف الدّين بن أبى عصرون(۱)، و مدرسه النفرى، و ولّاها القطب النّيسابورى(۲)، و مسجد الغضائرى وقف عليه وقفا، و ولّاه الشيخ شعيب(۳)، و صار يعرف به.

و بقى برهان الدّين البلخى بحلب مدرسا بالحلاويّه إلى أن أخرجه مجد الدّين بن الدّايه، لوحشه وقعت بينهما، و وليها علاء الدّين عبد الرحمن بن محمود الغزنوى و مات و وليها ابنه محمود، ثمّ وليها الرّضى صاحب المحيط، ثمّ وليها علاء الدّين الكاسانى(۴).

و توفّى سيف الدّين غازى بن زنكى بالموصل فى سنه أربع و أربعين و ترك ولدا صغيرا، فربّاه عمّه نور الدين، و عطف عليه.

و اتّفق الوزير جمال الدّين و زين الدين على على أن ملّكوا قطب الدّين مودود بن زنكى الموصل، و كان نور الدّين أكبر منه، و كاتبه جماعه من الأمراء و طلبوه.

۱- انظر حولها الآثار الاسلاميه ص ۲۲۶- ۲۲۸.

۲- انظر حوله الأعلاق الخطيره- قسم حلب ج ۱ ص ۲۴۸- ۲۵۱.

۳- اسمه الآن جامع التوته، انظر حوله الآثار الاسلاميه ص ۶۳- ۶۴.

۴- تحدث ابن شداد عن هذه المدرسه و ترجم للذين درسوا فيها. الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۱ ص ۲۶۴- ۲۷۱.

[نور الدين يتسلم سنجار]

و فيمن كاتبه المقدّم عبد الملك والد شمس الدّين محمد، و كان بسنجار، فكتب إليه يستدعيه ليتسلّم سنجار.

فسار جريـده فى سـبعين فارسا من أمراء دولته فوصل سـنجار مجـدا، و نزل بظاهر البلد، و أرسل إلى المقدّم يعلمه بوصوله، فرآه الرّسول و قـد سار إلى الموصل، و ترك ولـده شـمس الدّين محمّدا بالقلعه، فسيّر من لحق أباه فى الطّريق، و أعلمه بوصول نور الدّين، فعاد إلى سنجار، و سلّمها إليه، و أرسل إلى قرا أرسلان صاحب الحصن(۱) يستدعيه لموجده كانت بينهما، فوصل إليه.

و لما سمع قطب الدّين و الوزير جمال الدّين، و زين الدّين بالموصل، جمعوا العساكر، و عزموا على قصد سنجار و ساروا إلى تلّ أعفر(۲)، فأشار الوزير جمال الـدّين بمـداراته، و قال: «إنّنا نحن قـد عظّمنا محلّه عند السّـلطان، و جعلنا محلّنا دونه، و هو فيعظّمنا عند الفرنج، و يظهر أنّه تبع لنا، و يقول: إن كنتم كما نحبّ و إلّا سلّمت البلاد إلى صاحب الموصل، و حينئذ يفعل بكم و يصنع، فإن هزمناه طمع فينا السّلطان و يقول: إنّ الّذى كانوا يعظمونه، و يخوّفوننا به أضعف منهم، و قد هزموه، و إن هو

۱- حصن كيفا، و هو قلعه عظيمه مشرفه على دجله بين آمد و جزيره ابن عمر. الأعلاق الخطيره- قسم الجزيره- ج ۲ ص ۷۸۴.

۲- و يقال له تل يعفر و تلعفر، بلده بالعراق غربى الموصل على طريق سنجار. الأعلاق الخطيره- قسم الجزيره- ج ۲ ص ۱۷۷۳.

هزمنا طمع فيه الفرنج، و يقولون: إنّ الّذى كان يحتمى بهم أضعف منه، و بالجمله فهو ابن أتابک الكبير»؛ و أشار بالصّلح.

و سار إلى نور الدين بنفسه، فوفّق بينهما على أن يسلّم سنجار إلى قطب الدّين، و يتسلّم الرّحبه، و يستقلّ نور الدّين بالشّام جميعه، و قطب الدين بالجزيره ما خلا الرّها، فإنّها لنور الدين(۱).

و عاد نور الدّين إلى الشّام، و أخذ ما كان قد ادّخره أبوه أتابک من الخزائن، و كانت كثيره جدّا.

[معركه إنب و مقتل صاحب انطاكيه]

فغزا نور الدّين محمود بن زنكى بلد الفرنج من ناحيه أنطاكيه، و قصد حصن حارم و هو للفرنج، فحصره، و خرب ربضه، و نهب سواده، ثمّ رحل إلى حصن إنّب(۲) فحصره أيضا.

فاجتمع الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكيه و حارم، و تلک الأعمال، و ساروا إلى نور الدّين ليرحّلوه عن إنّب، فلقيهم يوم الأربعاء حادى و عشرين من صفر، سنه أربع و أربعين و خمسمائه، و اقتتلوا قتالا عظيما، و باشر نور الدين القتال ذلک اليوم، فانهزم الفرنج أقبح هزيمه، و قتل منهم جمع كثير، و أسر مثله.

۱- انظر الروضتين ج ۱ ص ۶۷- ۶۸.

۲- قال ياقوت:« إنب حصن من أعمال عزاز من نواحى حلب له ذكر»، و فى أيامنا هذه إنب قريه تتبع ناحيه محمبل- منطقه أريحا، محافظه ادلب، و يبعد عنها بقرابه كيلومتر واحد تل انب الأثرى، و يشرف هذا التل على كل من وادى الغاب و سهل الروج. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و كـان ممّن قتل ذلك اليوم البرنس صاحب أنطاكيه، و كان من عظماء الفرنـج و أقويائهم. و يحكى عنه أنّه كان يأخـذ الركاب الحديـد بيـده، فيطبقه بيـده الواحـده؛ و أنّه مرّ يومـا و هو راكب حصانـا قويّا تحت قنطره فيها حلقه أو شـى ء ممّا يتعلّق به، فتعلّق بيديه و ضمّ فخذيه على الحصان فمنعه الحركه.

فلما قتل البرنس ملك ابنه بيمند، و تزوّجت أمّه بابرنس آخر، ليدبّر البلد إلى أن يكبر(۱) ابنها، و أقام معها بأنطاكيه، فغزاهم نور الدّين غزوه ثانيه، فاجتمعوا و لقوه فهزمهم، و قتل منهم خلقا و أسر كذلك، و أسـر البرنس الثّانى زوج أم بيمند، و استقلّ بيمند بأنطاكيه.

و فى ذلك يقول الشّيخ أبو عبد اللّه القيسرانىّ من قصيده أوّلها:

هذى العزائم لا ما تدّعى القضب و ذى المكارم لا ما قالت الكتب

صافحت يا «بن عماد الدّين» ذروتهابراحه للمساعى دونها تعب

أغرت سيوفك بالأفرنج راجفهفؤاد روميه الكبرى لها يجب

ضربت كبشهم منها بقاصمهأودى بها الصّلب و انحطّت بها الصّلب

طهّرت أرض الأعادى من دمائهم طهاره كلّ سيف عندها جنب(۲)

و قال ابن منير فى ذلك:

صدم الصّليب على صلابه عوده فتفرّقت أيدى سبا خشباته

و سقى البرنس و قد تبرنس ذلّهبالرّوج ممّا قد جنت غدراته

۱- انظر وليم الصورى ص ۷۸۹- ۷۹۳، ۸۰۴، ۸۱۴.

۲- انظر القصيده كامله فى الروضتين ج ۱ ص ۵۸- ۵۹.

تمشى القناه برأسه و هو الّذى نظمت مدار النيرّين قناته(۱)

و سار نور الدّين محمود إلى أفاميه، فى سنه خمس و أربعين، فالتجأ الفرنج إلى حصنها فقاتله، و اجتمع الفرنج و ساروا إليه ليرحّلوه عنه، فوجدوه قد ملكه و ملأه من الرّجال و الذّخائر، فسار فى طلبهم، فعدلوا عن طريقه، و دخلوا بلادهم.

[أسر جوسلين]

و جمع نور الدّين العساكر و سار إلى بلاد جوسلين الفرنجى ليملكها و كان جوسلين من أشجع الفرنج و أسدّهم رأيا، فجمع الفرنج و أكثر، و سار إلى نور الدّين و التقيا، فانهزم المسلمون و قتل منهم و أسر.

و كان سلاحدار نور الدّين ممّن أسر، فأخذ جوسلين سلاحه، فسيّره إلى الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونيه، و قال: «هذا سلاح زوج ابنتك» .. فعظم ذلك على نور الدّين، و هجر الرّاحه إلى أن يأخذ بثأره، و جعل يفكّر فى حيله يحتال بها على جوسلين، و علم أنّه إن قصده احتمى فى حصونه.

فأحضر أمراء التّركمان، و بذل لهم الرّغائب إن ظفروا بجوسلين، فجعلوا عليه العيون، فخرج إلى الصّيد فظفر به طائفه من التّركمان، فصانعهم على مال يؤدّيه إليهم، فأجابوه إلى إطلاقه إذا أحضر المال، و أرسل فى إحضاره.

۱- انظر القصيده بأكملها فى الروضتين ج ۱ ص ۶۰- ۶۲.

فمضى بعض التّركمان إلى مجد الـدّين أبى بكر بن الدّايه، و كان ابن دايه نور الدّين، و استنابه فى حلب، و سلّم أمورها إليه، فأحسن الولايه فيها و التّدبير، فأعلم ذلك التّركمانى ابن الـدايه بصوره الحال، فسيّر مجد الـدّين معه عسكرا، فكبسوا أولئك التّركمان، و أخذوا جوسلين أسيرا، و أحضروه إلى ابن الدّايه، فى محرم هذه السّنه(۱).

فسار نور الـدّين عند ذلك إلى قلاع جوسلين، ففتح عزاز بعد الحصار، فى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل، سنه خمس و أربعين و خمسمائه، و فتح تلّ باشر، و تلّ خالد؛ و فتح عين تاب سنه خمسين(۲)؛ و فتح قورس(۳) و الرّاوندان(۴) و برج الرصاص(۵)، و حصن البيره و كفرسود(۶) و مرعش(۷) و نهر الجوز.

و تجمّع الفرنج و ساروا إليه و هو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن فتحها، فى سنه سبع و أربعين و خمسمائه، فلمّا قربوا منه رجع إليهم، و لقيهم عند دلوك، فاقتتلوا فانهزم الفرنج، و قتل منهم و أسر كثير، و عاد إلى دلوك ففتحها(۸).

۱- انظر وليم الصورى ص ۷۹۳- ۷۹۴.

۲- انظر حولها بغيه الطلب ص ۳۲۳.

۳- انظر حولها الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۲ ص ۴۳۸- ۴۴۱.

۴- انظر حولها بغيه الطلب ص ۳۲۴.

۵- انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۲ ص ۹۸- ۹۹.

۶- و يعرف أيضا باسم كفرسوت، قرب بهسنا. معجم البلدان.

۷- من أجل مرعش انظر بغيه الطلب ص ۲۳۵- ۲۳۸.

۸- من أجل دلوك انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب. ج ۲ ص ۴۳۵- ۴۳۷.

و أمّا تلّ باشر فإنّه تسلّمها منهم بعد فتحه دمشق، لأنهم لما علموا أنّه فتح دمشق، و أنّه يقصدهم و لا طاقه لهم به راسلوه، و بذلوا له تسلميها إليه، فسيّر إليهم الأمير حسّان صاحب منبج لقربها من منبج فتسلّمها منهم، و حصّنها.

و كان فتحه دمشق فى صفر سنه تسع و أربعين و خمسمائه، لأنّ الفرنج أخذوا عسقلان من المصريين فى سنه ثمان و أربعين، و لم يكن له طريق إلى إزعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه و بين عسقلان(۱).

و طمع الفرنج فى دمشق، و جعلوا عليها قطيعه يأخذونها منهم فى كلّ سنه، فخاف نور الدّين أن يملكها الفرنج، فاحتال فى أخذها لعلمه أنّ أخذها بالقهر يصعب لأنّه متى نازلها راسل صاحبها الفرنج مستنجدا بهم، و أعانوه خوفا من نور الدين أن يملكها فيقوى بها عليهم.

فراسل مجير الدين أبق بن محمد بن بورى صاحبها، و استماله و هاداه، و أظهر له المودّه، حتى وثق به، فكان يقول له فى بعض الأوقات:

«إنّ فلانا قد كاتبنى فى تسليم دمشق»- يعنى بعض أمراء مجير الدّين- فكان يبعد ذلك عنه، و يأخذ أقطاعه، فلما لم يبق عنده أحد من الأمراء قدّم أميرا يقال له عطاء بن حفاظ الخادم، و كان شجاعا و فوض إليه أمور دولته، فكان نور الدّين لا يتمكّن من أخذ دمشق منه، فقبض عليه مجير الدّين و قتله.

۱- انظر وليم الصورى ص ۸۰۸- ۸۱۴.

فسار نور الـدّين حينئذ إلى دمشق، و كان قد كاتب أهلها و اسـتمالهم، و كان النّاس يميلون إليه، لما هو عليه من العدل و الديّانه و الاحسان، فوعدوه بالتّسليم إليه.

[تسلم نور الدين دمشق]

فلمّا حصـر دمشق أرسل مجير الـدّين إلى الفرنج يبذل لهم الأموال و تسـليم قلعه بعلبكّ إليهم، لينجدوه و يرحلوا نور الدّين عنه، فشرعوا فى جمع فارسهم و راجلهم لذلك.

فتسـلّم نور الدّين دمشق، و خرج الفرنج و قد قضـى الأمر فعادوا خائبين، و سـلّموها إليه أهلها من باب شـرقى، و التجأ مجير الدّين إلى القلعه، فراسـله و بـذل له عوضـا عنهـا حمص، و غيرهـا؛ فسلّمها إليه و سـار إلى حمص، ثم إنّه راسـل أهل دمشق، فعلم نور الدّين، فخاف منه، فأخذ منه حمص، و عوّضه ببالس، فلم يرض بذلك، و سار إلى بغداد فمات بها.

و سـار نور الـدّين إلى حـارم، و هى لبيمنـد صاحب أنطاكيه، و حصـرها فى سـنه إحـدى و خمسـين، و ضـيّق على أهلها، فتجمّع الفرنج و عزموا على قصده فأرسل و الى حارم إلى الفرنج، و قال: «لا تلتقوه فإنّه إن هزمكم أخذ حارم و غيرها، و نحن فى قوّه و الرأى مطاولته»، فأرسلوا إلى نور الدّين، و صالحوه على أن يعطوه نصف أعمال حارم، و رجع نور الدّين إلى حلب.

[زلازل سنه ۵۵۲ ه ۴۸۳]

و وقعت الزّلازل فى شـهر رجب فى سـنه اثنتين و خمسـين و خمسـمائه، بالشّام، فخربت حماه، و شـيزر، و كفرطاب، و أفاميه، و معرّه النعمان،

و حمص، و حصن الشميميس(۱)، عند سلميه، و غير ذلک من بلاد الفرنج.

و تهدّمت أسوار هذه البلاد فجمع نور الدّين العساكر، و خاف على البلاد من الفرنج، و شرع فى عمارتها حتّى أمن عليها.

[هلاک شيزر]

و أمّا شيزر، فانقلبت القلعه على صاحبها و أهله، فهلكوا كلّهم، و كان قد ختن ولدا له و عمل وليمه، و أحضر أهله فى داره، و كان له فرس يحبّه و لا يكاد يفارقه، و إذا كان فى مجلس أقيم ذلک الفرس على بابه، فكان ذلک اليوم على الباب، فجاءت الزّلزله فقام النّاس ليخرجوا من الدّار فخرج واحد من الباب فرمحه ذلک الفرس فقتله، فامتنع النّاس من الخروج، فسقطت الدّار عليهم فهلكوا.

و بادر نور الدّين، و وصل إلى شيزر، و قد هلک تاج الدّوله بن منقذ و أولاده، و لم يسلم منهم إلّا الخاتون أخت شمس الملوک زوجه تاج الدّوله، و نبشت من تحت الرّدم سالمه، فتسلّم القلعه و عمّر أسوارها و دورها، و كان نور الدّين قد سأل أخت شمس الملوک عن المال و هدّدها، فذكرت له أنّ الدار سقطت عليها و عليهم، و نبشت و هى دونهم، و لا تعلم بشى ء، و إن كان لهم شى ء فهو تحت الرّدم.

و كان شرف الدّوله اسماعيل غائبا، فلمّا حضر و عاين قلعه شيزر، و رأى زوجه أخيه فى ذلک الذّلّ بعد العزّ، عمل قصيده أوّلها:

ليس الصّباح من المساء بأمثل فأقول للّيل الطّويل ألا انجلى

۱- بقايا هذا الحصن على مقربه من سلميه على الطريق الواصله بمدينه حماه.

قال فيها:

يا «تاج دوله هاشم» بل يا أبا التّيجان بل يا قصد كلّ مؤمّل

لو عاينت عيناک «قلعه شيزر»و السّتر دون نسائها لم يسبل

لرأيت حصنا هائل المرأى غدامتهلهلا مثل النّقا المتهيل

لا يهتدى فيه السّعاه لمسلک فکأنّما تسرى بقاع مهول

ذکر فيها زوجه أخيه، فقال:

نزلت على رغم الزّمان و لو حوت يمناک قائم سيفها لم تنزل

فتبدّلت عن کبرها بتواضع و تعوّضت عن عزّها بتذلّل(۱)

و أقامت الزّلازل تتردّد فى البلاد سبع سنين، و هلک فيها خلق کثير.

و فى هذه السّنه أبطل الملک العادل نور الدّين، و هو بشيزر، مظالم و مکوسا ببلاده کلّها مقدارها مائه و خمسون ألف دينار.

ثم إنّ نور الدّين تلطّف الحال مع ضحّاک البقاعىّ، و راسله، و هو ببعلبکّ، و کان قد عصى فيها بعد فتح دمشق، و لم ير أن يحصره بها لقربه من الفرنج، فسلّمها إلى نور الدّين فى هذه السّنه(۲).

و جرت وقعه بين نور الدّين و بين الفرنج بين طبريّه و بانياس،

۱- انظر بغيه الطلب ص ۱۶۴۰- ۱۶۴۲.

۲- انظر تاريخ ابن القلانسى ص ۵۰۹.

فکسرهم نور الدّین کسره عظیمه فی جمادی الأولی سنه اثنتین و خمسین و خمسمائه(۱).

[مرض نور الدین]

ثمّ عاد نور الدّین إلی حلب، فمرض بها فی سنه أربع و خمسین مرضا شدیدا، بقلعتها، و أشفی علی الموت، و کان بحلب أخوه الأصغر نصره الدّین أمیر أمیران محمّد بن زنکی؛ و أرجف بموت نور الدّین؛ فجمع أمیر أمیران النّاس، و استمال الحلبیّین، و ملک المدینه دون القلعه، و أذن للشّیعه أن یزیدوا فی الأذان: «حیّ علی خیر العمل محمّد و علیّ خیر البشر»، علی عادتهم من قبل، فمالوا إلیه لذلک.

و ثارت فتنه بین السّنه و الشّیعه، و نهب الشّیعه مدرسه ابن عصرون و غیرها من أدر السّنه، و کان أسد الدّین شیرکوه بحمص، فبلغه ذلک فسار إلی دمشق لیغلب علیها، و کان بها أخوه نجم الدّین أیّوب فأنکر علیه ذلک، و قال: «أهلکتنا و المصلحه أن تعود إلی حلب، فان کان نور الدّین حیّا خدمته فی هذا الوقت، و إن کان مات فأنا فی دمشق، و تفعل ما ترید».

فعاد مجدا إلی حلب، فوجد نور الدّین و قد ترجح إلی الصّلاح، فأجلسه فی طیّاره مشرفه إلی المدینه، بحیث یراه النّاس کلهم، و هو مصفرّ الوجه من المرض، و نادوا إلی الناس: «هذا سلطانکم». فقال بعضهم:

۱- انظر ولیم الصوری ص ۸۹۰- ۸۹۲.

«ما هذا نور الدّين، بل هو فلان»- يعنون رجلا كان يشبهه و قد طلى وجهه بصفره، ليخدعوا الناس بذلك.

و لما تحقّق أمير أميران عافيه أخيه خرج من الدّار الّتى كان بها تحت القلعه، و بيده ترس يحميه من النّشّاب، و كان النّاس قد تفرّقوا عنه، فسار إلى حرّان، فملكها.

و سير نور الدّين إلى قاضى حلب، جدّى أبى الفضل هبه اللّه بن أبى جراده، و كان يلى بها القضاء و الخطابه و الإمامه، و قال له: «تمضى إلى الجامع، و تصلى بالنّاس، و يعاد الأذان إلى ما كان عليه».

فنزل جدّى، و جلس بشماليه الجامع تحت المناره، و استدعى المؤذّنين، و أمرهم بالأذان المشروع على رأى أبى حنيفه، فخافوا فقال لهم:

«ها أنا أسفل منكم و لى أسوه بكم».

فصعد المؤذّنون و شرعوا فى الأذان، فاجتمع تحت المناره من عوامّ الشّيعه و غوغائهم خلق كثير؛ فقام القاضى إليهم، و قال: «يا أصحابنا، وفّقكم اللّه، من كان على طهاره فليدخل و ليصلّ، و من كان محدثا فليجدّد وضوءه و يصلى، فان المولى نور الدّين- بحمد اللّه- فى عافيه، و قد تقدّم بما يفعل، فانصرفوا راشدين». فانصرفوا و قالوا: «ايش نقول لقاضينا»! و نزل المؤذّنون و صلى بالنّاس، و سكنت الفتن.

فلما عوفى نور الدّين قصد حرّان، فهرب نصره الدّين أمير أميران،

و ترک أولاده بالقعله بحرّان فتسلّمها، و أخرجهم منها، و سلّمها إلى زين الدين على كوچک، نائب أخيه، قطب الدّين.

ثمّ سار إلى الرقّه و بها أولاد أميرک الجاندار، و قد مات أبوهم، فشفع إليه بعض الأمراء فى إبقائها عليهم، فغضب، قال: «هلّا شفعتم فى أولاد أخى لمّا أخذت منهم حرّان، و كانت الشّفاعه فيهم من أحب الأشياء إلىّ»؛ و أخذها منهم.

و خرج مجد الدّين بن الدّايه من حلب إلى الغزاه، فى شهر رجب من سنه خمس و خمسين، فلقى جوسلين بن جوسلين، فكسره، و أخذه أسيرا، و دخل به إلى قلعه حلب.

ثمّ إنّ الفرنج أغاروا على بلد عيّن تاب، فأخذوا التّركمان، و نهبوا أغنامهم، و عادوا يريدون أنطاكيه، فخرج إليهم مجد الدّين، و لقيهم بالجومه(۱)، و كسرهم، و قتل منهم خلقا عظيما، و أسر البرنس الثّانى و خلقا معه، و دخل بهم إلى حلب فى مستهل ذى الحجه من سنه ست و خمسين و خمسمائه.

و فى سنه سبع، ولى نور الدّين كمال الدّين أبا الفضل محمّد بن الشّهرزورى قضاء ممالكه كلّها؛ و أمر القضاه ببلاده أن يكتبوا فى الكتب بالنّيابه عنه، و كان قد حلف له على ذلک و عاهده عليه، و كان ذلک بدمشق

۱- الجومه: من نواحى حلب. معجم البلدان.

فى السّنه المذكوره، فامتنع زكىّ الدّين قاضى دمشق، فعزل؛ و كتب إلى جدّى أبى الفضل بحلب، فامتنع أيضا.

و وصل نور الدّين و معه مجد الدّين بن الدّايه، و استدعاه نور الدّين إلى القلعه، و قال: «كنّا قد عاهدنا كمال الدّين، و حلفنا له على هذا الأمر، و ما أنت إلّا نائبى، و له اسم قضاء البلاد لا غير» فامتنع و قال:

«لا أنوب عن مكانين». فولّى قضاء حلب محيى الدّين أبا حامد بن كمال الدّين، و أبا المفاخر عبد الغفور بن لقمان الكردى؛ و ذلك بإشاره مجد الدّين لوحشه كانت بينه و بين جدّى.

[هزيمه نور الدين فى البقيعه]

ثمّ إنّ نور الدّين جمع العساكر بحلب، فى سنه سبع، و سار إلى حارم، و قاتلها، فجمع الفرنج جموعهم، و ساروا إليه. فطلب منهم المصاف فلم يجيبوه، و تلطّفوا معه حتّى عاد إلى حلب.

ثمّ جمع العساكر فى سنه ثمان و خمسين و خمسمائه، و دخل إلى بلاد الفرنج، و نزل فى البقيعه تحت حصن الأكراد محاصرا له، و عازما على أن يقصد طرابلس.

فاجتمع الفرنج، و خرج معهم الدّوقس الرّومى، و كان قد خرج فى جمع كثير من الرّوم، و اتّفق رأيهم على كبسه المسلمين نهارا، فإنّهم يكونون آمنين، فركبوا لوقتهم و لم يتوقفوا، و ساروا مجدين إلى أن قربوا من يزك(۱)

۱- اليزك: الحرس المتقدم أو الطلائع.

المسلمين، فلم يكن لهم بهم طاقه، و أرسلوا إلى نور الدّين يعرّفونه الحال، فرهقهم الفرنج بالحمله عليهم فلم يثبت المسلمون و عادوا منهزمين إلى نور الدّين و الفرنج فى ظهورهم، فوصلوا جميعا إلى عسكر نور الدّين، حتّى خالطهم الفرنج، فقتلوا، و أسروا، قتلا عظيما و أسرا كبيرا.

و كان الدّوقس أشدّهم على المسلمين، فلم يبق أصحابه على أحد و قصدوا خيمه نور الدّين، و قد ركب فيها فرسه، فنجا بنفسه؛ و لسرعته ركب الفرس و الشّبحه فى رجله، فنزل انسان كردىّ، و فداه بنفسه، فقطع الشّبحه، و نجا نور الدّين، و قتل الكردىّ، فأحسن إلى مخلفيه، و وقف عليهم الوقوف(۱).

و وصل نور الدّين إلى بحيره قدس(۲)، و بينه و بين المعركه نحو أربعه فراسخ؛ و تلاحق به من سلم من العسكر، فقال له بعضهم: «المصلحه أن نسير، فانّ الفرنج ربّما طمعوا و جاؤوا إلينا، و نحن على هذه الحال»؛ فوبّخه و أسكته، و قال: «إذا كان معى ألف فارس التقيتهم، و و اللّه لا أستظلّ بسقف حتى آخذ بثأرى و ثأر الاسلام».

و أرسل إلى حلب و دمشق، و أحضر الأموال و الثّياب و الخيام و السّلاح و الخيل، فأعطى الناس عوضا عمّا أخذ منهم بقولهم، و أصبح عسكره كأن لم يهزم و لم ينكب، و كلّ من قتل أعطى أولاده أقطاعه.

۱- انظر وليم الصورى ص ۸۸۷- ۸۸۸.

۲- بحيره قدس هى بحيره قطينه حاليا قرب حمص.

و لمّا رأى أصحاب نور الدّين كثره خرجه قال له بعض صحابه السّوء:

«إنّ لك فى بلادك إدرارات و صلات و وقوفا كثيره على الفقهاء، و الفقراء، و القرّاء، و الصوفيّه و غيرهم؛ فلو استعنت بها فى هذا الوقت لكان أصلح»، فغضب من ذلك و قال: «و اللّه إنّنى لا أرجو النّصر إلّا بدعاء أولئك، فإنّما ترزقون و تنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عنّى و أنا نائم على فراشى بسهام لا تخطى ء، و هؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال، كيف يحلّ لى أن أعطيه غيرهم!».

و قيل: إنّ برهان الدّين البلخى قال لنور الدّين: «أتريدون أن تنصرا و فى عسكركم الخمور و الطّبول و الزّمور، كلّا و اللّه». فلمّا سمع نور الدّين كلامه عاهد اللّه على التّوبه، و نزع عنه ثيابه تلك التى كان يلبسها، و التزم بلبس الخشن؛ و بطل جميع ما كان بقى فى بلاده من الأعشار و المكوس و الضّرائب؛ و منع من ارتكاب الفواحش، و كتب إلى البلاد إلى زهّادها و عبّادها يذكر لهم ما نال المسلمين من القتل و الأسر، و يستمدّ منهم الدّعاء، و ان يحثّوا المسلمين على الغزاه؛ و كاتب الملوك الإسلاميه يطلب منهم النجد و الاستعداد، و امتنع من النّوم على الوطى ء و عن جميع الشّهوات.

[الوزير شاور السعدى فى دمشق]

و راسله الفرنج فى طلب الصّلح فامتنع، فبينا هو فى الاستعداد للجهاد إذ ورد عليه فى شهر ربيع الأوّل، من سنه تسع و خمسين و خمسمائه، شاور وزير العاضد بمصر إلى دمشق، ملتجئا إليه، و مستجيرا به على ضرغام، و كان قد نازعه فى الوزاره و غلب عليها.

[حمله شيركوه الأولى إلى مصر]

و طلب منه إرسال العسكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه، و يكون لنور الدّين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر، و يكون نائبه مقيما بعساكره فى مصر، و يتصرّف بأمر نور الدّين و اختياره، فبقى متردّدا بين أن يفعل ذلك و بين أن يجعل جلّ قصده إلى الفرنج، ثمّ قوى عزمه و سيّر أسد الدّين شيركوه بن شادى، فى عسكر معه، فى جمادى الأولى من سنه تسع و خمسين، و تقدّم إلى أسد الدّين أن يعيد شاور إلى منصبه.

و سار نور الدّين إلى طرف بلاد الفرنج ممّا يلى دمشق، بما بقى من العساكر ليمنع الفرنج من التّعرّض لأسد الدّين و شاور فى طريقهما، فاشتغل الفرنج بحفظ بلادهم من نور الدّين عن التّعرّض لهما، و وصل أسد الدّين و شاور إلى بلبيس، فخرج إليهم ناصر الدّين أخو ضرغام بعسكر المصريّين، و لقيهم فانهزم و عاد إلى القاهره.

و وصل أسد الدّين إلى القاهره، فنزل عليها فى آخر جمادى الآخره، فخرج ضرغام فقتل، و قتل أخوه، و خلع على شاور و أعيد إلى الوزاره.

و أقام أسد الدّين بظاهر القاهره، فغدر شاور، و عاد عمّا كان قرّره مع نور الدّين، و أمر أسد الدّين بالعود إلى الشّام فامتنع، و طلب ما كان استقرّ فلم يجبه إليه، فأرسل أسد الدّين نوّابه فتسلّموا بلبيس، و حكم على البلاد الشرقيه.

فأرسل شاور إلى الفرنج، و استنجد بهم، و خوّفهم من نور الدّين إن ملك مصر، فسارعوا إلى تلبيته، و طمعوا فى ملك الديار المصريّه، و ساروا

إلى بلبيس، و سار نور الدّين إلى طرف بلادهم ليمنعهم عن المسير، فلم يلتفتوا، و تركوا فى بلادهم من يحفظها.

و سار ملك القدس فى الباقين إلى بلبيس، و استعان بجمع كثير كانوا خرجوا إلى زياره القدس؛ و أقام أسد الدّين ببلبيس، و حصره الفرنج، و العسكر المصرىّ ثلاثه أشهر و هو يغاديهم القتال و يراوحهم، فلم يظفروا منه بطائل، مع أنّ سور بلبيس قصير، و هو من طين(۱).

فعند ذلک خرج نور الدّين لقصد بلاد الفرنج، و نزل إلى حلب و جمع العساكر و أرسل إلى أخيه قطب الدّين صاحب الموصل، و إلى فخر الدّين قرا أرسلان صاحب حصن كيفا و إلى نجم الدّين ألبى صاحب ماردين و غيرهم من أصحاب الأطراف و استنجد بهم.

فسار قطب الدّين و مقدّم عسكره زين الدّين على كوچک، و سيّر صاحب ماردين عسكره؛ و أما صاحب الحصن فقال له خواصّه و ندماؤه:

«على أى شىء عزمت»؟ فقال: «على القعود، فإنّ نور الدّين قد تحشّف من كثره الصّوم و الصّلاه، فهو يلقى نفسه و من معه فى المهالک».

فلمّا جاء الغد أمر العسكر أن يتجهّز للغزاه فسألوه عمّا صدفه عن رأيه، فقال: «إنّ نور الدّين إن لم أنجده خرجت بلادى عن يدى، فانه قد كاتب زهادها و المنقطعين عن الدّنيا يستمدّ منهم الدّعاء، و يطلب منهم أن

۱- انظر وليم الصورى ص ۸۹۴- ۹۲۲.

يحثّوا المسلمين على الغزاه، و قد قعد كلّ واحد منهم و معه أتباعه و أصحابه، و هم يقرؤون كتب نور الدّين، و يبكون، فأخاف أن يجتمعوا على لعنتى و الدعاء علىّ». ثم تجهّز و سار بنفسه.

و لمّا اجتمعت العساكر خرج نور الدّين إلى حارم، و حصرها، و نصب المجانيق عليها، و زحف إليها، فخرج البرنس بيمند، و القمص صاحب طرابلس، و ابن جوسلين و الدوك مقدّم كبير من الروم. و ابن لاون ملك الأرمن، و جمعوا جميع من بقى من الفرنج بالسّاحل، و قصدوا نور الدّين.

فرحل إلى أرتاح ليتمكّن منهم إن طلبوه (و يبتعدوا) عن البلاد إن لقوه؛ و سيّر أثقاله إلى تيزين(۱)، فساروا فنزلوا على الصفيف(۲)، ثم عادو إلى حارم، فتبعهم نور الدّين على تعبئه الحرب، فلمّا تقاربوا اصطفّوا للقتال فحمل الفرنج على ميمنه المسلمين، و فيها عسكر حلب و صاحب الحصن، فانهزم المسلمون حتّى وصلوا إلى جدارهم؛ و نور الدّين واقف بازائهم على تلّ هناك يتضرّع إلى اللّه، و هو مكشوف الرّأس.

و بقى راجل الفرنج فوق عمّ، ممّا يلى حارم بالصّفيف، فعطف عليهم زين الدّين علىّ كوچك فى عسكر الموصل، و كان نور الدين قد جعله كمينا فى طرف العمق، و آجام القصب، فقتلهم عن آخرهم.

۱- تيزين من نواحى حلب، كانت تعد من أعمال قنسرين. معجم البلدان.

۲- فى الروضتين نقلا عن العماد و الأصفهانى« نزلوا على عم» الروضتين ج ۱ ص ۱۳۳، هذا و يوجد الآن فى منطقه حارم قريه اسمها صفصافه.

و رجعت الخيّاله من الفرنج خوفا على الرّاجل أن يتبعوا المسلمين، فيقع المسلمون عليهم، فوجدوا الأمر على ما قدّروه، فرأوا الرّجاله منهم قتلى و أسرى، و اتّبعهم نور الدين مع من انهزم من المسلمين، فأحاطوا بهم من جميع الجهات، فاشتدّ الحرب، و كثر القتل فى الفرنج، فوقعت عليهم الغلبه.

و عدل المسلمون إلى الأسر، فأسروا صاحب أنطاكيه، و صاحب طرابلس، و الدّوك مقدّم الروم، و ابن جوسلين، و لم يسلم إلّا مليح بن لاون، قيل إنّ الياروقيّه أفرجوا له حتى هرب، لأنّه كان خالهم، و كان عدّه القتلى تزيد على عشره آلاف.

و سار إلى حارم فملكها فى شهر رمضان من السنه، و بث سراياه فى أعمال أنطاكيه، فنهبوها و أسروا أهلها، و باع البرنس بمال عظيم و أسرى من المسلمين(۱).

ثمّ سار فى هذه السّنه إلى دمشق، بعد أن أذن لعسكر الموصل و ديار بكر بالعود إلى بلادهم، ثمّ خرج إلى بانياس، فحصرها و قاتلها، و كان معه أخوه نصره الدّين أمير أميران- و كان قد رضى عنه و سامحه- و هو على حارم، بعد أن دخل إلى الفرنج، فأصابه سهم أذهب إحدى عينيه، فقال له: «لو كشف لك عن الأجر الّذى أعدّ لك لتمنّيت ذهاب الأخرى»، و جدّ فى حصارها و فتحها، و ملأ القلعه بالذّخائر و الرّجال، و شاطر الفرنج

۱- انظر و قارن الروضتين ج ۱ ص ۱۳۳- ۱۳۴.

فی أعمال طبریه، و قرّروا له علی ما سوی ذلک مالا فی کل سنه.

و وصل خبر فتح حارم و بانیاس إلی الفرنج النّازلین علی بلبیس، فأرادوا العود إلی بلادهم، فراسلوا أسد الدّین فی الصّلح رجاء أن یلحقوا بانیاس، فاتّفق الحال علی أن یعود إلی الشّام، و یسلّم ما بیده من أعمال مصر إلی أهلها، و لم یکن عنده علم بما جری لنور الدّین بالشّام، و کانت الذّخائر قد قلّت عنده ببلبیس.

و خرج من الدّیار المصریه إلی الشّام، و جاء الفرنج لیدرکوا بانیاس، فوجدوا الأمر قد فات، و کشف أسد الدّین الدیار المصریه، و استصغر أمر من بها.

[حمله شیرکوه الثانیه]

و دخلت سنه إحدی و ستّین و خمسمائه، فسار نور الدّین إلی المنیطره(۱) جریده فی قله العسکر، علی غفله من الفرنج، و حصر حصنها، و أخذه عنوه، و قتل من به، و سبی و غنم غنیمه کثیره، و أیس الفرنج من استرجاعه بعد أن تجمّعوا له و تفرّقوا.

و تحدّث أسد الدّین مع نور الدّین، فی عوده إلی الدّیار المصریّه، فلمّا رأی جدّه سیّره إلیها فی ألفی فارس من خیار العسکر، فی سنه اثنتین و ستّین و خمسمائه.

فسار علی البرّ، و ترک بلاد الفرنج علی یمینه، فوصل الدیار المصریّه

۱- حصن بالشام قرب طرابلس. معجم البلدان.

و عبر النّيل إلى الجانب الغربى عند أطفيح(۱)، و حكم على البلاد الغربيّه، و نزل بالجيزه مقابل مصر، فأقام نيّفا و خمسين يوما.

فأرسل شاور و استنجد بالفرنج، فسار أسد الدّين إلى الصّعيد، و بلغ إلى موضع يعرف بالبابين(۲)؛ و سارت العساكر المصريّه و الفرنجيّه خلفه، فوصلوا إليه و هو على تعبئه و قد جعل أثقاله فى القلب ليتكثّر بها؛ و جعل ابن أخيه صلاح الدين فى القلب، و أوصاهم متى حملوا عليه أن يندفع بين أيديهم قليلا، فإذا عادوا فارجعوا فى أعقابهم.

و اختار من يثق بشجاعته، و وقف بهم فى الميمنه، فحمل الفرنج على القلب، فاندفع بين أيديهم غير مفرقين، فحمل أسد الدّين بمن معه على من بقى منهم، فهزمهم و وضع السّيف فيهم، و أكثر القتل و الأسر، و عاد الذين حملوا على القلب فوجدوا أصحابهم قد مضوا قتلا و أسرا فانهزموا.

و سار أسد الدّين إلى الاسكندريّه، ففتحها باتّفاق من أهلها، و استناب بها صلاح الدين، و عاد إلى الصّعيد، و جبى أمواله.

و تجمّع الفرنج و المصريّون، و حصروا صلاح الدّين بالاسكندريّه، فصبروا على الحصار إلى أن عاد أسد الدّين، فوقع الصّلح على أن بذلوا لأسد الدين خمسين ألف دينار، سوى ما أخذ من البلاد، و أن الفرنج

۱- بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر، على شاطى ء النيل فى شرقيه. معجم البلدان.

۲- على عشره أميال من المنيه. وليم الصورى ص ۹۱۱- ۹۱۳ مع وصف المعركه بتفاصيل مفيده جدا.

لا یقیمون فی البلاد، فاصطلحوا علی ذلک، و عاد إلی الشّام، و تسلّم المصریّون الاسکندریه(۱).

و أمّا نور الدّین فإنّه جمع العساکر فی هذه السّنه، و دخل من حمص إلی بلاد الفرنج، فنازل عرقه، و نهب بلدها، و خرّب بلادهم، و فتح صافیتا و العریمه، و عاد إلی حمص، و خرج إلی بانیاس، و خرج إلی هونین(۲)، فانهزم الفرنج عنه و أحرقوه، فوصل إلیه نور الدین من الغد، فخرب سوره و عاد.

و کان حسّان صاحب منبج قد مات، و أقطع نور الدّین منبج ولده غازی بن حسّان، فعصی علیه فی هذه السّنه، فسیّر إلیه عسکرا، و أخذوها منه فأقطعها أخاه قطب الدّین ینال بن حسّان، و هو الّذی ابتنی المدرسه الحنفیّه بمنبج.

و فی سنه ثلاث و ستّین و خمسمائه، نزل شهاب الدّین مالک بن علیّ بن مالک صاحب قلعه جعبر لیتصیّد، فأخذه بنو کلاب أسیرا و حملوه إلی نور الدّین فی رجب، فاعتقله و أحسن إلیه، و رغّبه فی الأقطاع فلم یجبه، فعدل إلی الشدّه و العنف.

ثمّ سیّر إلیها عسکرا فلم یقدر علی فتحها، فعدل إلی اللّین مع صاحبها، إلی أن اتّفق الحال علی أن عوّضه عنها بسروج و بزاعا و الملوحه(۳)،

۱- انظر ولیم الصوری ص ۹۱۳- ۹۲۲.

۲- هونین حصن بجبل عامله فی جنوب لبنان الحالی. انظر معجم البلدان.

۳- الملوحه قریه کبیره من قری حلب.

و سلّم إليه القلعه فى سنه أربع و ستّين، و قيل لمالك: «أيّما أحبّ إليك سروج أو القلعه؟» فقال: «هذه أكثر مالا، و أمّا العزّ ففارقناه بالقلعه».

و فى هذه السّنه أطلق نور الدّين فى بلاده بعض ما كان قد بقى من المظالم و المؤن.

[وزاره شيركوه للعاضد]

ثمّ إنّ الفرنج طمعوا فى الدّيار المصريّه فصعدوا إليها فى سنه أربع و ستّين و خمسمائه، و أخذوا بلبيس، و ساروا إلى القاهره فقاتلوها؛ و سيّر العاضد يستغيث إلى نور الدّين، و سيّر شعور نسائه فى الكتب، فوصله الرّسول و هو بحلب، و بذل له ثلث بلاد مصر، و أن يكون أسد الدّين مقيما عندهم.

و كتبوا إلى أسد الدّين بمثل ذلك، فوصل إلى نور الدين إلى حلب من حمص و قد عزم على الايفاد إليه، فأمره بالتجهّز إلى مصر، و أعطاه مائتى ألف دينار سوى الثّياب و السّلاح و الدّواب، و حكمه فى العسكر و الخزائن فاختار ألفى فارس، و أخذ المال و جمع ستّه آلاف فارس، و سار هو و نور الدّين إلى دمشق، فوصلها سلخ صفر، و رحل إلى رأس الماء(۱).

و أضاف إلى أسد الدّين جماعه من الأمراء منهم: عزّ الدّين جورديك، و غرس الدّين قلج، و شرف الدّين برغش، و عين الدّوله بن ياروق، و قطب الدّين ينال بن حسّان، و صلاح الدّين ابن أخيه.

۱- نبع السريا فى حوران الذى تشرب منه بلده الشيخ مسكين.

و سار أسد الدّين، فلمّا قارب مصر رحل عنها الفرنج إلى بلادهم، و وصل أسد الدّين إلى القاهره سابع جمادى الآخره، و دخل إليها و اجتمع بالعاضد، و خلع عليه و عاد إلى خيامه، و فى نفس شاور منه ما فيها، و لا يتجاسر على إظهاره.

و كان شاور يخرج فى الأحيان إلى أسد الدّين يجتمع به، فخرج فى بعض الأيّام على عادته فلم يجده فى الخيام، و كان قد مضى لزياره قبر الشّافعي- رضى اللّه عنه- فلقيه صلاح الدّين، و جورديك، فى جمع من العسكر و خدموه، و أعلموه أنّ أسد الدّين قد مضى للزيّاره فقال: «نمضى إليه» فساروا جميعا، فساوره صلاح الدّين و جورديك، و ألقياه إلى الأرض، فهرب عنه أصحابه و أخذ أسيرا.

و أرسلوا إلى أسد الدّين فحضر فى الحال، و جاءه التّوقيع فى الحال بالوزاره على يد خادم خاص، و يقول: «لا بدّ من رأسه»، جريا على عادتهم فى وزرائهم أنّ الذى يقوى على الآخر يقتله، فقتل و أنفذ رأسه إلى العاضد(۱).

و أنفذ إلى أسد الدّين خلعه الوزاره، فسار و دخل القصر، و ترتّب وزيرا فى سابع عشر شهر ربيع الآخر، و دام آمرا ناهيا إلى أن عرض له خوانيق، فمات فى الثّانى و العشرين من جمادى الآخره(۲).

۱- انظر لمزيد من التفاصيل وليم الصورى ص ۹۲۸- ۹۳۶.

۲- توفى نتيجه نهمه و تخليطه بالطعام انظر ما ذكره ابن الأزرق الفارقى ص ۵۳۱۹ من الموسوعه الشاميه.

و فوّض الأمر بعده إلى ابن أخيه، و كان جماعه من الأمراء الذين كانوا مع أسد الدّين قد تطاولوا إلى الوزاره، منهم: عين الدّوله بن ياروق، و سيف الدّين المشطوب، و شهاب الدّين محمود الحارميّ- خال السّلطان صلاح الدّين- و قطب الدّين ينال بن حسّان.

[وزاره صلاح الدين للعاضد]

فأرسل العاضد إلى صلاح الدّين، و أحضره عنده، و ولّاه الوزاره بعد عمّه، و خلع عليه، و لقّبه بالملك النّاصر، فاستتبّت أحواله، و بذل المال، و تاب عن شرب الخمر، و أخذ فى الجدّ و التشمير فى أموره كلّها، و كان الفقيه عيسى الهكّارى معه، فميّل الأمراء الذين كانوا قد طمعوا بالوزاره إلى الانقياد إليه، فأجابوا سوى عين الدّوله بن ياروق، فإنّه امتنع، و عاد إلى نور الدّين إلى الشّام.

فاستمرّ الملك الناصر بالدّيار المصريّه وزيرا، و هو نائب عن نور الدّين، و كان إذا كتب إليه كتابا يكتب: «الأمير الاسفهسلار، و كافّه الأمراء بالدّيار المصريّه يفعلون كذا». و تكتب العلامه على رأس الكتاب، و لا يذكر اسمه.

و سيّر الملك النّاصر، و طلب أباه نجم الدّين و أهله، فسيّرهم نور الدّين إليه مع عسكر، و اجتمع معهم من التّجّار خلق عظيم، و ذلك فى سنه خمس و ستّين.

و خاف نور الدّين عليهم من الفرنج، فسار فى عساكره إلى الكرك فحصره و نصب عليه المجانيق، فتجمّع الفرنج، و ساروا إليه و تقدّمهم ابن

الهنفری، و ابن الرقیق(۱)، فرحل نور الدّین نحوهما قبل أن تلحقهما بقیّه عساکر الفرنج فرجعا خوفا منه و اجتمعا ببقیّه الفرنج.

و سلک نور الدّین وسط بلادهم، فنهب و أحرق ما فی طریقه إلی أن وصل إلی بلاد الاسلام، فنزل علی عشترا(۲) علی عزم الغزاه، فأتاه خبر الزّلازل الحادثه بالشّام، فإنّها خربت حلب خرابا شنیعا، و خرج أهلها إلی ظاهرها.

[أخبار الزلازل]

و تواترت الزّلازل بها أیّاما متعدّده، و کانت فی ثانی عشر شوّال من السّنه یوم الاثنین طلوع الشمس، و هلک من النّاس ما یزید علی خمسه آلاف نفر ذکر و انثی، و کان قد احترق جامع حلب و ما یجاوره من الأسواق قبل ذلک فی سنه أربع و ستّین و خمسمائه، فاهتمّ نور الدّین فی عمارته و إعادته و الأسواق التی تلیه إلی ما کانت علیه، و قیل: إنّ الاسماعیلیّه أحرقوه.

و بلغه أیضا وفاه مجد الدّین ابن دایته، أخیه من الرضاعه بحلب، فی شهر رمضان سنه خمس و ستّین و خمسمائه، فتوجّه نور الدّین إلی حلب، فوجد أسوارها و أسواقها قد تهدّمت.

و نزل علی ظاهر حلب حتی أحکم عماره جمیع أسوارها، و بنی الفصیل الدائر علی البلد، و هو سور ثان.

۱- فی الروضتین ج ۱ ص ۱۸۳:« و ساروا الیه و ان ابن الهنفری و فیلیب بن الرقیق و هما فارسا الفرنج فی وقتهما فی المقدمه إلیه».

۲- علی مقربه من بلده نوی فی حوران سوریه.

و رمّم نوّابه ما خرب من الحصون و القلاع مثل بعلبک، و حمص و حماه، و بارين، و غيرها.

[توجه نور الدين إلى الموصل]

و خرج نور الدّين إلى تلّ باشر، فوصله الخبر بوفاه أخيه قطب الدّين بالموصل فى ذى الحجّه، و كان أوصى بالملك لابنه الأكبر عماد الدّين زنكى، و كان طوع عمّه نور الدّين لكثره مقامه عنده، و لأنّه زوج ابنته.

ثمّ إنّ فخر الدّين عبد المسيح و خاتون ابنه تمرتاش بن إيلغازى زوجه قطب الدّين، و هى والده سيف الدّين غازى بن قطب الدّين اتفقا على صرف قطب الدّين عن وصيّته لابنه عماد الدّين إلى سيف الدّين غازى.

فرحل عماد الدّين إلى عمّه نور الدّين مستنصرا به ليعينه على أخذ الملك له؛ فسار نور الدّين فى سنه ستّ و ستّين و خمسمائه، و عبر الفرات عند قلعه جعبر فى مستهلّ المحرّم، و قصد الرّقّه فحصرها و أخذها، ثم سار فى الخابور، فملكه جميعه، و ملك نصيبين، و أقام بها يجمع العساكر، و كانت أكثر عساكره فى الشّام فى مقابله الفرنج.

فلمّا اجتمعت العساكر سار إلى سنجار فحصرها، و نصب عليها المجانيق، و فتحها فسلّمها إلى عماد الدّين زنكى ابن أخيه، و جاءته كتب الأمراء بالموصل يبذلون له الطّاعه، و يحثّونه على الوصول إليهم، فسار إلى الموصل.

و كان سيف الدّين غازى و عبد المسيح قد سيّرا عزّ الدّين مسعود بن قطب الدّين إلى أتابک شمس الدّين إيلدكز صاحب أذربيجان و أصبهان،

یستنجدانه على نور الدّین، فأرسل إیلدکز إلیه رسولا ینهاه عن التعرّض للموصل فقال نور الدین: «قل لصاحبک أنا أصلح لأولاد أخی منک، فلا تـدخل بیننا، و عنـد الفراغ من إصـلاح بلادهم یکون لی معک الحدیث على باب همذان، فانک قد ملکت هذه المملکه العظیمه، و أهملت الثّغور حتّى غلب الکرج علیها؛ و قد بلیت أنا ولی مثل ربع بلادک بالفرنج، فأخذت معظم بلادهم، و أسرت ملوکهم».

و أقـام على الموصل فعزم من بها من الأمراء على مجاهره عبـد المسـیح بالعصـیان، و تسـلیم البلـد إلى نور الـدّین، فعلم بـذلک، فأرسل إلى نور الدین فی تسـلیم البلد على أن یقره بید سـیف الدّین؛ و طلب الأمان لنفسه و على أن یمضی صحبته إلى الشّام، و یقطعه ما یرضیه فتسلّم البلد، و أبقى فیه سیف الدّین غازی.

و عاد إلى حلب فدخلها فی شعبان من هذه السّنه.

[الغاء الخطبه الفاطمیه]

و کتب إلى الملک النّاصر صلاح الدّین یأمره بقطع الخطبه العاضدیّه و إقامه الخطبه المستضیئیّه العبّاسیّه، فامتنع و اعتذر بالخوف من قیام أهل الدّیار المصـریه علیه، و کان یؤثر أن لا یقطع الخطبه للمصریّین فی ذلک الوقت، خوفا من نور الدّین أن یدخل إلى الدّیار المصریّه فیأخذها منه، و إذا کان العاضد معه امتنع و أهل مصر معه، فلم یقبل عذره نور الدّین، و ألحّ علیه.

و کان العاضد مریضا فخطب للمستضی ء فی الدیار المصریّه، و توفیّ

العاضد، و لم يعلم بقطع الخطبه، و قيل: إنّه علم قبل موته؛ و كان ذلك فى سنه سبع و ستّين و خمسمائه.

و فى هذه السّنه تتبع نور الدّين رسوم المظالم و المؤن فى جميع البلاد الّتى بيده، فأزالها و عفى رسومها و محا آثار المنكرات و الفواحش، بعد ما كان أطلق من ذلك فى تواريخ متقدّمه، و كان مبلغ ما أطلقه أوّلا و ثانيا خمسمائه ألف و ستّه و ثمانين ألفا و أربعمائه و ستّين دينارا.

و كان رأى وزيره موفّق الدّين خالد بن القيسرانى فى المنام كأنّه يفصل ثياب نور الدين، ففسّر ذلك عليه، ففكّر فى ذلك و لم يردّ عليه جوابا، فخجل وزيره و بقى أيّاما و استدعاه، و قال: «تعال يا خالد، اغسل ثيابى»؛ و أمره فكتب توقيعا بازاله ما ذكرناه.

و سار الملك النّاصر من مصر غازيا، فنازل حصن الشّوبك و حصره، فطلبوا الأمان و استمهلوه عشره أيّام، فلمّا سمع نور الدّين بذلك سار عن دمشق، فدخل بلاد الفرنج من الجهه الأخرى، فقيل للملك الناصر: «إن دخل نور الدين من جانب و أنت من هذا الجانب ملك بلاد الفرنج، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، و إن جاء و أنت ههنا فلا بدّ لك من الاجتماع به، و يبقى هو المتحكم فيك بما شاء؛ و المصلحه الرّجوع إلى مصر».

فرحل عن الشّوبك إلى مصر، و كتب إلى نور الدّين يعتذر باختلال أمور الدّيار المصريّه و أنّ شيعتها عزموا على الوثوب بها، فلم يقبل نور الدّين

عذره، و تغیّر علیه و عزم على الدّخول إلى الديار المصريّه(۱).

[بدایات الخلاف بین صلاح الدین و نور الدین]

فسمع الملک النّاصر، فجمع أباه نجم الدّین و خاله شهاب الدّین، و تقیّ الدّین عمر، و غیرهم من الأمراء، و أعلمهم ما بلغه من حرکه نور الدّین و استشارهم، فلم یجبه أحد، فقام تقیّ الدّین، و قال: «إذا جاءنا قاتلناه» و وافقه غیره من أهله، فشتمهم نجم الدّین أیّوب والد الملک النّاصر، و أقعد تقیّ الدّین، و قال للملک النّاصر: «أنا أبوک، و هذا شهاب الدّین خالک، و نحن أکثر محبّه لک من جمیع من ترى؛ و و اللّه لو رأیت أنا و هذا خالک نور الدّین لم یمکننا إلّا أن نقبّل الأرض بین یدیه، و لو أمرنا أن نضرب عنقک بالسّیف لفعلنا، فإذا کنّا نحن هکذا، فما ظنّک بغیرنا، و کلّ من نراه عندک، فهو کذلک، و هذه البلاد لنور الدّین، و نحن ممالیکه و نوّابه فیها، فان أراد عزلک سمعنا و أطعنا، و الرّأی أن تکتب کتابا مع نجّاب و تقول له: بلغنی أنّک ترید الحرکه لأجل البلاد، و لا حاجه إلى ذلک بل یرسل المولى نجّابا یضع فی رقبتی مندیلا، و یأخذنی إلیک». و تفرّقوا.

فلمّا خلا نجم الدّین أیّوب بالملک النّاصر، قال له: «کیف فعلت مثل هذا؟ أما تعلم أنّ نور الدّین إذا سمع عزمنا على منعه و محاربته جعلنا أهمّ الوجوه إلیه، و حینئذ لا نقوى به، و أمّا إذا بلغه طاعتنا له ترکنا و اشتغل بغیرنا؛ و الأقدار بید اللّه، و و اللّه لو أراد نور الدّین قصبه من قصب السّکّر

۱- انظر ولیم الصوری ص ۹۴۸- ۹۵۳.

لقاتلته عليها حتّى أمنعه أو أقتل». ففعل ما أشار به عليه والده، فترك نور الدّين قصده، و اشتغل بغيره.

و خرج نور الدّين بالعساكر، ففتح حصن عرقه، و صافيتا، و عريمه(۱)، و نهب و خرّب بلاد الفرنج ثم هادنهم.

ثمّ إن الفرنـج ساروا إلى بلد حوران فى سـنه ثمان و ستّين للغاره، فسار نور الدّين إليهم، فنزل عشترا، و سـيّر عسـكره إلى أعمال طبريّه، فغنموا غنائم عظيمه، و عادوا.

[علاقات نور الدين مع مليح الأرمنى]

و كان نور الدّين قد اسـتخدم مليح بن لاون، ملك الأرمن، و أقطعه أقطاعا من بلاد الإسـلام، و حضـر معه حروبا متعدّده فأنجده فى هـذه السّـنه بطائفه من عسـكره، فـدخل مليح إلى أذنه و طرسوس و المصّـيصه، و فتحها من يد ملك الرّوم، و أرسل إلى نور الدّين كثيرا من غنائمهم و ثلاثين أسيرا من أعيانهم(۲).

و قصد قلج أرسلان ذا النّون بن الدّانشمند صاحب ملطيه و سيواس(۳)، و أخذ بلاده، و أخرجه عنها طريدا، فاستجار بنور الدين، و وصل إليه فأكرمه، و سيّر إلى قلج أرسلان يشفع إليه فى إعاده بلاده إليه،

۱- قلعه قريبه من منطقه صافيتا.

۲- انظر وليم الصورى ص ۹۶۲- ۹۶۳.

۳- هى الآن مركز ولايه فى تركيه و تبعد عن أنقره مسافه ۲۲۵ كم.

فلم يفعل فسار نور الـدّين إليه فى هـذه السّـنه فابتدأ بكيسوم(۱)، و بهسنى(۲)، و مرعش، و مرزبـان(۳)، و مـا يليها، و كان ملكه مرعش، فى أوائل ذى القعده، و الباقى بعدها.

و سيّر طائفه من عسكره إلى سيواس، فملكها؛ و راسله قلج أرسلان فى الصّلح، و أتاه من أخبار الفرنج ما أزعجه فصالحه، و أعطى سيواس ذا النّون، و جعل معه قطعه من عسكره، و شرط على قلج أرسلان إنجاده بعساكره إلى الغزاه.

و اتّفق نور الـدّين و صلاح الـدّين على أن يصل كلّ واحد منهما من جهته، و تواعدا على يوم معلوم على أن يتّفقا على قتال الفرنج، و أيهما سبق أقام للآخر منتظرا، إلى أن يقدم عليه، فسبق صلاح الدّين و وصل إلى الكرك و حصره.

و سار نور الدين فوصل الرّقيم(۴)- و بينه و بين الكرك مرحلتان- فخاف صلاح الدّين، و اتّفق رأيه و رأى أهله على العود إلى مصر لعلمهم بأنّهما متى اجتمعا كان نور الدّين قادرا على أخذ مصر منه.

[وفاه نجم الدين أيوب و نور الدين]

فعاد إلى مصر، و أرسل الفقيه عيسى إلى نور الدّين يعتذر عن رحيله

۱- انظر حولها الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۲ ص ۴۴۲- ۴۴۳.

۲- انظر حولها بغيه الطلب ص ۳۲۶.

۳- انظر حولها بغيه الطلب ص ۳۲۵.

۴- قال ياقوت فى معجمه:« و بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له الرقيم، يزعم بعضهم أن به أهل الكهف» و المعنى بهذا منطقه البتراء بالأردن.

بأنّه كان استخلف أباه نجم الدّين أيّوب على مصر، و أنّه بلغه أنّه مريض، و يخاف أن يحدث به حادث الموت فتخرج البلاد عن أيـديهم، و لم يكن مريضـا، و أرسل مع الفقيه عيسـى من التّحف و الهـدايا ما يجلّ عن الوصف، فجاء إليه فأعلمه برساله صـلاح الدّين، فعظم ذلك عليه و لم يظهر التأثّر بذلك، و قال: «حفظ مصر أهمّ عندنا».

و اتّفق أنّ صـلاح الـدّين وصـل إلى مصـر فوجـد أبـاه قـد سـقط عن الفرس، و بقى أيّامـا و مـات، و هو غـائب عنه، فى السّابع و العشرين من ذى الحجّه من سنه ثمان و ستّين و خمسمائه.(۱)

و خاف صـلاح الدّين من نور الدّين أن يدخل مصر فيأخذها منهم، فشرع فى تحصيل مملكه أخرى لتكون عدّه له بحيث أنّ نور الدّين إن غلبه إلى الديار المصريّه سار هو و أهله إليها و أقاموا بها.

فسيّر أخاه الأكبر تورانشاه بإذن نور الـدّين له فى ذلك، و سـيّره قاصـدا عبد النبى بن مهدىّ، و كان دعا إلى نفسه، و قطع خطبه بنى العبّاس، فمضى إليها، و فتح زبيد و عدن و معظم بلاد اليمن.

و صلاح الدّين على ما كان عليه من الطّاعه فى الظّاهر لنور الدّين إلى أن اتّفق أن مرض نور الدّين بعلّه الخوانيق بدمشق، و توفّى بها يوم الأربعاء حادى عشر شوّال من سنه تسع و ستّين و خمسمائه، و كان قد شرع فى التأهّب

۱- خير مصدر حول موضوع التوسع الأيوبى فى اليمن هو كتاب« السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن» لمحمد بن حاتم اليامى- ط، بيروت ۱۹۷۴.

للدخول إلى الديار المصريّه و ختن ولده الملك الصّالح اسماعيل بدمشق، فى خامس شوّال، و أخرج صدقات كثيره و كسوات للأيتام الّذين ختنهم معه.

و اتّسع ملكه بحيث خطب له بالحرمحين الشّريفين و بلاد اليمن الّتى افتتحها شمس الملوك، و انعمر بلد حلب فى زمانه لعدله و حسن سيرته حتّى لم تبق مزرعه فى جبل و لا واد إلّا فيها سكّان و لها مغلّ.

و صار على ظاهر حلب من العماره و المساكن أكثر من المدينه، مثل الحاضر السّليمانى، و خارج باب الأربعين، و غير ذلك من الأبواب جميعها.

و ارتفعت الأسعار مع كثره المغلّات لكثره العالم، حتّى كانت الأسعار فى السّنه الّتى مات فيها بعد ذلك الرّخص فى السّنه التى مات فيها والده:

الحنطه مكّوك و نصف بدينار، و الشّعير مكّوكان و نصف بدينار، و العدس مكّوك و مصع بدينار، و الجلبان كذلك، و القطن ستّه أرطال جوز بدينار.

و اللّه تعالى يرحمه

[أيام الصالح اسماعيل]

و قام الملك الصّالح بالملك بعده(۱)، و كان عمره إحدى عشره سنه، و حلف له الأمراء بدمشق. و خطب له الملك النّاصر صلاح الدّين بمصر، و أرسل إليه رسولا يعزّيه، و معه دنانير مصريه عليها اسمه، و يعلمه أنّه فى طاعته، و أنّ الخطبه أقيمت له بمصر.

و أمّا حلب فكان الوالى بقلعتها جمال الدّين شاذبخت- الخادم

۱- للصالح اسماعيل ترجمه مفيده فى بغيه الطلب ص ۱۸۲۲- ۱۸۲۶.

الهندیّ عتیق نور الدّین- و هو الّذی بنی المدرسه(۱) لأصحاب أبی حنیفه بحلب، و قبر بها، فوصله کتاب الطّیر بوفاه نور الدّین؛ فأمر فی الحال بضرب الدّبادب(۲)، و الکوسات، و البوقات، و أحضر المقدّمین و الأعیان بحلب، و الفقهاء و الأمراء، و قال:

«قد وصل کتاب الطّائر، یخبر أنّ مولانا الملک العادل قد ختن ولده؛ و ولّاه العهد بعده، و مشی بین یدیه».

فأظهروا السّرور بذلک، و حمدوا اللّه تعالی، فقال لهم: «تحلفون لولده الملک الصّالح، کما أمر الملک العادل بأنّ حلب له، و أنّ طاعتکم له و خدمتکم، کما کانت لأبیه». فحلف النّاس علی اختلاف طبقاتهم و منازلهم، فی ذلک الیوم، و لم یترک أحدا منهم یزول من مکانه، ثم قام إلی مجلس آخر، و لبس ثیاب الحداد، و خرج إلیهم و قال: «یحسن اللّه عزاءکم فی الملک العادل، فإنّ اللّه قد نقله إلی جنّات النّعیم».

و توجّه المؤیّد بن العمید، و عثمان زردک، و همام الدّین إلی حلب، لإثبات ما فی الخزائن بحلب، و ختمها بخاتم الملک الصّالح.

و کان وزیر الملک العادل نور الدّین: موفّق الدّین خالد بن محمد بن نصر بن القیسرانی، رسولا عنه بمصر. فاتّفق رأی الجماعه علی أن ولّوا وزاره الملک الصّالح: شهاب الدّین أبا صالح عبد الرّحیم بن أبی طالب بن

۱- یعرف موقعها الآن باسم جامع الشیخ معروف. الآثار الإسلامیه ص ۷۲- ۷۳.

۲- أی الطبول. القاموس.

العجمی، و کان عدلا علی خزائن نور الدّین.

و کان شمس الدّین علیّ، ابن دایه نور الدّین،(۱) أخو مجد الدّین لأمّه، من أکبر الأمراء النّوریه، و أمر حلب راجع إلیه و إلی إخوته فی أیام نور الدّین، و کان بحلب عند موت نور الدّین، و سابق الدّین عثمان و بدر الدّین حسن أخواه؛ فتولّی شمس الدّین علیّ تدبیر حلب، و صعد إلی القلعه، و حصل بها مع شاذبخت، و الأمیر بدر الدین حسن متولی الشّحنکیه بالمدینه.

و کان نور الدّین قد سیّر إلی الموصل و غیرها من البلاد یستدعی العساکر، بحجه الغزاه، و مقصوده الطّلوع إلی مصر، فسار سیف الدّین غازی بعسکر الموصل، و علی مقدّمته سعد الدّین کمشتکین الخادم، و کان قد جعله نور الدّین والیا من قبله بالموصل، فلما کانوا ببعض الطریق، وصلتهم الأخبار بموت نور الدّین هرب سعد الدین کمشتکین إلی حلب جریده.

و أمّا سیف الدّین فإنّه أخذ بلاد الجزیره جمیعها، سوی قلعه جعبر؛ فأرسل شمس الدّین علیّ بن الدّایه یطلب الملک الصالح إلی حلب، لیمنع سیف الدّین ابن عمه من البلاد الجزریه، فلم یمکنه الأمراء الّذین معه

۱- فی بغیه الطلب ص ۱۸۲۳:« و کان شمس الدین علی بن محمد ابن دایه نور الدین بقلعه حلب مع شاذبخت، و کان قد حدث نفسه بأمور، و اختلفت کلمه الأمراء، و تجهز الملک الناصر صلاح الدین من مصر للخروج إلی الشام، و طلب أن یکون هو الذی یتولی أمر الملک الصالح و تدبیر ملکه».

بدمشق من الانتقال إلى حلب خوفا أن يغلبهم عليه شمس الدّين علىّ.

و كان شمس الدّين محمّد بن عبد الملك بن المقدّم قد صار متوّلى تدبيره بدمشق، و كمال الدين بن الشهرزورى و جماعه من الأمراء معه، و كان قد أشار كمال الدين على الامراء بمشاوره الملك النّاصر فيما يفعلونه، لئلا يجعل ذلک حجّه عليهم؛ فخافوا منه و لم يفعلوا.

و خرج الفرنج، و حصروا قلعه بانياس فراسلهم ابن المقدم، و بذل لهم مالا، و خوّفهم بالإستنجاد بصلاح الدّين و سيف الدّين، فعادوا. و بلغ ذلک كلّه الملک النّاصر صلاح الدّين؛ فأرسل صلاح الدّين إلى الملک الصّالح، و عتب عليه حيث لم يعلمه بما تجدّد من سيف الدّين فى أخذ الجزيره ليحضر و يكفّه، و أنكر صلح الفرنج، و بذل المال لهم، و بذل من نفسه قصد الفرنج، و كفّهم عن التّطاول إلى شى ء من بلاد الملک الصالح.

و كتب إلى كمال الدّين و ابن المقدّم، و الأمراء، و قال: «لو أنّ نور الدّين يعلم أنّ فيكم من يقوم مقامى، أو يثق به مثلى لسلّم إليه مصر، و لو لم يعجّل عليه الموت لعهد الىّ بتربيه ولده، و أراكم قد تفردّتم بمولاى و ابن مولاى دونى، و سوف أصل إلى خدمته، و أكافى إنعام أبيه، و أجازى كلا منكم على فعله».

و كثر خوف شمس الدّين علىّ بن الدّايه من سيف الدّين غازى، و أن يعبر الفرات إلى حلب فيملكها، فأرسل سعد الدّين كمشتكين إلى دمشق، ليحضر الملک الصّالح، فلما قارب دمشق سيّر إليه شمس الدين بن المقدّم

عسكرا، فنهبوه؛ و عاد منهزما إلى حلب، فأخلف عليه شمس الدين علىّ بن الدّايه، عوضا عما أخذ منه.

ثم إنّ الأمراء بـدمشق، اتفقوا على إرسال الملك الصّالـح إلى ابن الـدّايه بحلب، لأنّها أمّ البلاد، فأنفذوا إليه يطلبون إرسال سـعد الـدّين ليأخـذ الملـك الصالـح، فوصل إليهم سـعد الـدّين كمشـتكين، و اتفقوا على أن يكون شـمس الـدّين علىّ أتابكا للملك الصالح، و حلف شمس الدين و جمال الدّين شاذبخت للأمراء على أقطاعهم، و نفذت النسخه مع سابق الدّين عثمان إلى دمشق.

[توجه الصالح إلى حلب]

و سار الملك الصّالح و أمّه مع سـعد الدّين كمشـتكين و الأمراء الّذين أقطاعهم بحلب، و لما وصـلوا ما بين حماه و حلب وصـل من جمال الدين شاذبخت من خوّف الأمراء من بنى الدّايه، فقبضوا «سابق الدين عثمان»، بقنّسـرين؛ و كتموا الحال؛ و وصلوا إلى باب حلب، فخرج بـدر الـدّين حسن، فقبضوه، و دخلوا من «باب الميدان» و قد عمل به الخوان، فلم يلتفتوا اليه، و بادروا بالملك الصّالح، و صعدوا به إلى القلعه.

و كان «بشـمس الـدّين علىّ» نقرس، فحمل فى محفّه، و حضـر بين يـدى الملك الصّالـح، فزنـدوا يديه، و قيّدوا أخويه، و جعلوا الجميع فى المطموره(۱)، بالمركز.

۱- كشف حديثا عن سجن كان تحت الأرض فى قلعه حلب و عثر به على ما يزيد عن عشرين من الهياكل العظيمه.

و كان شاذبخت قد احتاط، و استخدم جماعه من الأجناد، فصار فى مقدار خمسمائه راجل، و «شمس الدّين» فى مقدار مائه، و أمر اسباسلار(۱) باب القلعه أبا بكر بن مقبل: أن يمنع من يصعد إلى القلعه من أصحابه و أصحاب إخوته، ما خلا سابق الدّين و بدر الدّين، فكانا يصعدان، و مع كلّ واحد منهما غلام واحد؛ و وكّل بباب شمس الدّين ثلاثين رجلا كلّ ليله، فعتب على شاذبخت فقال له: «أنا أبعث الرجال إليك، ليقوموا فى الخدمه»، و كان يوكّل بالأجناد الّذين خالفوه حفظه يمنعون من يدخل منهم أو يخرج، و كان هذا حال القلعه، فى غيبه الملك الصّالح.

و أما حال المدينه فانّ السّنّه من أهل البلد مالوا إلى «المجديه»، لتعصبّهم للسّنّه على الشّيعه، و جمعهم بدر الدّين حسن شحنه حلب، و استحلفهم فى اللّيل، و كان فيهم بنو العجمى، و الشيخ أبو يعلى بن أمين الدّوله، و بنو قاضى بالس- على ما ذكر- و طلب القاضى أبا الفضل بن الخشّاب و بنى الطّرسوسى، فأبوا أن يحضروا.

و كان أهل حلب من الشّيعه، يتوالون أبا الفضل بن الخشّاب، و يقدّمونه عليهم، فوافقوه على حفظ البلد للملك الصّالح، و على مخالفه بنى الدّايه، فسيّر بدر الدين حسن إلى ابن الخشّاب، و قال له: «إنّ جماعه عندى قذفوك، و تحدّثوا بأنك تطعن فى الدّوله، و أنك تريد أن تملك حلب».

۱- الضابط المسؤول عن حراسه باب القلعه.

و كان بدر الدّين و أخواه أرادوا أن تقع الفتنه بحلب بين السّنه و الشّيعه، ليستقيم أمرهم، فثار الغوغاء من الشّيعه و نهبوا دار قطب الـدين بن العجمى بالقرب من الزّجاجين، و دار أبى يعلى بن أمين الدّوله، بالجرن الأصـفر(۱). و كـان فيها أموال الأيتام، و انتقل ابن العجمى بعد ذلك إلى البلاط، و ابن أمين الدوله إلى تحت القلعه بالقرب من «مسجد السّيده»(۲).

و قتل فى ذلك اليوم فى «مدرسه الزجّاجين» الشيخ أبو العباس المغربىّ، و كان مقرئا محدّثا.

و ثـارت الفتنـه بين الطـائفتين؛ و طلب الفقراء دور الأغنيـاء فنهبت دار أبى جعفر بن المنـذر بـالعقبه(۳)، فجمع بدر الدين حسـن جماعه من الأجناد و من أهل البلد و السـنّه و من العسـكر، و ألبسـهم السلاح، و صعد إلى شاذبخت، و قال له: «إنّ أبا الفضل بن الخشّاب يريـد أن يملك البلـد و قـد مال إليه الشـيعه و بعض السّـنّه، فتعيننى بنقّابين و زرّاقين حتى أقبض عليه، و أعتقله، إلى أن يحضر الملك الصالح».

۱- انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۱ ص ۱۸۸ حيث يستخلص أن الجرن الأصفر كان من أحياء حلب.
۲- مسـجد السـيده علويه بنت و ثاب زوجه ثمال بن صالح و أم محمود بن نصـر مدفونه فيه. الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۱ ص ۱۸۱.
۳- انظر الآثار الإسلاميه ص ۵۴- ۵۵.

فأمر الأجناد بلبس السّلاح و الخروج معه، و صار بهم إلى «تلّ فيروز»(۱)- و هو موضع سوق الصّاغه الآن- و كان إذ ذاك تلا.

و أخذوا الفلايج و الأبواب، و سدّوا بها الدّروب، و زحفوا من الطّرق و الأسطحه، إلى دار ابن الخشّاب، و وقع قتال شديد، و قتل بين الفريقين جماعه كثيره، و انتهى إلى الدّار، فأحرقها و نهبها، و نهب أدر جماعه من المجاروين له.

و انهزم القاضى أبا الفضل، و اختفى فى دار فخرا و ابن كياعميد بالقرب من حمّام شراحيل(۲)، فأقام بها إلى أن وصل الملك الصّالح فى المحرّم، من سنه سبعين و خمسمائه، و صعد إلى القلعه، و قبض على بنى الدّايه- كما ذكرنا- و صار الأمر و التّدبير إلى سعد الدّين كمشتكين الخادم، و هو الّذى بنى الخانكاه(۳) المنسوبه إليه بحلب، فى جوارنا، و هى كانت دار «أبى الطّيّب المتنبى»، بحلب.

و كان شمس الدّين علىّ قد عزم على أنّ الملك الصّالح إذا قدم أخذ بمفرده، و صعد به إلى القلعه، و لا يمكّن أحدا من الأمراء من الصّعود، و يطردهم، و يستقلّ بالأمور.

فسيّر «شاذبخت» من أسرّ ذلك إلى الأمراء الذين كانوا فى صحبه

۱- انظر الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۱ ص ۳۴۶- ۳۴۷.

۲- لم يرد اسم هذه الدار أو الحمام فى الأعلاق الخطيره.

۳- انظرها فى الأعلاق الخطيره- قسم حلب- ج ۱ ص ۲۳۴.

«الملک الصّالح»، فاتّفق رأيهم فى قنّسرين على قبض أولاد الدّايه، و تحالفوا على أن قدّموا كمشتكين، فلمّا رحلوا من قنّسرين، بدأوا بسابق الدّين، و كان قد وجّهه إلى دمشق فى تقرير الأمور، فقبضوه، و حفظوا الطّرق لئّلا يصل إلى حلب من يخبر أخويه، إلى أن صعدوا إلى القلعه- كما ذكرنا-

[مقتل أبو فضل بن الخشاب]

و أما أبو الفضل بن الخشّاب، فإنّ «الملک الصالح» أمنّه، و سيّر له خاتما، و ركب إلى القلعه، و معه خلق كثير من أهل حلب، و عوامّها، يمشون فى خدمته، و أكّد أمره، و قرّر على أن يقتل، فلما دخل إلى القلعه، و وصل قدّام الفرن بالقلعه، ضربه علىّ أخو عز الدين جورديک فرماه.

و جاء بعض أجناد القلعه فاحتزّ رأسه، و جعلوه على باب القلعه. ثم رفع على رمح إلى برج بالقلعه، يقال له «برج الزيت»؛ و تفرّق أصحابه من تحت القلعه، عند ذلک.

و استولى على دوله «الملک الصالح» أمير لالا المجاهد ياقوت، و هو الحاكم عليه، و هو الّذى ربّاه، و جمال الدين شاذبخت الهندى و هو والى القلعه و الحاكم بها، و سعد الدين كمشتكين مقدّم العساكر و متوّلى إقطاعهم، و شهاب الدين أبو صالح بن العجمى، وزير الملک الصالح؛ فخاف، و ولّوا رئاسه حلب الرئيس صفىّ الدين طارق بن الطريره، و عزلوا أبا محمد الحكم، و كان يتولّى الرئاسه فى أيام نور الدّين.

فخاف ابن المقدّم و الأمراء، الذين بدمشق، أن يستقرّ أمر كمشتكين بحلب، فيأخذ الملک الصالح، و يسير إلى دمشق، و يفعل كما فعل بأولاد

الدّايه، فكاتبوا سيف الدّين غازى صاحب الموصل، ليصل إليهم، و يسلّموا إليه دمشق، فخاف أن تكون مكيده منهم، فامتنع من ذلك، و راسل سعد الدّين كمشتكين و الملك الصالح، و صالحهما على الجزيره، و ابقائها فى يده.

فخاف الأمراء، بدمشق من اتفاق «سيف الدين» و «الملك الصّالح» عليهم، فكاتبوا «الملك الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيوب»، و استدعوه من مصر ليملكوه عليهم؛ فسار من مصر فى سبعمائه فارس، و الفرنج فى طريقه، فلم يبال بهم، فخرج إليه صاحب بصرى- و كان ممّن كاتبه-.

[قدوم صلاح الدين إلى دمشق]

و لما وصل إلى دمشق خرج كلّ من كان بها من العسكر، و التقوه، و دخل البلد، و نزل فى دار أبيه المعروفه بدار «العقيقى»(۱)، و عصى عليه فى القلعه خادم اسمه «ريحان» فأعلمه أنه إنما جاء فى خدمه «الملك الصالح» فسلّم إليه القلعه، و صعد «الملك الناصر» إليها، و أخذ ما فيها من الأموال، فاستعان به، و تزوّج «خاتون بنت معين الدّين»، و كانت زوجه «نور الدّين»، و استخلف أخاه طغتكين سيف الإسلام.

و سار إلى حمص و حماه، و هما فى اقطاع «فخر الدّين مسعود بن الزعفرانى». و كان ظالما، فسار منها بعد موت «نور الدّين»، فملك «الملك الناصر» فى حادى عشر جمادى الأولى، من سنه سبعين، مدينه حمص.

۱- المكان الذى يقوم فيه الآن بناء المكتبه الظاهريه بدمشق.

و بقيت القلعه، و كان الولاه فى القلاع من جهه نور الدّين، فترك فى البلد من يحفظه، و يمنع من فى القلعه من النّزول.

و سار إلى حماه، فملك مدينتها مستهلّ جمادى الآخره، و كان بالقلعه عزّ الدّين جورديك، فأرسل إليه، و قال له: «إنّى فى طاعه الملك الصّالح، و الخطبه له فى البلاد التى فى يدى على حالها، و المقصود اتّفاق الكلمه على طاعه الملك الصّالح، و أن نستعيد البلاد الجزريه و نحفظ بلاده». فاستحلفه جورديك على ذلك، و سيّره إلى حلب فى اجتماع الكلمه، و فى اطلاق شمس الدّين علىّ و أخويه من السّجن، و كان إقطاعهم قد قبض من نوّابهم، و لم يبق فى أيديهم غير شيزر، «و قلعه جعبر».

و استخلف جورديك بقعله «حماه» أخاه ليحفظها، فلمّا وصل جورديك قبض عليه كمشتكين، و سجنه، فعلم أخوه بذلك، فسلّم قلعه حماه إلى الملك النّاصر.

[حصار صلاح الدين لحلب]

و سار الملك النّاصر إلى حلب، فوصلها فى ثالث جمادى الآخره من سنه سبعين، و حصرها. فركب الملك الصّالح، و هو صبىّ عمره اثنتا عشره سنه، و جمع أهل حلب، و قال لهم: «أنا يتيمكم، و قد عرفتم إحسان أبى إليكم، و قد جاء هذا الظّالم ينتزع ملكى»، و قال أقوالا كثيره، و بكى فأبكى الناس، و بذلوا أنفسهم و أموالهم له، و اتّفقوا على القتال دونه، و الذبّ عنه.

فجعل الحلبيّون يخرجون، و يقاتلون الملك النّاصر عند «جبل

جوشن»، فلا يقـدر أن يتقرّب إلى البلـد؛ و أرسل سـعد الـدّين كمشـتكين إلى «سـنان» مقدّم الاسـماعيليّه، و بذل له أموالا كثيره ليقتل الملك الناصر، فقفزوا عليه، فحماه اللّه منهم، و قتلوا(۱).

و بقى محاصـرا حلب إلى سـلخ جمادى الآخره، و كان كمشـتكين قد أرسل إلى سـيف الدّين غازى يستنجده، و كان «ريمند»- صاحب طرابلس الّذى أسـره نور الدّين- قد أطلقه كمشـتكين بمائه ألف و خمسـين ألفا صوريّه، فى هذه السّـنه، و صار موضع «مرى» ملك الفرنج(۲)، فأرسل من بحلب إليه يطلبون منه أن يقصد بعض البلاد الّتى بيد الملك النّاصر، ليرحل عنهم، فسار إلى حمص و نازلهـا، فرحـل الملـك النّاصـر عن حلب، مسـتهلّ شـهر رجب. فلمـا نزل «الرّسـتن». رحل الفرنـج عن حمص، و وصـل الملك النّاصر إليها، و حصر قلعتها إلى أن تسلّمها.

و سار إلى بعلبك، فتسلّمها و قلعتها، فى رابع شهر رمضان، من سنه سبعين و خمسمائه.

و أمـا سـيف الـدّين غازى فإنّه جمع عساكره، و كاتب أخاه عماد الـدّين زنكى صاحب سـنجار، لينزل إليه بعساكره ليجتمعا على نصـره الملـك الصّالـح، فـامتنع، و كان الملك النّاصـر قـد كاتبه، و أطمعه فى ملك الموصل، لأنّه الكبير من أولاد أبيه، فمضـى سيف الدّين إلى «سنجار»

۱- منذ ذلك الحين أقيم لصلاح برج خشبى كان لا يفارقه خوفا من الاغتيال.

۲- وصل إلى مرتبه الوصايه على بلدوين بن عمورى. وليم الصورى ص ۹۷۶- ۹۷۷.

محاصرا لها، و سيّر عسكرا كثيرا إلى حلب مع أخيه عزّ الدّين مسعود، مع أكبر أمرائه «زلفندار»، فوصل عزّ الدّين إلى حلب، و اجتمعت عساكر حلب معه، و ساروا إلى حماه، فقاتلوها.

فأرسل الملك النّاصر، و بذل لهم تسليم حمص و حماه، و أن يقرّ بيده دمشق، و أن يكون فيها نائبا عن الملك الصّالح، فلم يجيبوه إلى ذلك، و قالوا: «لا بدّ من تسليم جميع ما أخذه من الشّام، و عوده إلى مصر».

[معركه قرون حماه]

فسار الملك النّاصر إلى عزّ الدّين و زلفندار، فالتقوا تاسع عشر شهر رمضان، على قرون(۱) حماه. فانهزم عسكر الموصل، و ثبت عزّ الدّين بعد الهزيمه، فقال الملك الناصر: «إما أن يكون هذا أشجع النّاس، أو أنه لا يعرف الحرب». و أمر أصحابه فحملوا عليه حتى أزالوه عن موقفه، و تمّت الهزيمه، و تبعهم الملك النّاصر، و غنموا غنائم كثيره، و أسر جماعه كثيره، فأطلقهم.

و نزل الملك النّاصر على حلب، محاصرا لها، و قطع حينئذ خطبه الملك الصّالح، و أزال اسمه عن السّكّه فى بلاده، فلما طال الأمر عليهم راسلوه فى الصّلح، على أن يكون له ما بيده من بلاد الشّام، و لهم ما بأيديهم، و أخذ المعرّه، و كفرطاب، و انتظم الحال بينهم على ذلك.

و رحل عن حلب، فى العشر الأول من شوّال، إلى حماه، فوصلته

۱- جبلا زين العابدين و كفراع شمالى حماه.

خلع الخليفه بها مع رسوله، و وصل خبر الكسره إلى سيف الدّين، و هو محاصر سنجار، فصالح «عماد الدّين» على ما بيده، و رحل إلى الموصل، و شرع في جمع العساكر.

و سار الملك النّاصر من حماه إلى «بارين»، و فيها نائب عزّ الدّين بن الزّعفرانى، و لم يبق بيده غيرها، فحصرها إلى أن سلّمها واليها إليه بالأمان، فعاد إلى حماه، و أقطعها خاله شهاب الدّين محمود بن تكش الحارميّ، و أقطع حمص ناصر الدّين محمد ابن عمه أسد الدّين، و عاد إلى دمشق.

و خرج سيف الدّين غازى صاحب الموصل، في سنه إحدى و سبعين و خمسمائه. و سار إلى «نصيبين»، و استنجد صاحب «حصن كيفا» و صاحب «ماردين»، فاجتمع معه عسكر كثير بلغت عدّتهم سته آلاف فارس، و أقام بنصيبين حتى خرج الشّتاء، فضجرت العساكر و فنيت نفقاتهم(۱).

ثم سار إلى حلب، فعبر ب «البيره» و خيّم على جانب الفرات الشامى، و راسل كمشتكين و الملك الصالح، لتستقرّ قاعده يصل عليها إليهم، و وصل كمشتكين إليه، و جرت مراجعات كثيره، عزم فيها على العود مرارا، حتى استقرّ اجتماعه بالملك الصالح، و سمحوا به، فسار و وصل إلى حلب.

۱- انظر ما كتبه ابن الأزرق الفارقى. ۵۳۳۵- ۵۳۳۷ من الموسوعه الشاميه.

و خرج الملک الصّالح للقائه بنفسه، فالتقاه قریب «القلعه»، و اعتنقه، و ضمّه إلیه، و بکی، ثم أمره بالعود إلی القلعه فعاد، و سار هو، فنزل «بعین المبارکه»(۱)، و أقام بها مدّه و عسکر حلب تخرج إلی خدمته فی کلّ یوم، و صعد إلی قلعه حلب جریده، و أکل فیها شیئا، و نزل، و سار منها إلی «تلّ السّلطان»(۲)، و معه عسکر حلب، مضافا إلی العساکر الواصله معه.

[رجل یدعی النبوه]

و خرج رجل ادّعی أنّه المنتظر، و ادّعی النبوّه «بجبل لیلون»(۳)، و استغوی أهل تلک النّاحیه، و أظهر لهم زخارف، و محالا، و قال لهم: «إذا جاء العسکر إلیکم، فسوف أرمیهم بکفّ من تراب فأهلکهم». و أغاروا علی «ترکمان» «بجبل سمعان» و کان مقیما بأتباعه «بکفرند»، فخرج «طمان» من العسکر، و سعد الدّین کمشتکین بجماعه من العسکر، و وصلوا إلیهم، فجعل أتباعه یصیحون؛ «وعدک یا مولانا»! و السّیف یعمل فیهم، فألقی التراب، فزحف إلیه العسکر، و قتل الرجال و سبی النساء، و التجأ جماعه إلی المغایر، فاستخرجوهم و لم یبقوا إلّا علی من أسلم منهم، و دخّنوا علی جماعه فی المغایر، فماتوا، ثم عاد العسکر إلی «تلّ السّلطان»، بعد أن قتل و صلب(۴).

۱- من منتزهات حلب المشهوره. انظر تاریخ حلب لابن الشحنه- ط. طوکیو ۱۹۹۰ ص ۱۳۲، ۲۴۵، ۲۴۷.

۲- انظر تاریخ ابن الشحنه ص ۱۳۲.

۳- جبل لیلون جبل مطل علی حلب بینها و بین أنطاکیه. معجم البلدان.

۴- ذکر أبو شامه فی الروضتین ج ۱ ص ۲۵۱- ۲۵۲ نقلا عن ابن أبی طی ء أن هذا الرجل أصله من المغرب ظهر أولا فی قریه مشغره فی غوطه دمشق ثم هرب إلی بلد حلب، و کان ذلک سنه ۵۷۰ ه، و أعتقد أن کفرند تصحیف لکفر نجد، و کانت- کما قال یاقوت- قریه کبیره من أعمال حلب فی جبل السماق، و کما ذکرها ابن العدیم فی بغیه الطلب ص ۴۷۷، و کفر نجد الآن من قری منطقه أریحا فی محافظه ادلب و تبعد عن ادلب مسافه ۱۷ کم.

و كان الملك النّاصر بدمشق فى قلّ من العسكر، لأنّه كان قد سيّرها إلى مصر، و أنفذ إليها يستدعيها، فلو عاجله سيف الدّين لبلغ منه غرضا؛ لكنّه تأخّر، فوصل عسكر مصر إلى الملك النّاصر.

[معركه تل السلطان]

فسار من دمشق إلى ناحيه حلب، ليلقى سيف الدّين، فالتقاه «بتلّ السّلطان»، و كان «سيف الدّين» قد سبقه إلى تلّ السلطان، فوصل الملك النّاصر العصر، و قد تعب هو و أصحابه و عطشوا، فألقوا نفوسهم إلى الأرض ليس فيهم حركه.

فأشير على سيف الدّين بلقائهم فى تلك الحاله، فقال زلفندار: «ما بنا حاجه إلى القتال فى هذه السّاعه، و غدا بكره نأخذهم كلّهم»، فترك القتال إلى الغدّ، فلما أصبحوا اصطفّوا للقتال، فجعل «زلفندار» الأعلام فى وهده من الأرض، لا يراها إلّا من هو قريب منها فلمّا التقى الفريقان، ظنّ أكثر النّاس أنّ سيف الدّين قد انهزم، لأنّهم لم يروا الأعلام، فانهزموا بعد أن كان مظفّر الدّين بن زين الدّين- و هو فى الميمنه- قد كسر ميسره الملك النّاصر، و ولّوا الأدبار، و أسر منهم جماعه فأطلقهم الملك النّاصر، منهم:

فخر الدّين عبد المسيح، و أمسك عن تتبع العسكر، فلم يقتل غير رجل

واحد، و ذلک فی یوم الخمیس العاشر من شوّال، سنه إحدی و سبعین و خمسمائه.

و نزل الملک النّاصر و عسکره، فی بقیّه ذلک الیوم فی خیم القوم، و استولوا علی جمیع ما فیها، و فرّق الاصطبلات و الخزائن، و وهب خیمه سیف الـدّین عزّ الدّین فرّوخشاه، و وصل سـیف الدّین إلی حلب، و ترک أخاه عزّ الدّین فی جماعه من العسـکر، و عبر الفرات، و سار إلی الموصل.

[حصار صلاح الدین حلب]

و وصل الملک النّاصـر إلی حلب، یوم الأحد ثالث عشر شوّال، فأقام علیها أربعه أیام، و رحل عنها، یوم الجمعه ثامن عشر شوّال، فنزل بزاعا(۱) فحصـرها، و تسلّمها یوم الاثنین العشرین من شوّال و رحل فنزل منبج، فحصرها، فی التّاسع و العشرین من شوّال، و بها قطب الدّین ینال بن حسّان، و کان شدید العداوه للملک النّاصـر، و کان قد حنق علیه لذلک، فملک المدینه، و نقبت القلعه، فحصروه بها، و نقبها النقّابون، و ملکها عنوه، و أخذ کلّ ما کان فیها، و أخذ صاحبها أسیرا، ثم أطلقه، فسار إلی الموصل، فأقطعه سیف الدّین «الرّقّه».

و رحل الملک النّاصر إلی «عزار» فنازلها ثالث ذی القعده، و حصرها و نصب علیها المنجنیقات.

و جلس یوما فی خیمه بعض أمرائه، و یقال له «جاولی» مقـدّم الأسـدیّه، فوثب علیه باطنیّ، فجرحه بسـکّین فی رأسه، فردّ المغفر عنه،

۱- بزاعا بلده من أعمال حلب فی وادی بطنان بین منبج و حلب.

و أمسک الملک النّاصر یدی الباطنی بیدیه، إلّا أنه لا یقدر علی منعه من الضّرب بالکلیّه، بل یضرب ضربا ضعیفا، فبقی الباطنیّ یضربه بالسکّین فی رقبته، و کان علیه کزاغند(۱)، فکانت الضّربات تقع فی زیقه، و الزّرد یمنعها من الوصول. و جاء «سیف الدّین یازکج» فأمسک السکّین، فجرحه الباطنی، و لم یطلقها من یده إلی أن قتل، و جان باطنیّان آخران فقتلا.

و رکب الملک الناصر إلی خیمته، و لازم حصار عزاز، حتی تسلّمها بعد قتال شدید، فی بکره الأربعاء، ثانی عشر ذی الحجّه. و رحل عنها إلی «مرج دابق».

ثم سار فنزل حلب، یوم الجمعه، منتصف ذی الحجّه، و حصرها، و بها جماعه من العسکر، و منع أهل البلد الملک النّاصر من التقرّب إلی البلد، و کانوا یخرجون إلی خیم المعسکر فیقاتلوه، و إذا مسک واحد منهم شرحت قدماه، فیمتنع من المشی، و لا یکفّون عن القتال، و قام فی نصرته السّنه و الشّیعه من الحلبیّین، و أعطی الشیعه «الشرقیّه» فی المسجد الجامع، فکانوا یجتمعون بها للصّلاه.

و اتّفق أن الحلبیّین اجتمعوا تحت القلعه، شاکّین فی السّلاح، یستأذنون الملک الصالح فی الخروج إلی قتال العسکر، فدخل رسول من الملک النّاصر، یقال له «سعد الدّین أبو حامد العجمی الکاتب»، فصاح عوامّ الحلبیین: «ما نصالح یا رسول، رح، و دع عنک الفضول». و رجموه

۱- من أنواع الدروع السابغه.

بالحجاره، فخرج، و اتبعوه إلى قريب من الخيام.

ثم تردّدت الرسل بينهم فى الصّلح بين الملك الصّالح، و سيف الدّين صاحب الموصل، و صاحب الحصن، و صاحب ماردين، و بين الملك النّاصر، و تحالفوا، و استقرّت على أن يكونوا كلّهم عونا على النّاكث الغادر، و استقرّ الصلح، و رحل الملك النّاصر، فى السّادس عشر من محرّم، سنه اثنتين و سبعين و خمسمائه.

و لما تقرّر الصلح، أخرج الملك الصّالح إلى الملك الناصر أخته بنت نور الدّين، و كانت طفله صغيره، فأكرمها، و حمل لها شيئا كثيرا، و قال لها: «ما تريدين؟» قالت: «أريد قلعه عزاز»- و كانوا قد علّموها ذلك- فسلّمها إليهم.

[رحيل صلاح الدين إلى بلد الاسماعيليه]

و رحل إلى بلد «الإسماعيليّه»(۱)، و حصرهم، ثم صالحهم بوساطه خاله محمود بن تكش، و سار بعساكره إلى مصر، و كان فى شروط الصّلح أن يطلق عزّ الدّين جورديک، و شمس الدّين علىّ بن الدّايه، و أخواه سابق الدّين، و بدر الدّين، فسار أولاد الدّايه إلى الملك النّاصر، فأكرمهم، و أنعم عليهم، و أما جورديک، فأقام فى خدمه الملك الصّالح، و علم الجماعه براءته مما ظنّوا به.

و عصى غرس الدّين قلج فى «تلّ خالد»(۲) لأنه نسب إليه أمر أوجب

۱- مصياف غربى مدينه حماه.

۲- تل خالد من الحصون التى كان نور الدين قد انتزعها من جوسلين. انظر تاريخ ابن الشحنه ص ۱۷۷، ۲۱۴.

وحشته، فحصل فيها بماله، و حصّنها، فخرج إليه سعد الدّين كمشتكين بالعسكر، و معه «طمان»، فحصره مدّه، فسيّر، و استشفع بالملك النّاصر، فقبل الشفاعه و أمّنه، فخرج بماله و أهله، و حاشيته، و مضى إلى منبج، فنزل بها عند «الدويل»، و كان الملك النّاصر قد أقطعه إيّاها، و كان ذلک فى سنه اثنتين و سبعين و خمسمائه.

و فى هذه السّنه، أظهر أهل «جبل السمّاق» الفسق و الفجور، و تسمّوا بالصفاه؛ و اختلط النّساء و الرّجال فى مجالس الشّرب، و لا يمتنع أحدهم من أخته و لا بنته، و لبس النساء ثياب الرّجال، و أعلن بعضهم بأن «سنانا» ربّه. فسيّر الملک الصالح اليهم عسكر حلب، فهربوا من «الجبل» و تحصّنوا فى رؤوس الجبال، فأرسل «سنان»، و سأل فيهم، و أنكر حالتهم، و كانوا قد نسبوا ذلک إليه، و أنّهم فعلوا ذلک بأمره، فأشار سعد الدّين بقبول شفاعته فيهم، و عاد العسكر عنهم(۱).

و شرع «سنان» فى تتبع المقدّمين منهم، فأهلكهم، و كان فى «الباب» منهم جماعه فثار بهم «النبويه»(۲) من أهل ذلک البلد، و قاتلوهم من التّركمان، فانهزموا و اختبئوا فى المغاير، فنهبوا دورهم، و عرّوا نساءهم، و دخّنوا عليهم فى المغاير، و قتلوا من أمكنهم قتله.

ثم إنّ الاسماعيليّه قفزوا على الوزير شهاب الدّين أبى صالح بن

۱- لعل لهذا علاقه بالقيامه التى أعلنت من قبل فى قهستان بوساطه امام ألموت. انظر كتاب الدعوه الاسماعيليه الجديده- ط. بيروت ۱۹۷۰ ص ۸۷- ۹۰.

۲- أفضل المعلومات حول هذا الحدث لدى ابن الأزرق ص ۵۳۳۴- ۵۳۳۵ من الموسوعه الشاميه.

العجمی، یوم الجمعه رابع شهر ربیع الأول، من سنه ثلاث و سبعین و خمسمائه، و کان السّبب فی ذلک أنّ أبا صالح کان یواطی ء المجاهد «اللّالا» و جمال الدّین شاذبخت، علی سعد الدّین کمشتکین، و یحاولون حطّه عن مرتبته. فعلم کمشتکین ذلک، فکتب کتابا إلی «سنان» مقدّم الاسماعیلیه «بالحصون»، علی لسان الملک الصالح، یلتمس منه قتل أبی صالح، و اللّالا، و شاذبخت، و کان قد أحضر الکتاب إلی الملک الصّالح. و هو خارج إلی الصیّد، و طلب خطّه، و هو أبیض، لم یکتب فیه شی ء أصلا، و قال له: «المولی خارج، و یحتاج أن یکتب کتابا فی أمر کذا و کذا، فیکتب المولی علامته». فکتب ثقه بأنّ الأمر کما ذکر.

فکتب کمشتکین إلی «سنان» بالأمر الذی أراده، و سیّره إلیه، فلم یشکّ «سنان» فی أنّ الأمر وقع من الملک الصّالح، لیستقلّ بأموره و ملکه، فندب جماعه لقتل المذکورین، فوثبوا علی شهاب الدّین أبی صالح، عندما خرج من باب الجامع الشّرقی(۱)، بالقرب من داره، و قتل الاسماعیلیّان اللّذان و ثبا علیه.

ثمّ وثب بعد ذلک بمدّه ثلاث منهم علی «اللّالا»، بالقرب من «خانکاه القصر»(۲)، و تعلّق بذیل «بغلتاقه»(۳) لیضربه بالسّکین، فرفس اللّالا

۱- أی الجامع الأموی بحلب.

۲- علی مقربه من باب القلعه الصغیر من جانب خندقها. الأعلاق- قسم حلب- ج ۱ ص ۷۱.

۳- البغلطاق رداء بلا أکمام یلبس فوق الثیاب. انظر معجم مفصل فی أسماء الألبسه عند العرب لرینهارت دوزی ط. أمستردام ۱۸۴۵ ص ۸۱- ۸۴.

الفرس، و خرج من البغلتاق»، فنجا، و أحاط النّاس بالجماعه الّذين قفزوا عليه، و فيهم اثنان كانا يتردّدان إلى «ركابدار»(۱) الّلالّا، فقتل، أحدهما و صلب، و صلب الركابدار أيضا، و كتب على صدره: «هذا جزاء من يؤوى الملحده».

و أما الآخر، فصعدوا به إلى القلعه، فضرب ضربا عنيفا، و ثقب كعبه، ليقرّر على السّبب الّذى أوجب وثوبهم، فقال للملك الصّالح:

«أنت تبعث كتبك إلى مولانا سنان بقتل من أمرنا بقتله، ثم تنكر فعل ذلك؟» فقال: «ما أمرت بشى ء». و كتب إلى «سنان» يعتب عليه فيما فعل بأبى صالح و الّلالا فقال: «أنا ما فعلت شيئا إلّا بأمرك و خطّك». و سيّر إليه كتابا فيه علامته بقتل الثّلاثه المذكورين، فعلم أن ذلك كان مكيده من كمشتكين.

و كان الاسماعيليّه قد اجتهدوا فى قتل شاذبخت، فلم يقدروا على الوثوب عليه، لشدّه احترازه فى القلعه، فعند ذلك وجد أعداء كمشتكين طريقا للطّعن عليه، و قالوا: «إنّما أراد قتل هؤلاء ليستقلّ بملكك، و يفعل فيه ما لا يقدر أن يفعله معهم، و أنّه قد استصغرك، و احتقر أمرك».

و كانت حارم لسعد الدّين كمشتكين، أقطعه إياها الملك الصّالح، حين أخذها من بدر الدّين حسن، فأنهى إلى الملك الصّالح أنّ سعد الدّين يريد أن يسلّمها إلى الفرنج، لأنّ أصله فرنجى، و أنّه قد قرّر معهم أن

۱- المسؤول عن حفظ مراكب اللالا.

يبيعها عليهم بمال وافر، و الدّليل على صدق ذلک أنّه أطلق من كان بالقلعه، من أسرى الفرنج، من أيّام نور الدّين، و أطلق البرنس «أرناط»، فقطع الطّريق بالكرک، و سيّر أمواله من حلب و غيّبها، و كتب إليه رجل من الفرنج يقال له؛ الفارس «بدران» بشى ء من ذلک، و بعث بعدّه كتب من سعد الدّين إلى الفرنج، تشهد بما أنهاه، و لعلّه وضع ذلک كله عليه، حتى نالوا غرضهم منه.

فقبض الملک الصّالح على سعد الدّين، فى التاسع من شهر ربيع الأول، من سنه ثلاث و سبعين، و كان قد جاء يطلب دستورا إلى حارم، و طلب تسليمها منه، فامتنع. فحمل إليها تحت «الحوطه» و جى ء به إلى تحت قلعتها، و عذّب، فاستدعى بعض من يثق إليه من المستحفظين بالقلعه، و أسرّ إليهما(۱) أنّهم لا يسلّمونها، و لو قطع، ثم قال لهما جهرا:

«بعلامه كذا و كذا، سلّموا»، فصعدا إلى القلعه، و أظهر من فيها العصيان و المقاتله، فعذّب عذابا شديدا، و علّق برجليه، و سقط بالخلّ، و الكلس. و الدّخان، و عصر، و أصحابه يشاهدونه، و لا يجيبون إلى التسليم.

و خرج الفرنج من «أنطاكيه»؛ يطلبون «حاوم»، فتقدّم الملک الصّالح بخنق كمشتكين، فخنق بوتر، و أصحابه يشاهدونه و لا يسلمون، و كسروا يديه و عنقه، و رموه إلى خندق «حارم»، فحين علم الفرنج ذلک ساروا إلى شيزر.

۱- لعل عدد من استدعاه ممن كان يثق به كان اثنين.

و دخل الملک الصالح إلی حلب، و خلف العسکر بأرض «عمّ»(۱) و «جاشر»، حول حارم؛ یمنعونها من الفرنج، و یباکرونها کلّ یوم لطلب التّسلیم، و مقدّم العسکر «طمان بن غازی»- و کان من أکبر الأمراء-.

و عاد الفرنج إلی حماه فحصروها، و لم یظفروا بطائل، و طمعوا فی حارم، لعصیان أصحاب کمشتکین بها، و ظنّوا أنّ الملک الصّالح صبی، و عسکره قلیل، و الملک النّاصر بمصر، فلا ینجدهم إلّا بعد أن یأخذوا «حارم»، فنزلوا علیها، و معهم کند کبیر من الفرنج، کان قد خرج من البحر إلی السّاحل، یقال له کندر «فلنط لمانی»(۲)، و معهم البرنس، و ابن لاون، و القومص صاحب طرابلس، فندم من «بحارم»، حیث لم یسلموها إلی الملک الصّالح.

و حصرها الفرنج، و ضایقوها بالمجانیق و السّلالم، فصاح من فیها:

«صلاح الدّین یا منصور»! فأحضروا خیمه، کانوا أخذوها من خیم الملک الناصر فی کسره «الرّمله» فی هذه السنه(۳) و أخبروهم بالکسره لیضعفوا عزیمتهم، و عسکر حلب بإزائهم من «عمّ» إلی تیزین(۴).

۱- عم قریه غناء بین حلب و أنطاکیه. معجم البلدان.

۲- فلنط لمانی هو کونت فلاندرز. انظر ولیم الصوری ص ۱۰۰۵- ۱۰۰۷.

۳- انظر ولیم الصوری ص ۱۰۰۲- ۱۰۰۵.

۴- تیزین قریه کبیره من نواحی حلب کانت تعد من أعمال قنسرین. معجم البلدان.

و دخلت سنه أربع و سبعين:

و الفرنـج مجـدّون على قتـال «حـارم»، و نقبوا فى تـلّ القلعه، من جهه القبله نقبـا، و من جهه الشّـمال آخر. فانهـدّ السّور على من تحته، و هو موضع البغله(۱)، التى جدّدها السّلطان الملك الظّاهر- قدّس اللّه روحه-.

و امتنع القتـال من تلـك النـاحيه، خوفا من وقوع شـى ء آخر. فأخرج المسـلمون رجلا من عنـدهم إلى «طمان»، يطلب الأمان من الملك الصّالح و النجده، فسيّر إلى الملك الصّالح، و أعلمه.

فانتخب الملك الصالح رجالا أجلادا من الحلبّيين، و أعطاهم مالا جزيلا، و قال لهم: «أريد منكم أن تدخلوا قلعه حارم»؛ فجاءوا، و الفرنـج محـدقون بهـا، فى اللّيل، فسـلكوا خيامهم مفرّقين، حتى جاوزوها، و صاحوا بالتكبير و التّهليل، و صـعدوا القلعه، و صار فيها شوكه من المقاتله، بعـد أن كان قتل من المسـلمين بها رجال عدّه. و المسـلمون- أعنى عسـكر حلب- إذ ذاک حول الفرنج جرايد، و أثقالهم «بدير سمعان»، و هم يتخطّفون من يمكنهم أخذه من الفرنج و يحفظون أطراف البلد.

و سار العسكر عند ذاک إلى «دير أطمه»(۲) و صادفوا الفرنج فى وطأه «أطمه»، فحملوا عليهم، فانهزموا و قتل من الفرنج، و أسـر جماعه؛ فدام حصار الفرنج أربعه أشهر. و أرسل الملك الصّالح إليهم، و قال: «إنّ

۱- جدار استنادى لدعم جدار قديم حتى لا ينهار.

۲- اطمه الآن من قرى منطقه حارم فى محافظه أدلب و تبعد عن ادلب مسافه ۸۹ کم.

الملک النّاصر واصل إلی الشّام، و ربّما یسلّم من بحارم إلیه قلعتها، و یضحی فی جوارکم، و بذل لهم مالا بمقدار ما أنفقوا مدّه حصارهم لها، و انتظم الصّلح، و رحلوا.

و خرج الملک الصّالح، فنزل علی «حارم»، فسلّمها إلیه أصحاب کمشتکین، و صفح عن جرمهم، و ولّی فیها «سرخک» جمدار(۱) أبیه نور الدّین، و دخل حلب و طالب نواب کمشتکین بماله، و اعتقل ابن التّنبی وزیره، فأحضر بعض المال، و عذّب حتّی أحضره، ثم هرب من الاعتقال.

و فی سنه خمس و سبعین و خمسمائه:

سعی جماعه بالقاضی محیی الدّین أبی حامد بن الشّهرزوری، قاضی حلب، و قدحوا فیه عند جمال الدّین شاذبخت، و أوهموه أنه یمیل إلی الملک الصّالح، و وضعوا علی لسانه أشعارا نسبوها إلیه، فأوجب ذلک استیحاشه، و توجّه إلی الموصل. و عرض القضاء علی عمّی «أبی غانم محمّد بن هبه اللّه بن أبی جراده» فامتنع، فقلّد والدی القضاء بحلب و أعمالها، و بقی علی قضائها إلی أن مات الملک الصّالح، و فی دوله عزّ الدّین، و عماد الدّین، و مدّه من دوله السّلطان الملک النّاصر.

و قبض الملک الصّالح قریه للاسماعیلیّه تعرف بحجیرا من ضیاع نقره

۱- الجمدار المسؤول عن ثیاب الحاکم.

بنى أسـد، فكتب «سـنان» إلى الملـك الصّالـح كتبـا عـدّه فى إطلاقها، فلم يطلقها، فأرسل جماعه من الرّجال معهم النفط و النار، فعمدوا إلى الدّكان التى فى رأس «الزجّاجين» من الشّرق فى القرنه، فألقوا فيها النار.

فنهض نـائب رئيس البلـد بمن معه فى المربّعه، و الجمـاعه المرتّبـون لحراسه الأـسواق، و أخـذوا السّـقّائين ليطفئوا الحريق، فـأتى الإسـماعيليّه من أسـطحه الأـسواق، و ألقوا النـار و النفـط فى الأـسواق، فـاحترق سوق البزّ الكبير، و سوق العطّارين، و سوق مجد الـدّين، المعـدّ للـبز، و سـوق الخليع، و سوق الشراشـين- و هو الآـن يعرف بالكتّـابيّين- و سوق السـرّاجين، و السّوق الـذى غربىّ الجامع، جميعه، إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسه الحلاويّه(1).

و احترق للتجّار و السّوقيّه، من القماش شـى ء كثير، و افتقر كثير منهم بسـبب ذلك، و لم يظفروا من الاسـماعيليّه بأحـد، و ذلك فى سنه خمس و سبعين و خمسمائه.

و مات سيف الدّين غازى، صاحب الموصل، و وليها أخوه عزّ الدّين مسعود، و ذلك فى سنه ستّ و سبعين و خمسمائه.

و كـان الملـك الصّالـح فى هاتين السـنتين رخىّ البال، مسـتقرّا فى مملكته، سالكا فى الإحسان إلى أهل حلب طريق أبيه، عفيف اليد و الفرج

۱- ذكر ابن شداد بعض أسواق حلب فى كتابه الأعلاق، كما ذكر بعضها ابن الشحنه، و اهتم بها طلس فى كتابه الآثار الإسلاميه، راجع الفهارس.

و اللّسان، فقدّر اللّه تعالى أن حضر أجله، و له نحو من تسع عشره سنه(۱)، فمرض بالقولنج و اشتدّ مرضه.

فدخل إليه طبيبه «ابن سكّره اليهوديّ»، و قال له سرّا: «يا مولانا شفاؤك فى الخمر، فان رأيت أن تأذن لى فى حمله فى كمّى، بحيث لا يطّلع الّلالا، و لا شاذبخت، و لا أحد من خلق اللّه على ذلك»، فقال:

«يا حكيم، كنت و اللّه أظنك عاقلا، و نبيّنا صلّى اللّه عليه و سلّم- يقول:

إنّ اللّه لم يجعل شفاء أمّتى فيما حرّم عليها(۲) و ما يؤمّننى أن أموت عقيب شربها- فألقى اللّه، و الخمر فى بطنى، و اللّه لو قال لى ملك من الملائكه: إنّ شفاءك فى الخمر لما استعملته».

حكى لى ذلك والدى عن ابن سكّره الطبيب.

[وفاه الصالح اسماعيل]

و لما أيس من نفسه أحضر الأمراء و المستحفظين، و أوصاهم بتسليم البلد إلى ابن عمّه عزّ الدّين مسعود بن مودود بن زنكى، و استحلفهم على ذلك، فقال له بعضهم: «إنّ عماد الدّين ابن عمّك أيضا، و هو زوج أختك، و كان والدك يحبّه و يؤثره، و هو تولّى تربيته، و ليس له غير سنجار، فلو أعطيته البلد لكان أصلح، و عزّ الدّين له من البلاد من الفرات إلى همذان، و لا حاجه له إلى بلدك»، فقال له» «إنّ هذا لم يغب عنّى، و لكن قد علمتم أنّ صلاح الدّين، قد تغلّب على البلاد الشّاميه، سوى

۱- فى بغيه الطلب ص ۱۸۲۶:« له نحو من ثمانيه عشر سنه».

۲- انظره فى موسوعه أطراف الحديث النبوى- اعداد محمد السعيد بسيونى- ط. بيروت ۱۹۸۹ ج ۳ ص ۱۸۲.

ما بیـدی، و متی سـلمت حلب إلی عماد الدّین یعجز عن حفظها، و إن ملکها صـلاح الدّین لم یبق لأهلنا معه مقام، و ان سـلّمتها إلی عزّ الـدّین أمکنه حفظها بکثره عساکره و بلاده». فاستحسـنوا هـذا القول منه، و عجبوا من حسن رأیه مع شدّه مرضه، و صـغر سنّه.

ثم مات یوم الجمعه خامس و عشـرین شـهر رجب، من سـنه سـبع و سـبعین و خمسمائه، و دفن بقلعه حلب، إلی أن ابتنت والدته «الخانکاه»(۱) تجاه القلعـه، و نقـل إلیهـا فی أیـام، فسیّر الأـمراء. جوردیـک، و البصـیریّ، و بزغش، و جمـال الـدّین شـاذبخت، النّوریّون، مع جماعه الممالیک النّوریه، إلی «عزّ الدّین»، یستدعونه، و جدّدوا الأیمان فیما بینهم له.

و أما علم الدّین سـلیمان بن جندر، و حسام الدّین طمان بن غازی، و أهل الحاضر، فإنّهم راسلوا «عماد الدّین» صاحب سنجار، و کتموا أمرهم، و «شاذبخت» هو الوالی بالقلعه، و الحافظ لخزانتها، و المـدبّر للأمور مع «النّوریه»، فسـیّر إلی علم الدّین سـلیمان، و حسـام الـدّین طمـان، و طلب منهما الموافقه فی الیمین لعزّ الـدّین، فماطلا، و دافعا، فلما تأخّر وصول «عماد الـدّین» علیهما، وافقا علی الیمین لعزّ الدّین.

و لما وصل رسول الأمیر إلی عزّ الدّین، سار هو و مجد الدّین قایماز إلی الفرات، فنزل علی «البیره»، و وصل شـهاب الدّین- أخو عماد الدّین- مختفیا- و اجتمع بطمان و ابن جندر، و أعلمهما أن «عماد الدّین» فی بعض

۱- فی محله الفرافره تحت القلعه. انظر الآثار الإسلامیه ص ۳۲۱.

الطّريق، فأخبروه بأخذ اليمين عليهم، و أنّ تربّصه بالحركه أحوجهم إلى ذلك، فعاد إليه أخوه و عرّفه، فعاد إلى بلاده.

[أيام بقيه الأتابكه]

و أمّا «عزّ الدّين»، فحين وصل إلى «البيره» أرسل إلى الأمراء الّذين بحلب، و استدعاهم إليه. فخرجوا و التقوه «بالبيره»، و ساروا معه إلى حلب، و دخلها فى العشرين من شعبان، و استقبله مقدّموها و رؤساؤها، و صعد إلى القلعه.

و كان «تقىّ الدّين عمر»- ابن أخى الملك النّاصر- بمنبج، فعزم على أن يحول بين «عزّ الدّين» و حلب، حين وصل إلى «البيره» لأنّه وصل جريده، و تخلّف عنهم الغلمان و الحشد، ثم إنه تثاقل هو و أصحابه عن ذلك.

و لما وصل «عزّ الدّين» إلى حلب، سار تقىّ الدّين من منبج إلى حماه، و ثار أهل حماه، و نادوا بشعار «عزّ الدّين»، فأشار عسكر حلب على عزّ الدّين بقصدها، و قصد دمشق، و أطمعوه فيها و فى غيرها من الشّام، و أعلموه محبّه أهل الشّام لأهل بيته.

و كان «الملك النّاصر» بالدّيار المصريه، فلم يفعل، و قال: «بيننا يمين، و لا نغدر به»، و لما بلغ «الملك الناصر» أخذ عزّ الدّين حلب قال:

«خرجت حلب عن أيدينا، و لم يبق لنا فيها طمع».

و أقام عزّ الدّين بحلب، فسيّر إليه أخوه «عماد الدّين زنكى بن

مودود»، و قال: «كيف تختصّ أنت ببلاد عمى و ابنه و بأمواله، دونى، و هذا أمر لا صبر لى عنه». و طلب منه تسليم حلب إليه، و أن يأخذ منه «سنجار» عوضا عنها.

فامتنع «عزّ الدّين»، و لم يجبه إلى ما أراد، فأرسل إليه و هدّده بأن يسلّم «سنجار» إلى «الملك النّاصر» فيضايق الموصل بها، فأشار عليه طائفه من الأمراء بأخذ «سنجار» منه و اعطائه حلب، و كان أشدّ الناس فى ذلك «مجاهد الدّين»، و هو الذى كان يتولّى تدبيره، و كان أمراء حلب لا يلتفتون إلى «مجاهد الدّين»، و لا يسلكون معه ما يسلكه عسكر الموصل، فلذلك ميّل «عزّ الدّين» إلى ذلك.

و شرع «عزّ الدّين» فى الميل إلى الأمراء، الّذين حلفوا له أولا، و الإعراض عن الّذين مالوا إلى أخيه «عماد الدّين»، و أحسن إلى أهل حلب، و خلع عليهم، و أجراهم على عادتهم فى أيّام عمّه «نور الدّين»، و ابنه «الملك الصّالح»، و أبقى قاضيها والدى، و خطيبها عمّى، و رئيسها «صفىّ الدّين طارق بن الطريره» على ولاياتهم، و ولّى بقلعه حلب «شهاب الدّين اسحق بن أميرك» الجاندار(۱)، صاحب الرّقّه، و أبقى «شاذبخت» فى القلعه ناظرا معه؛ و ولّى مدينه حلب و الديوان مظفر الدّين بن زين الدّين.

و كان الصّلح قد انفسخ، بموت الملك الصّالح، بين الفرنج و المسلمين، و كانت «شيح الحديد»(۲) مناصفه بين المسلمين و الفرنج،

۱- الجاندار: حافظ السلاح.

۲- شيح الحديد قريه كبيره فى طرف العمق. بغيه الطلب ص ۴۷۴.

فأضافها عسكر حلب، قبل وصول عزّ الدّين إلى «الدّربساك»(۱)، و اختصّوا بها دون الفرنج، و حضر أهلها إلى طمان، فأعطاهم الأمان.

فلمّا وصل «عزّ الدّين»، سيّر العساكر إلى ناحيه «حارم»، و حاولوا نهب «العمق»، فانحاز أهله كلّهم إلى «شيح» لعلمهم بأنّ «طمانا» أمّنهم، فأراد عسكر الموصل أن ينهبوها، فقال لهم: «إنّ شيح لحلب، و إنّهم فى أمانى». فلم يلتفتوا إلى قوله، و سار و اليها ليلا، فسبقهم إلى «المخاض»، و وقف فى وجوههم يردّهم، فقتل منهم جماعه، ثم تكاثروا و عبروا، فسبقهم طمان إلى «شيح»، و أمرهم أن يجعلوا النساء فى المغاير و دربها.

فوصل عسكر الموصل، فرأوا ذلک، فعزموا على القتال، فصاح طمان: «إذا كنتم تخفرون ذمّتى، فأنا أرحل إلى الفرنج». و سار فى أصحابه إلى أن قرب من «يغرا»، فوصله من أخبره بأنّهم عادوا عنها، و لم ينالوا منها طائلا، و خافوا من ملامه عزّ الدّين، فعاد «طمان»، و نزل كلّ منهم فى خيامه «بحارم».

و كاتب المواصله «عزّ الدّين»، يطعنون على «طمان»، و أنّه وافق أهل «شيح» فى العصيان، و أراد اللّحاق بالفرنج، فأحضر «طمان» و المواصله، و تقابلوا بين يديه، فقال عزّ الدّين: «الحق مع حسام الدّين، و لا يجوز نقض العهد لواحد من المسلمين». و كان ذلک فى شهر رمضان من السّنه.

۱- حصن الدربساک قریب من بغراس. بغیه الطلب ص ۱۵۱.

و بقيت المواحشه بين أمراء حلب و المواصله؛ و الحلبيّون لا يرون التغاضى لمجاهد الدّين، و مجاهد الدّين يحاول أن يكونوا معه كأمراء الموصل، و الأمراء الحلبيّون يمنّون عليه. بأنّهم اختاروه لهذا الأمر، و يطلبون منه الزّياده، و يختلق المواصله عليهم الأكاذيب.

فهرب الأمير علم الدّين سليمان بن جندر، قاصدا «الملك النّاصر» إلى مصر، فقالوا لعزّ الدّين: «إنّ طمانا سيهرب بعده، فأمر عزّ الدّين، مظفر بن زين الدين، و بنى الغراف، و الجراحى و غيرهم أن يمدوا من «السّعدى» إلى «المباركه» فى طريقه، و أن يقف جماعه حول دار «طمان»- و كان يسكن خارج المدينه-.

فلما لم يجر من «طمان» شى ء من ذلك، جاءوا إليه نصف اللّيل، و طلبوه، فخرج إليهم، فوجد ابن زين الدّين و بنى الغراف، فسألهم عمّا يريدون، فقالوا: «إنّه أنهى إلى عزّ الدّين بأنّك تريد الهرب، و قد أمرنا بأن نعوقك» فقال: «و اللّه ما لهذا صحّه، و لو أردت المسير عن حلب لمضيت، لا على وجه الخفيه، و لا أخاف من أحد».

فجعلوا لهم طريقا آخر إلى نيل غرضهم، و أصبحوا، و عزّ الدّين منتظر ما يكون، فقالوا له: «كان قد عزم على الهرب، فلما علم أنّ الطريق قد أخذ عليه، و أن الدّار قد أحيط بها أخّر ذلك إلى وقت ينتهز فيه الفرصه، و المصلحه قبضه قبل هربه». فأمرهم بأن يقبضوه محترما، و يحضروه إليه.

فجاؤوه ليلا، من أعلى الدّار و أسفلها، و أزعجوه، و كان نائما،

فخرج إلى البـاب، فوجـد مظفّر الـدّين بن زين الـدّين مع بنى الغراف، فقالوا له: «إنّ المولى عزّ الـدّين قـد أمرنا بالقبض عليك». فقـال لهم: «السـمع و الطاعه، فشأنكم و ما أمرتم به»؛ فأركبوه، و حملوه، و الرجال محيطه به، و فتحوا باللّيل باب القلعه، و اعتقلوه بها غير مضيّق عليه.

و أحضره «عزّ الدّين»، و وانسه و قال: «لم أفعل ما فعلت إلّا لشدّه رغبتى فيک، و افتقارى إلى مثلک»؛ فعرّفه ما ينطوى عليه، و أنّ ما نقل عنه لم يخطر بباله. فقال: «إنّ وقيعه أعدائک فيک، لم تزدک عندى إلّا حظوه».

و بقى معتقلا فى القلعه أسبوعا، ثمّ خلع عليه، و أطلقه و زاد فى أقطاعه «الأخترين»(۱).

و أقام «عزّ الـدّين» حتّى انقضت مدّه الشّـتاء، ثم تزوّج أمّ الملک الصالح، فى خامس شوّال من السـنه، ثم سـيّرها إلى الموصل، و اسـتولى على جميع الخزائن التى كانت لنور الدّين و ولده بقلعه حلب، و ما كان فيها من السّـلاح، و الزرد، و القسـىّ، و الخوذ، و البركسطونات(۲)، و النشّاب، و الآلات، و لم يترک فيها إلّا شيئا يسيرا من السّلاح العتيق، و سيّر ذلک كلّه إلى «الرّقّه».

و ترک فى قلعه حلب ولده نور الدّين محمودا طفلا صغيرا، وردّ أمره

۱- الأخترين مركز ناحيه تابعه لقضاء عزاز فى محافظه حلب، و تبعد عن حلب مسافه ۴۵ كم.

۲- البركسطونات: دروع الفرسان أو الحيوانات فى الحرب.

إلى الوالى بالقلعه: شـهاب الـدّين اسـحق، و سـلّم البلـد و العسـكر إلى مظفّر الدّين بن زين الدّين، و سار إلى الرقّه، سادس عشـر شوّال، فأقام بها فصل الرّبيع.

و راسـل أخـاه «عماد الـدّين»، فى المقايضه «بسـنجار»، ليتوفّر على حفظ بلاده، و يضمّ بعضـها إلى بعض، و لعلمه أنّه يحتاج إلى الإقـامه بالشّام، لتعلّق أطماع «الملك النّاصـر» بحلب، و قـدم عليه أخوه. و اسـتقرّت المقايضه على ذلك، و تحالفا على أن تكون حلب و أعمالها لعماد الـدّين و «سـنجار» و أعمالها لعزّ الـدين، و أنّ كل واحـد منهما ينجد صاحبه، و أن يكون «طمان» مع عماد الدّين، فسيّر «طمان»، و صعد إلى قلعه حلب، و كان معهم علامه من عزّ الدّين، فتسلّمها، و سيّر عزّ الدّين من تسلّم سنجار.

و فى حـال طلوع «طمـان»، و نقل الوالى متاعه، طمع «مظفّر الـدّين بن زين الـدين» بأن يملك القلعه، و وافقه جماعه من الحلبيين كانوا بقربه، فى الدّار المعروفه بشـمس الدّين علىّ بن الدّايه و جماعه من الأجناد، و لبس هو زرديّه، تحت قبائه، و ألبس جماعه من أصحابه الزّرد تحت الثّياب، و مع كلّ واحد منهم سيف، و أرسل إلى شهاب الدّين، و قال له:

«إنّه وصلنى كتاب من أتابك عز الدّين، و أمرنى أن أطلع فى جماعه إليك»، فأمره بالصّعود.

و كان «جمال الدّين شاذبخت»، فى حوش القلعه الشرقى، الّذى

هـدمه الملـك العادل- و كان بين الجسـرين اللّـذين جـدّدهما السـلطان الملك الظاهر- رحمه اللّه- و عمل مكان ذلك الحوش بغله(۱)- فرأى الجنـد مجتمعين تحت القلعه، فسـيّر «شـاذبخت»، و أحضـر بوّابـا كان للقلعه، يقال له «علىّ بن منيعه» و كان جلـدا يقظا، و أمره بالاحتراز.

فلما أراد أن يـدخل من باب القلعه، تقـدّم إليه، و قال له: «لا تدخل إلّا أنت وحدك». و كان فى ركابه جماعه فمنعوهم، فلم يتمّ له ما أراد.

و عاد ابن زين الـدّين إلى داره، و قيل أنّ ابن مقبل الاسباسـلار، قال له: «أنت تصـعد إلى القلعه، فما هـذا الزّرد عليك؟» فعاد، و جعل يعتذر عمّا شاع فى النّاس من فعله.

و كتب شـهاب الـدّين الوالى و جمال الـدّين شاذبخت إلى عزّ الـدّين كتابا بخطّ «حسـين بن يلدك»، إمام «المقام». و أخذ تحته خطوط الأجناد، و النقيب، و الاسباسلار. فلم يمكن «عزّ الدّين» مكاشفته فى ذلك، لقرب «الملك النّاصر» من البلاد.

و بعث «مظفّر الـدّين» إلى «عزّ الـدين» يعتذر، و يقول: «إنّ الاسـماعيليّه أوعدونى القتل، و ما أمكننى إلّا الاحتزاز بالسّـلاح، أنا، و من معى، و أنكر الحفظه بالقلعه ذلك علىّ، و لم يكن ذلك لأمر غير ما ذكرته».

فلم يقابله على ذلك.

۱- البغله دعـامه تبنى للجـدار الـواهى و تحشـى الأسـاس لتقيه من السـقوط. موسوعه حلب المقـارنه للأسـدى ط. حلب- مطبعه جامعه حلب.

و أما «طمان»، فإنه قبض على الجماعه الّذين كانوا معه، و حبسهم فى القلعه، و اطّلع على ما كانوا أضمروه، و أطلقهم فى اليوم الثانى، و ستر هذا الأمر.

ثم وصل قطب الدّين ابن عماد الدّين إلى حلب، ثم ورد أبوه «عماد الدّين»، فوصل بأهله، و ماله، و أجناده، و زوجته بنت نور الدّين.

و وصل على البريّه من جهه «الأحصّ»(۱)، و التقاه الأكابر من الحلبيّين، و صعد إلى قلعه حلب، فى ثالث عشر المحرّم، من سنه ثمان و سبعين و خمسمائه، و قيل فى مستهلّه.

و ولّى القلعه «عبد الصّمد بن الحكّاك الموصلىّ»؛ و العسكر، و الخزائن، و النظر فى أحوال القلعه إلى مجاهد الدّين بزغش، و أنزل «شاذبخت» من القلعه، و القضاء، و الخطابه، و الرئاسه، على ما كان عليه، فى أيّام أخيه و ابن عمّه.

و ولّى الوزاره «بهاء الدّين أبا الفتح نصر بن محمّد بن القيسرانىّ»، أخا «موفّق الدّين خالد»- وزير نور الدّين- و استمرّ الشّيعه فى أيّامه، و أيّام أخيه، على قاعدتهم، الّتى أقرّهم عليها «الملك الصّالح»، من إقامه شعارهم بالشرقيّه، بالمسجد الجامع.

۱- كانت الأحص كوره كبيره من كور حلب قصبتها خناصره. معجم البلدان، هذا و نقل ابن العديم فى ترجمته لزنكى الثانى- بغيه الطلب ص ۳۸۵۷- ۳۸۶۴ وصف دخوله إلى حلب عن عمه و والده.

و أبقى «سرخك» فى حارم على ما كان عليه. و حكم «شاذبخت» فى عزاز و قلعتها- و هو وكيل عن ابنه نور الدّين التى أطلقها الملك النّاصر لها- و صالح الفرنج.

و جرى فى الاحسان إلى أهل حلب، على قاعده عمّه و ابن عمه و أخيه، و لما بلغ الملك النّاصر حديث حلب و أخذ عماد الدّين إياها، قال:

«أخذنا و اللّه حلب»، فقيل له: «كيف قلت فى عزّ الدّين لما أخذها:

خرجت حلب عن أيدينا، و قلت: حين أخذها عماد الدّين: أخذنا حلب؟» فقال: «لأنّ عزّ الدّين ملك صاحب رجال و مال، و عماد الدّين، لا مال و لا رجال»!

و خرج «الملك النّاصر»، من مصر فى خامس المحرّم من هذه السّنه، و خرج الناس يودّعونه، و يسيرون معه و يتأسّفون على فراقه، و كان معه معلّم لبعض أولاده فالتفت إلى بعض الحاضرين، و أنشد:

تمتّع من شميم عرار «نجد»فما بعد العشيّه من عرار

فانقبض السّلطان، و تطيّر، فقدّر أنّه لم يعد إلى مصر، إلى أن مات، مع طول مدّته، و اتّساع ملكه فى غيرها.

و سار على «أيله» و أغار على بلاد الفرنج فى طريقه، و وصل دمشق فى صفر، ثم خرج منها إلى ناحيه «الغور»، فأغار على ناحيه «طبريّه» و «بيسان»، و عاد إلى دمشق، ثم خرج إلى «بيروت»، و نازلها، و اجتمع الفرنج فرحّلوه عنها. فدخل إلى دمشق، و بلغه أنّ المواصله كاتبوا الفرنج

على قتاله، فجعل ذلک حجّه عليهم.

و سار حتّى نزل على حلب، فى ثامن عشر من جمادى الأولى، سنه ثمان و سبعين و خمسمائه. و نزل على «عين أشمونيث»(۱)، و امتد عسكره حولها شرقا، و أقام ثلاثه أيّام، فقال له عماد الدّين: «امض إلى سنجار، و خذها و ادفعها إلىّ، و أنا أعطيک حلب».

و كان «عماد الدين» قد ندم على مقايضه أخيه بحلب و سنجار، حيث وصل و وجد خزائنها صفرا من المال، و قلعتها خاليه من العدد و السّلاح و الآلات، و أنّه يجاور مثل «الملک الناصر» فيها.

فعند ذلک سار «الملک الناصر» إلى جسر «البيره»، و كان صاحبها «شهاب الدّين بن أرتق» قد صار فى طاعته، فعبر إليه مظفّر الدّين بن زين الدّين إلى الناحيه الشّاميّه، و حرّان، إذ ذاک فى يده، كان أقطعه إياها عزّ الدّين صاحب الموصل، و حصلت بينه و بينه و حشه من الوقت الّذى عزم فيه على أخذ قلعه حلب، فكانت رسله تتردّد إلى «الملک الناصر»، تطمعه فى البلاد، و تحثّه على الوصول.

و عاد ابن زين الدّين معه حتى عبر الفرات فى جسر «البيره»، و كان «عزّ الدّين» قد وصل بعساكر الموصل إلى «دارا»(۲)، ليمنع «الملک النّاصر» من

۱- تعرف أيضا باسم عين اشمول، ذكرها ابن الشحنه ص ۲۴۵ بين منتزهات حلب.

۲- دارا مدينه فى لحف جبل بين ماردين و نصيبين ذات بساتين و مياه جاريه. الأعلاق الخطيره- قسم الجزيره- ص ۷۹۲.

حلب، فلما عبر الفرات عاد إلى الموصل، و عبر «الملک النّاصر»، فأخذ «الرّها» من ابن الزعفرانی، و سلّمها إلى ابن زین الدّین، و أخذ الرّقّه من ابن حسّان، و دفعها إلى ابن الزّعفرانی، و کاتب ملوک الشّرق، فأطاعوه، و قصد «نصیبین»، فأخذها.

و سار إلى الموصل، و فیها عسکر قویّ، فقوتل قتالا ـ شدیدا، و لم یظفر منها بطائل، فرحل عنها إلى «سنجار»، فأنفذ «مجاهد الدّین» إلیها عسکرا، فمنعه «الملک النّاصر» من الوصول، و حاصر «سنجار»، فسلّمها إلیه أمیر من الأکراد الزرزاریه، و کان فی برج من أبراجها، فسلّم إلیه تلک النّاحیه، و صارت «الباشوره»(۱) معه، فضعفت نفس والیها «أمیر أمیران» أخی عزّ الدّین، فسلّمها بالأمان، فی ثانی شهر رمضان من السّنه و قرّر «الملک النّاصر» أمورها، و عاد إلى حرّان.

و لما قصد «الملک النّاصر» البلاد الشرقیّه، رأى عماد الدّین أن یخرّب المعاقل المطیفه ببلد حلب، فشنّ الغارات على شاطی ء الفرات، و هدم حصن بالس، و حصر قلیعه نادر(۲) ففتحها، ثم هدمها بعد ذلک، و أغار على قرى الشطّ، فأخربها و استاق مواشیها، و أحرق جسر «قلعه جعبر»(۳).

ثم وصل إلى «منبج» و قاتلها، و أغار على بلدها، و وصلت الغاره إلى

۱- باشوره کل قلعه مدخلها.

۲- على مقربه من بالس انظر الأعلاق الخطیره- قسم حلب- ج ۲ ص ۲۵.

۳- فی بغیه الطلب ص ۳۸۵۸:« فخرب عزاز و حصن بزاعا و حصن بالس و حصن کفرلاثا».

«قلعه نجم»(۱)، و عبر الفرات، فأغار على «سروج»(۲).

ثم عاد إلى حلب؛ ثم خرج و هدم «حصن الكرزين»(۳) و خرب حصن «بزاعا» و قلعه «عزاز»، فى جمادى الآخره، و خرب حصن «كفرلاثا»(۴) بعد أخذه من صاحبه بكمش، و كان قد استأمن إلى «الملك الناصر»، و ضاق الحال عليه، فشرع فى قطع جامكيه أجناد من القلعه، و قتّر على نفسه فى النفقات.

و أما «الملك النّاصر»، فرحل من «حرّان» فنزل «بحرزم»(۵) تحت قلعه ماردين. فلم ير له فيها طمعا، فسار إلى «آمد»، فى ذى الحجّه، و كان قد وعد «نور الدين محمد بن قرا أرسلان» بأخذها من ابن نيسان، و تسليمها إليه، و حلف له على ذلك، فتسلّمها فى العشر الأول، من المحرّم من سنه تسع و سبعين و خمسمائه، و كان فيها من المال شى ء عظيم، فسلّم ذلك كلّه مع البلد إلى نور الدّين، و قيل له فى أخذ الأموال و تسليم البلد، فقال:

«ما كنت لأعطيه الأصل و أبخل بالفرع».

ثم إنّ الملك الناصر عبر إلى الشّام، فمرّ «بتلّ خالد» فحصرها،

۱- قلعه مطله على الفرات قرب جسر منبج. الأعلاق- قسم الجزيره- ص ۸۲۶.

۲- سروج بلده قريبه من حران من ديار مضر. معجم البلدان.

۳- فى منطقه منبج قريه اسمها« كرسان» فلعلها الموقع المقصود.

۴- كفرلاثه من قرى منطقه أريحا فى محافظه ادلب و تبعد عن ادلب مسافه ۲۰ كم.

۵- بليده بين ماردين و دنيسر من أعمال الجزيره. معجم البلدان.

فسلّمها أهلها بالأمان فى المحّرم. ثم سار منها إلى عين تاب، و بها «ناصر الدّين محمد» أخو «الشّيخ اسماعيل الخزندار»، فدخل فى طاعته، فأبقاها عليه.

و لمّا علم «عماد الدّين» ذلك، و تحقّق قصده لحلب، أخذ رهائن الحلبيّين، و أصعد جماعه من أولادهم و أقاربهم، خوفا من تسليم البلد، و قسم الأبراج و الأبواب على جماعه من الأمراء، و كان الأمراء «الياروقيه» بها فى شوكتهم.

و جاء الملك النّاصر، و نزل على حلب فى السّادس و العشرين من محرّم سنه تسع و سبعين و خمسمائه. و امتدّ عسكره من «بابلّى» إلى النّهر ممتّدا إلى «باسلين»(۱)، و نزل هو على «الخناقيّه»(۲)، و قاتل عسكر حلب قتالا عظيما، فى ذلك اليوم، و أسر «حسام الدّين محمود بن الختلو»، بالقرب من «بانقوسا»(۳)، و هو الذى تولى شحنكيه حلب، فيما بعد.

و هجم تاج الملوك بورى بن أيّوب، أخو «الملك النّاصر»، على عسكر حلب، فضرب بنشّاب زنبورك(۴) فأصاب ركبته، فوقع فى الأكحل، فبقى

۱- بابلى و باسلين من منتزهات حلب. انظر الأعلاق- قسم حلب- ج ۱ ص ۳۶۷، ۳۷۱.

۲- من منتزهات حلب. ابن الشحنه ص ۲۴۶.

۳- عد ابن الشحنه ص ۲۳۷ بانقوسا بين حارات حلب خارج الأسوار.

۴- من أنواع النشاب المرمى بواسطه النوابض، و معروف أن الأسلحه تطورت كثيرا فى هذه الحقبه.

أيّاما، و مات بعد فتح حلب، و دفن بتربه «شهاب الدّين الحارمىّ»، «بالمقام»(۱) ثم نقل إلى دمشق.

و جدّ الملك الناصر، بسبب أخيه على محاصره حلب أياما، فاجتمع(۲) إليه الأجناد من العسكر و الرّجال، و طلبوا منه قرارهم فمطلهم، فقالوا:

«قد ذهبت أخبازنا(۳)، و نحتاج لغلاء الأسعار إلى ما لا بدّ منه»، و شحّ بماله، فقال لهم: «أنتم تعلمون حالى، و قلّه مالى، و أننى تسلّمت حلب صفرا من الأموال، و ضياعها فى أقطاعكم». فقال له بعضهم: «من يريد حلب يحتاج إلى أن يخرج الأموال و لو باع حلى نسائه»؛ فأحضر أوانى من الذّهب و الفضّه، و غيرها؛ و باع ذلك، و أنفقه فيهم.

و كان الحلبيّون يخرجون على جارى عادتهم، و يقاتلون أشدّ قتال بغير جامكيّه(۴)، و لا قرار، نخوه على البلد، و محبّه لملكهم، فأفكر عماد الدّين، و رأى أنه لا قبل له بالملك النّاصر، و أنّ ماله ينفد، و لا يفيده شيئا، فخلا ليله بطمان، و قال له:

«ما عندك فى أمرنا؟ هذا الملك النّاصر، قد نزل محاصرا لنا، و هو ملك قوىّ، ذو مال، و الظّاهر أنّه يطيل الحصار، و تعلم أنّنى أخذت حلب

۱- مقام إبراهيم الخليل داخل القلعه.

۲- الضمير يعود هنا إلى زنكى الثانى، فقد طالبه الجند بالرواتب المقرره لهم مع التعويضات.

۳- الخبز الراتب.

۴- أى بدون نفقات و مرتبات.

خاليه من الخزائن، و الجند فيطالبوننى و ليس لى من المال ما يكفينى لمصابرته، و لا أدرى عاقبه هذا الأمر إلى ما ينتهى».

فأحسّ طمان عند ذلك بما قد حصل فى نفسه، فقال له: «أنا أذكر لك ما عندى، على شريطه الكتمان و الاحتياط بالمواثيق و الأيمان، على أن لا يطّلع أحد على ما يدور بيننا، فإنّ هؤلاء الأمراء إن اطّلعوا على شى ء ممّا نحن فيه أفسدوه، و انعكس الغرض»، فتحالفا على كتمان ذلك، فقال له طمان: «أرى من الرأى فى حلب أن تسلّمها إلى الملك النّاصر، بجاهها، و حرمتها، قبل أن تنتهك حرمتها، و يضعف أمرها، و تفنى الأموال، و تضجر الرجال، و يستغلّ بلدها فيتقوّى هو و عسكره به، و نحن لا نزداد إلّا ضعفا، و الآن فنحن عندنا قوه، و نأخذ منه ما نريد من الأموال و البلاد، و نستريح من الأجناد و إلحاحهم فى الطّلب، ثمّ قد أصبح ملكا عظيما، و هو صاحب مصر، و أكثر الشّام، و ملوك الشّرق قد أطاعوه و معظم الجزيره فى يده».

فقال له: «و اللّه هذا الّذى قلته كلّه رأيى، و هو الذى وقع لى، فاخرج إليه، و تحدّث معه على أن يعطينى: الخابور، و سنجار؛ و أىّ شى ء قدرت على أن تزداده فافعل، و اطلب الرّقّه لنفسك».

ثم إنّ طمان كتم ذلك الأمر، و باكر القتال، و أظهر أنّ بداره و اصطبله «بالحاضر» خشبا عظيما، و أنه يريد نقضها، كيلا يحرقها العسكر، فكان يبيت كلّ ليله فى داره، خارج المدينه. و يجتمع بالسّلطان

الملک النّاصر، خالیا، و یرتّب الأمور معه، و یجی ء إلی عماد الدّین و یقرّر الحال معه، و ینزل، و یصعد إلی القلعه من «برج المنشار»- و کان عند باب الجبل الآن متّصلا بالمنشار- إلی أن قرّر مع الملک النّاصر: أن یأخذ حلب و عملها، و لا یأخذ معها شیئا من أموالها، و ذخائرها، و جمیع ما فیها من الآلات و السّلاح، و أن یعطی عماد الدّین عوضا عنها: سنجار، و الخابور، و نصیبین، و سروج، و أن یکون لطمان الرّقّه(۱)؛ و یکون مع عماد الدّین.

و شرط علیه أن تکون الخطابه و القضاء للحنفیّه(۲) بحلب، فی بنی العدیم، علی ما هی علیه، کما کان فی دوله الملک الصّالح، و أن لا ینقل إلی الشافعیّه.

هذا کلّه یتقرّر، و القتال فی کلّ یوم بین العسکرین علی حاله. و لیس عند الطائفتین علم بما یجری، و یخرج من الحلبیّن فی کلّ یوم عشره آلاف مقاتل أو أکثر، یقاتلون أشدّ قتال.

و لم یعلم أحد من الأمراء و لا من أهل البلد، حتّی صعدت أعلام «الملک النّاصر» علی القلعه، بعد أن توثّق کلّ واحد من الملکین من صاحبه بالأیمان. فأسقط فی أیدی أهل حلب و الأمراء من «الیاروقیّه»، و غیرهم،

۱- فی بغیه الطلب ص ۳۸۵۸« و أن یعوضه عنها بسنجار و نصیبین و الخابور و الرقه و سروج و أن تکون بصری لطمان، و یکون فی خدمه زنکی».

۲- کان صلاح الدین شافعیا.

و خاف «الیاروقیّه» علی أخبازهم، و الحلبیّون علی أنفسهم، لما تکرّر منهم من قتال «الملک النّاصر» علی القلعه، بعد أن توثّق کلّ واحد، فی أیّام الملک الصّالح.

و صرّح العوامّ بسبّه، و حمل رجل من الحلبّین یقال له «سیف بن المؤذن» إجانه الغسّال، و صار بها إلی تحت الطّیّاره(۱) بالقلعه، و عماد الدّین جالس بها یشیر إلیه أن یغسل فیها کالمخانیث، و نادی إلیه: «یا عماد الدّین، نحن کنّا نقاتل بلا جامکیّه و لا جرایه، فما حملک علی أن فعلت ما فعلت؟».

و قیل: إنّ بعضهم رماه بالنشّاب فوقع فی وسط الطّیّاره، و عمل عوامّ حلب أشعارا عامیّه، کانوا یغنّون بها، و یدقّون علی طبیلاتهم بها، منها:

أحباب قلبی لا تلومونی هذا «عماد الدّین» مجنون

و دقّ آخر علی طبله، و قال مشیرا إلی «عماد الدّین»:

و بعت «بسنجار» قلعه حلب عدمتک من بایع مشتری

خریت علی حلب خریهنسخت بها خریه «الأشعری»(۲)

و صعد إلیه «صفیّ الدّین»- رئیس البلد- و وبّخه علی ما فعل، و هو

۱- امتداد مسقوف لقاعه مشرفه علی الشارع یطل منه الحاکم فیری ما یجری بالخارج دون أن یری و هو بالوقت نفسه متمتع بالحمایه.

۲- لعله أراد أبا موسی الأشعری و ما راج بین الناس عن موقفه فی التحکیم.

فی قلعه حلب لم یخرج منها بعد، فقال له عماد الدّین: فما فات، فاستهزأ به(۱).

و أنفذ عسکر حلب و أهلها، إلی السلطان الملک النّاصر:

عزّ الدّین جوردیک، و زین الدّین بلک، فاستحلفوه للعسکر و لأهل البلد، فی سابع عشر صفر، من سنه تسع و سبعین و خمسمائه.

و خرجت العساکر و مقدّمو حلب إلیه إلی «المیدان الأخضر»(۲) و خلع علیهم، و طیّب قلوبهم.

و لما استقرّ أمر الصّلح، حضر الملک النّاصر صلاح الدّین عند أخیه تاج الملوک، «بالخناقیه» یعوده و قال له: «هذه حلب، قد أخذناها، و هی لک» فقال: «لو کان و أنا حیّ، و و اللّه، لقد أخذتها غالیه حیث تفقد مثلی». فبکی الملک النّاصر و الحاضرون.

و أقام «عماد الدّین» بالقلعه، یقضی أشغاله، و ینقل أقمشته، و خزائنه، و السلطان الملک النّاصر مقیم «بالمیدان الأخضر»، إلی یوم

۱- عباره بغیه الطلب ص ۳۸۶۰ أقوم و أوضح قوله:« و وبخه علی ذلک، فقال و هو بالقلعه: لم نخرج منها بعد، فما فات شی ء، فاستهزأ به».

۲- خارج أسوار المدینه. الأعلاق الخطیره- قسم حلب- ج ۱ ص ۶۶، ۳۹۶.

الخميس ثالث و عشرين من صفر، فنزل «عماد الدّين» من القلعه و رتّب فيها «طمان» مقيما بها، إلى أن يتسلّم نواب «عماد الدّين» ما اعتاض به عن حلب، و استنابه فى بيع جميع ما كان فى قلعه حلب، حتى باع الأغلاق و الخوابى، و اشترى الملك النّاصر منها شيئا كثيرا.

[عصر الدوله الأيوبيه]

اشاره

[عصر الدوله الأيوبيه](۱)

و نزل عماد الدّين، فى ذلك اليوم إلى السّلطان الملك النّاصر و عمل له السّلطان وليمه و احتفل و قدّم «لعماد الدّين» أشياء فاخره من الخيل و العدد، و المتاع الفاخر، و هم فى ذلك إذ جاءه بعض أصحابه و أسرّ إليه بموت أخيه «تاج الملوك»، فلم يظهر جزعا و لا هلعا، و كتم ذلك عن عماد الدّين، إلى أن انقضى المجلس، و أمرهم بتجهيزه.

فلما انقضى أمر الدّعوه و علم عماد الدّين بعد ذلك عزّاه عن أخيه، و سار السّلطان الملك النّاصر معه مشيّعا فى ذلك اليوم، فسار حتى نزل «مرج قراحصار»(۲) فنزل به، و السّلطان فى خيمته إلى أن وصل «عماد الدّين» رسل أصحابه يخبرونه بأنّهم تسلموا «سنجار»، و المواضع التى تقرّرت له معها،

۱- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

۲- على نحو فرسخين من حلب فى جهه المشرق. بغيه الطلب ص ۳۸۶۲.

فرفعت أعلام الملك النّاصر، عند ذلك على القلعه، و صعد إليها فى يوم الاثنين السّابع و العشرين، من صفر، من سنه تسع و سبعين و خمسمائه.

و امتنع سرخک، والى «حارم»، من تسليمها إلى السّلطان الملك النّاصر، فبذل له ما يحب من الإقطاع، فاشتطّ فى الطّلب، و راسل الفرنج، ليست .. نجد بهم، فسمع بعض الأجناد، بقلعه حارم، ذلک، فخافوا أن يسلّمها إلى الفرنج، فوثبوا عليه، و حبسوه، و أرسلوا إلى السّلطان، يعلمونه بذلک، و يطلبون منه الأمان و الإنعام، فأجابهم إلى ذلک و تسلّمها.

و أقرّ عين تاب بيد صاحبها، و سلّم «تلّ خالد» إلى «بدر الدّين دلدرم» صاحب «تل باشر»، و كان من كبار الياروقيه، و أقطع «عزاز» الأمير علم الدين سليمان بن جندر. و ولّى الملک النّاصر قلعه حلب سيف الدّين يازكج الأسدى، و ولّى شحنكيه حلب حسام الدّين تميرک بن يونس، و ولّى ديوان حلب ناصح الدّين بن العميد الدمشقى، و أبقى الرئيس «صفىّ الدين طارق بن أبى غانم بن الطّريره»، فى منصبه على حاله، و زاد إقطاعه.

و كان الفقيه «عيسى» كثير التعصّب، فمازال به، و عزل عنها عمّى «أبو المعالى». و وليها «أبو البركات سعيد بن هاشم»، و فعل فى القضاء كذلک، فسيّر إلى القاضى محيى الدّين محمد بن زكىّ الدّين علىّ إلى دمشق،

بسفاره «القاضی الفاضل»، فأحضر إلی حلب و ولّی قضاءها، و عزل «والدی» عن القضاء، و امتدحه محیی الدّین بن الزّکیّ، بقصیده بائیّه، قال فیها:

و فتحکم «حلبا» بالسّیف فی صفرمبشّر بفتوح «القدس» فی رجب

فاتّفق من أحسن الإتفاقات، و أعجبها، فتح القدس فی شهر رجب من سنه ثلاث و ثمانین و خمسمائه.

و أقام محیی الدّین فی القضاء بحلب مدّه، ثم استناب القاضی زین الدّین أبا البیان نبأ بن البانیاسی فی قضاء حلب، و سار إلی بلده دمشق.

[أیام صلاح الدین]

ثم إنّ السّلطان «الملک الناصر» أقام بحلب، و رحل منها فی الثانی و العشرین من ربیع الآخر، من سنه تسع و خمسمائه. و جعل فیها ولده الملک «الظّاهر غازی»- و کان صبیا- و جعل تدبیر أمره إلی سیف الدّین یازکج.

و سار إلی دمشق، ثمّ خرج إلی الغزاه فی جمادی الآخره، و سار إلی «بیسان»، و قد هرب أهلها، فخرّبها، و نهبها؛ و خرّب حصنها. ثم سار إلی «عفربلا»، فخرّبها، و جرّد قطعه من العسکر، فخربوا «النّاصره» و «الفوله»(۱)، و ما حولهما من الضّیاع.

۱- الفوله قریه فی قضاء الناصره. معجم بلدان فلسطین لمحمد شراب ط. دمشق ۱۹۸۷. و انظر أیضا ولیم الصوری ص ۱۰۶۱- ۱۰۶۲.

و جاء الفرنج فنزلوا «عين الجالوت»، و دار المسلمون بهم، و بثّوا السّرايا فی ديارهم، للغاره و النّهب، و وقع جورديک، و جاولی الأسدی، و جماعه من النّوريه علی عسكر «الكرک» و «الشّوبک»، سائرين فی نجده الفرنج، فقتلوا منهم مقتله عظيمه، و أسروا مائه نفر، و عادوا.

و جری للمسلمين مع الفرنج وقعات، و لم يتجاسروا علی الخروج للمصاف، و عاد السلطان «إلی الطّور»(۱) فی سابع عشر جمادی الآخره.

فنزل تحت «الجبل»، مترقبا رحيلهم، ليجد فرصه، فأصبحوا، و رحلوا راجعين علی أعقابهم. و رحل نحوهم، و ناوشهم العسكر الإسلامیّ، فلم يخرجوا إليهم، و المسلمون حولهم، حتی نزلوا «الفوله» راجعين؛ و فرغت أزواد المسلمين، فعادوا إلی دمشق، و دخل السّلطان دمشق، فی رابع و عشرين جمادی الآخره.

ثم عزم علی غزو «الكرک»، فخرج إليها فی رجب، و كتب إلی أخيه «الملک العادل»، و أمره أن يلتقيه إلی الكرک، و سار السّلطان إلی الكرک، و حاصرها، و نهب أعمالها، و هجم ربضها، فی رابع شعبان. و هدم سورها بالمنجنيقات، و أعجزه طمّ خندقها، و وصلت الفرنج لنجدتها فلما اجتمعوا «بالجليل»، رحل عنها، و نزل بازائها(۲).

۱- و يسمی أيضا جبل طابور، يقع شرقی الناصره. معجم بلدان فلسطين.

۲- انظر وليم الصوری ص ۱۰۶۵- ۱۰۶۷، ۱۰۶۹- ۱۰۷۱.

[ولایه العادل حلب]

و وصل أخوه «الملک العادل»، من مصر، و عقد لابن أخیه «تقیّ الدّین عمر»، علی ولایتها، فسار إلیها فی نصف شعبان.

و عاد السّلطان الملک الناصر إلی دمشق، و الملک العادل أخوه معه، فعقد له علی ولایه حلب، و سار إلیها فی ثانی شهر رمضان، فوصلها، و صعد قلعتها فی یوم الجمعه، ثانی و عشرین من شهر رمضان، و خرج السّلطان الملک الظّاهر منها و معه «یازکج»، فوصل إلی والده فی شوّال.

و یقال إنّ «الملک العادل» دفع إلی السّلطان، لأجل حلب، ثلاثمائه ألف دینار مصریّه، و قیل دون ذلک، و کان السّلطان محتاجا إلیها لأجل الغزاه، فلذلک سلّم إلیه حلب، و أخذها من ولده.

و لما دخلها «الملک العال»، ولّی بقلعتها صارم الدّین بزغش، و ولّی الدّیوان و الأقطاع و الجند، و استهداء الأموال، و شحنکیه البلد: «شجاع الدّین محمّد بن بزغش البصراوی»، و استکتب الصّنیعه ابن النحّال- و کان نصرانیا- فأسلم علی یدیه، و ولّی وقوف الجامع فخر الدّین أحمد بن عبد اللّه بن القصری، و أمره بتجدید المساجد الدّاثره بحلب، و القیام بمصالحها، و توفیر أوقافها علیها، و ان لا یتعرّض لوقف المسجد الجامع، بل

يوفّر وقفه على مصالحه، و لا- يرفع إلى «الزّردخاناه(۱)» إلا ما فضل عن ذلك كلّه، و جدّد فى أيامه مساجد متعدّده كانت قد تهدّمت.

و وقع فى أيامه وقعه بين الحنفيّه و الشافعيّه، و صار بينهم جراح، فصنع لهم الملك العادل دعوه فى الميدان الأخضر؛ و أصلح بين الفريقين، و خلع على الأكابر من الفقهاء و المدرّسين، و هدم الحوش القبليّ الشّرقيّ الذى كان للقلعه، و هو ما بين الجسرين تحت المركز، و رأى أن يسفّحه، فسفّحه السّلطان الملك الظّاهر بعده، و كتب عليه اسمه بالسّواد إلى أن غاب فى أيام ابنه الملك العزيز فجدّد، و زالت الكتابه، و بقى بعضها.

و وصل رسول الخليفه شيخ الشّيوخ «صدر الدّين عبد الرّحيم بن اسماعيل»، إلى السّلطان «الملك النّاصر»، فى الاصلاح بينه و بين عزّ الدّين- صاحب الموصل- و ورد معه من الموصل القاضى محيى الدّين أبو حامد بن الشّهرزورى، الّذى كان قاضى حلب ثم تولّى قضاء الموصل، و القاضى بهاء الدين أبو المحاسن بن شدّاد، الذى صار قاضى عسكر السلطان «الملك الناصر»، و ولى قضاء حلب فى أيام ابنه الملك الظّاهر، و لم يتفق الصلح. بينهما(۲).

۱- الزردخاناه: مستودع حفظ الأسلحه، و يبدو من النص أنه كان يحفظ به ما فضل من دخل الأوقاف.

۲- مكث ابن شداد لدى صلاح الدين و هو الذى ألف حوله كتاب المحاسن اليوسفيه.

و حضرنی حکایه جرت لشیخ الشیوخ مع «محیی الدّین»، فی هذه السّفره، و ذلک أن شیخ الشیوخ کان قد وصل إلی السّلطان «الملک النّاصر»، و هو محاصر للموصل، لیصلح بینه و بین عزّ الدّین، فی المحاصره الأولی، فلم یتّفق الصلح، و اتّهم أهل الموصل شیخ الشّیوخ بالمیل مع «الملک النّاصر»، فعمل محیی الدّین فیه أبیاتا منها:

بعثت رسولا أم بعثت محرّضاعلی القتل تستجلی القتال و تستحلی؟

و قال فیها مخاطبا للإمام النّاصر:

فلا تغترر منه بفضل تنمّس فما هکذا کان «الجنید» و لا «الشّبلی»(۱)

فبلغت الأبیات شیخ الشیوخ.

فلما اجتمعا فی هذه السفره و تباسطا، قال له شیخ الشیوخ: «کیف تلک الأبیات التی عملتها فیّ؟» فغالطه عنها، فأقسم علیه باللّه أن ینشده إیّاها، فذکرها له، حتی أنشده البیت الذی ذکرناه أوّلا، فقال: «و اللّه لقد ظلمتنی، و اننی و اللّه، اجتهدت فی الاصلاح فما اتّفق» فأنشده تمامها، حتی بلغ إلی قوله: «فما هکذا کان الجنید و لا الشّبلی» فقال: «و اللّه لقد صدقت، فما هکذا کان الجنید و لا الشّبلی، أدور علی أبواب الملوک من باب هذا إلی باب هذا».

ثمّ إنّ الرّسل ساروا عن غیر زبده، و توجّه الملک العادل من حلب فی ذی الحجّه، و عیّد عند أخیه بدمشق، ثم عاد إلی حلب.

۱- من أشهر أئمه الصوفیه.

و اهتمّ السّلطان الملك النّاصر، فی سنه ثمانین و خمسمائه، لغزاه «الکرک»، فوصل إلیه «نور الدّین بن قرا أرسلان»، و اجتاز بحلب، فأکرمه «الملک العادل»، و أطلعه إلی قلعتها فی صفر، ثم رحل معه إلی دمشق، فخرج السّلطان، و التقاه علی عین الجر(۱)، «بالبقاع»، ثم تقدّم إلی دمشق و تجرد و تأهب للغزاه، و خرج إلی «الکرک»، و استحضر العساکر المصریه، فوصل تقیّ الدّین ابن أخیه، و معه بیت الملک العادل، و خزائنه، فسیرهم إلی حلب.

و نازل الکرک، و أحدقت العساکر بها، و هجموا الربض، و بینه و بین القلعه خندق و هما جمیعا علی سطح جبل، و سدّوا أکثر الخندق، و قاربوا فتح الحصن، و کانت للبرنس «أرناط»، فکاتب من فیها الفرنج، فوصلوا فی جموعهم إلی موضع یعرف «بالواله»(۲)، فسیّر «الملک النّاصر» الأثقال، و رحل بعد أن هدم الحصن بالمنجنیقات.

و رحل عنها فی جمادی الآخره، و أمر بعض العسکر فدخلوا إلی بلاد الفرنج، فهجموا نابلس، و نهبوها، و خربوها، و استنقذوا منها أسری من المسلمین، و فعلوا فی «سبسطیه»(۳) و «جینین»(۴) مثل ذلک، و عادوا و دخلوا

۱- هی عنجر الحالیه فی لبنان علی مقربه من الحدود السوریه اللبنانیه الحالیه قبل بلده شتورا.

۲- لم یرد ذکر هذا الموقع فی المعاجم العامه أو المتخصصه بفلسطین، و یستفاد من ولیم الصوری ص ۱۰۷۰، أنه کان علی أطراف البحر المیت.

۳- سبسطیه قریه فی الشمال الغربی من مدینه نابلس علی بعد مسافه ۱۵ کم منها. معجم بلدان فلسطین.

۴- تمثل مدینه جینین(جنین) الرأس الجنوبی للمثلث المتکون من مرج بنی عامر. معجم بلدان فلسطین.

دمشق مع السلطان.

و وصل إليه «شيخ الشّيوخ» بالخلع، من الخليفه النّاصر، له و لأخيه «الملک العادل»، و لابن عمّه ناصر الدّين(۱)، فلبسوها، ثم خلع السّلطان، بعد أيّام خلعته الوارده من الخليفه على نور الدّين بن قرا أرسلان.

و ورد إليه رسول مظفّر الدّين بن زين الدّين، يخبره أن عسكر «الموصل»، و عسكر «قزل» نزلوا على «إربل»، و أنهم نهبوا و أخربوا، و أنّه انتصر عليهم، و يشير عليه بقصد الموصل، و يقوّى طمعه، و بذل له إذا سار إليها خمسين ألف دينار، فعند ذلک هادن الفرنج مدّه.

و رحل من دمشق فى ذى القعده من سنه ثمانين، فوصل حلب و أقام بها إلى أن خرجت السنه، و سار منها إلى «حرّان»، و التقاه مظفر الدين بالبيره، فى المحرم سنه إحدى و ثمانين، و عاد معه إلى «حرّان»، و طالبه بما بذل له من المال، فأنكر ذلک فأحضر رسوله العلم بن ماهان، فقابله على ذلک، فأنكر، فقبض عليه، و وكّل به.

ثم أخذ منه مدينتى حرّان و الرّها، و أقام فى الاعتقال إلى مستهل شهر ربيع الأول، ثم أطلقه خوفا من انحراف الناس عنه، لأنهم علموا أنه الذى ملّكه البلاد الجزريه، و أعاد عليه «حرّان»، و وعده باعاده الرها، إذا عاد من سفرته، فأعادهما عليه.

۱- ابن أسد الدين شيركوه، و كان إقطاعه حمص.

[حصار صلاح الدين للموصل]

و سار الملک النّاصر إلى الموصل، فوصل «بلد»(۱)، فنزلت إليه والده عزّ الدّين، و معها ابنه نور الدّين، و غيرها من نساء بنى أتابک، يطلبن منه المصالحه، و الموافقه، فردّهن خائبات، ظنا منه أن «عزّ الدّين» أرسلهنّ عجزا عن حفظ الموصل؛ و اعتذر بأعذار ندم عليها بعد ذلک.

و رحل، حتّى صار بينه و بين الموصل مقدار فرسخ فكان يجرى القتال بين العسكرين، و بذل أهل الموصل نفوسهم فى القتال لردّه النّساء، و ندم السّلطان على ردّهن، و افتتح «تل عفر»، فأعطاها عماد الدّين صاحب سنجار.

و أقام على حصار الموصل شهرين، ثمّ رحل عنها، و جاءه الخبر بموت شاه أرمن، و كاتبه جماعه من أهل خلاط، فترک الموصل طمعا فى خلاط فاصطلح أهل خلاط مع البهلوان صاحب «أذربيجان»، فنزل السّلطان على «ميّافارقين»، و كان صاحبها «قطب الدّين ايلغازى بن ألبى بن تمرتاش»، و ملک بعده حسام الدّين بولق أرسلان، و هو طفل، فطمع فى أخذها، و نازلها، فتسلّمها من واليها، و زوّج بعض بنيه ببنت الخاتون بنت قرا أرسلان، ثم عاد إلى الموصل عند إياسه من خلاط، فوصل إلى «كفر زمّار»(۲)، فى شعبان، من سنه إحدى و ثمانين، فأقام بها مدّه، و الرسل تتردّد بينه و بين عزّ الدّين.

۱- مدينه قديمه فوق الموصل على دجله بينهما سبعه فراسخ. الأعلاق- قسم الجزيره- ص ۷۶۸.

۲- كفر زمار: قريه من قرى الموصل: معجم البلدان.

فمرض السّلطان بكفر زمار، فسار عائدا إلى حرّان، و أتبعه عزّ الدين بالقاضى بهاء الدين بن شداد، و بهاء الدّين الرّبيب، رسولين إليه فى موافقته على الخطبه و السكّه، و أن يكون معه عسكر من جهته، و أن يسلم إليه «شهرزور»(۱)، و أعمالها، و ما وراء «الزّاب».

[مرض صلاح الدين بحران]

و اشتد مرض السّلطان بحرّان فى شوّال، و أيس منه، و أرجف بموته، و وصل إليه الملك العادل من حلب، و معه أطبّاؤها، و استدعى المقدّمين من الأمراء من البلاد، فوصلوا إليه. و عزم «الملك العادل» على استحلاف الناس لنفسه.

و سار ناصر الدين صاحب حمص طمعا فى ملك الشّام، و قيل انه اجتاز بحلب، ففرّق على أحداثها مالا، و سار إلى حمص، و جرى من تقىّ الدّين بمصر حركات من يريد أن يستبدّ بالملك.

و تماثل السّلطان، و بلغه ذلك كلّه، و أركب، فرآه الناس، و فرحوا، و ابتنى دارا ظاهر «حرّان» فجلس فيها حين عوفى، فسمّيت «دار العافيه». و لما عوفى ردّ على مظفّر الدّين «الرّها»، و أعطاه سنجقا، و أحضر رسولى الموصل، و حلف لهما على ما تقرّر فى يوم عرفه.

و بلغه موت ابن عمّه ناصر الدّين، صاحب حمص، و رحل عن حرّان إلى حلب، و صعد قلعتها يوم الأحد، رابع عشر محرم سنه اثنتين

۱- شهرزور: كوره واسعه فى الجبال بين اربل و همذان. معجم البلدان.

و خمسمائه. و أقام بها أربعه أيام، ثم رحل إلى دمشق، فلقيه «أسد الدّين شيركوه»، ابن صاحب حمص، فأعطاه حمص، و سار إلى دمشق.

و سيّر إلى «الملك العادل»، و طلبه إليه إلى دمشق، فخرج من حلب جريده، ليله السّبت الرّابع و العشرين، من شهر ربيع الأوّل من سنه اثنتين. فوصل إليه إلى دمشق، و جرت بينهما أحاديث و مراجعات استقرّت على أن الملك العادل يطلع إلى مصر، و معه الملك العزيز، و يكون أتابكه؛ و يسلّم حلب إلى الملك «الظّاهر غازى»، و ينزل الأفضل إلى دمشق من مصر، و ينزل تقىّ الدين أيضا منها.

و كان الّذى حمله على إخراج الملك العادل من حلب أنّ علم الدين سليمان بن جندر كان بينه و بين الملك النّاصر صحبه قديمه، قبل الملك، و معاشره، و انبساط، و كان الملك العادل و هو بحلب لا يوفيه ما يجب له، و يقدّم عليه غيره.

فلما عوفى الملك النّاصر سايره يوما «سليمان»، و جرى حديث مرضه، و كان قد أوصى لكلّ واحد من أولاده بشى ء من البلاد، فقال له «سليمان بن جندر»: «بأىّ رأى كنت تظنّ أن وصيّتك تمضى كأنّك كنت خارجا إلى الصيد، و تعود فلا يخالفونك، أما تستحى أن يكون الطّائر أهدى منك إلى المصلحه؟». قال: «و كيف ذلك؟»- و هو يضحك-. قال: «إذا أراد الطائر أن يعمل عشّا لفراخه، قصد أعالى الشّجره، ليحمى فراخه، و أنت سلّمت الحصون إلى أهلك، و جعلت أولادك على الأرض، هذه حلب،

و هى أمّ البلاد بيد أخيك؛ و حماه بيد تقىّ الدّين، و حمص بيد ابن أسد الدّين، و ابنک الأفضل مع تقىّ الدّين بمصر يخرجه متى شاء، و ابنک الآخر مع أخيک فى خيمته يفعل به ما أراد». فقال له: «صدقت، و اكتم هذا الأمر».

[ولايه الظاهر غازى لحلب]

ثم أخذ حلب من أخيه، و أعطاها ابنه «الملک الظاهر»، و أعطى الملک العادل بعد ذلک حرّان، و الرّها، و ميافارقين، ليخرجه من الشام، و يتوفّر الشام على أولاده. فكان ما كان، و أخرج «تقىّ الدّين» من مصر، فشقّ عليه ذلک و امتنع من القدوم، ثم خاف، فقدم عليه.

و سيّر الملک العادل «الصّنيعه» لا حضار أهله من حلب، و سار «الملک الظّاهر»- قدّس اللّه روحه- إلى حلب، و سيّر فى خدمته «شجاع الدين عيسى بن بلاشوا»(۱)، و ولّاه قلعه حلب، و أوصاه بتربيه الملک الظّاهر، و أخيه الملک الزّاهر، و حسام الدين بشاره- صاحب بانياس- و ولّاه المدينه، و جعل الديوان بينهما.

و جعل قرار «الملک الظاهر» فى السنه ثمانيه و أربعين ألف دينار بيضاء فى كلّ شهر أربعه آلاف دينار، و كلّ يوم قباء و كمه(۲)، و عليق دوابّه من

۱- فى مفرج الكروب ج ۲ ص ۱۷۹« عيسى بن بلاشق».
۲- كذا بالأصل و لعلها تصحيف« كمر» أى قباء و نطاق.

الأهراء، و خبزه من الأهراء، و استمرّت هذه الوظيفه، إلى سنه ستّ و ثمانين إلى رجب.

فورد كتاب الملك النّاصر إلى ولده الملك الظّاهر، يأمره بأن يأمر و ينهى، و أن يقطع الإقطاعات، و أنّ البلد بلده. و كان القاضى الزبدانى يكتب له، فلم يعجبه، فانصرف على حال غير محموده.

و على ذكر «علم الدين سليمان بن جندر»، تذكرت حكايه مستملحه عنه، فأثبتها:

أخبرنى الزكى أحمد بن مسعود الموصلى المقرى ء، قال: كنت أؤم بعلم الدّين سليمان بن جندر، فاتّفق أن خرجت معه إلى حارم، فى سنه سبع و سبعين و خمسمائه، و جلست معه تحت شجره هناك، فقال: كنت و مجد الدّين أبو بكر بن الدّايه و الملك النّاصر صلاح الدّين، تحت هذه الشجره، و نور الدّين إذ ذاك يحاصر حارم، و هى فى أيدى الفرنج، فقال مجد الدّين: كنت أتمنّى أن نور الدّين يفتح حارم، و يعطينى إيّاها، فقال صلاح الدّين: أتمنّى على اللّه مصر، ثم قالا لى: تمنّ أنت شيئا، فقلت:

إذا كان مجد الدّين صاحب حارم و صلاح الدّين صاحب مصر، ما أضيع بينهما، فقالا: لا بدّ من أن تتمنّى شيئا، فقلت: إذا كان و لا بدّ من ذلك فأريد «عمّ».

فقدّر اللّه أنّ نور الدّين كسر الفرنج، و فتح حارم، و أعطاها مجد الدّين، و أعطانى «عمّ». فقال صلاح الدّين: أخذت أنا مصر و اللّه، فانّنا

كنّا ثلاثه، و تمنّى «مجد الـدّين» حارم، و أخـذها، و تمنّى علم الدّين «عمّ» و أخذها. و قد بقيت أمنيتى. فقدّر اللّه تعالى: أن فتح أسد الدّين مصر، ثمّ آل الأمر إلى أن ملكها صلاح الدين. و هذا من أغرب الاتفاقات.

و زوّج السّـلطان الملك النّاصـر ولده «الملك الظّاهر»، فى هذه السّنه، بابنه أخيه «غازيه خاتون» بنت «الملك العادل». و دخل بها يوم الأربعاء سادس و عشرين من شهر رمضان.

ثم إنّ السّلطان عزم على قصد «الكرك» مرّه أخرى فبرز من دمشق، فى النّصف من محرّم سنه ثلاث و ثمانين و خمسمائه، و سيّر إلى حلب يسـتدعى عسـكرها، فاعتـاق عليه، لاشـتغاله بالفرنـج بأرض «أنطاكيه»، و بلاد «ابن لاون»، و ذلك أنه كان قـد مات، و أوصى لابن أخيه بالملك.

و كان الملك المظفّر تقىّ الدّين بحماه، فسـيّر إليه السّـلطان، و أمره بالدّخول إلى بلاد العدوّ، فوصل إلى حلب فى سابع عشـرى محرّم، و نزل فى دار «عفيف الدّين بن زريق»(۱)، و أقام بها إلى ثالث صـفر، و انتقل إلى دارى الآن، و كانت إذ ذاك فى ملك الأـمير طمـان، ثم خرج إلى «حـارم»، و أقـام بهـا إلى أن صـالحهم، فى العشـر الأـواخر من شـهر ربيع الأـوّل، ثم سـار حـتى لحق السّلطان، و أما السّلطان فانه سار إلى رأس الماء(۲)، و اجتمعت اليه العساكر

۱- تحولت إلى مدرسه عرفت بالمدرسه الصلاحيه فى محله سويقه على. الآثار الاسلاميه ص ۲۲۸.

۲- سلف أن ذكرت أن رأس الماء يعرف الآن باسم نبع السريا و منه تشرب بلده الشيخ مسكين فى حوران.

الاسـلاميه من الموصل، و الشّـرق، و مصـر، و الشّام، «بعشترا»، بعـد أن أتته الأخبار أن البرنس «أرناط» يريد الخروج على الحاجّ، فأقام قريبا من «الكرك» مشـغلا خاطره، ليلزم مكانه إلى أن وصل الحاج، و تقـدّم إلى الكرك، و بثّ سـراياه، فنهبوا بلـدها و بلد «الشوبك»، و خربوه.

و أرسل إلى ولـده الملك الأفضل، فأخذ قطعه من العسـكر، فدخل إلى بلد عكا، فأخربوا و نهبوا، و خرج إليهم جمع من الداويه و الاسبتاريّه، فظفروا بهم، و قتل منهم جماعه، و أسر الباقون، و قتل مقدّم الاسبتار.

و عاد السّـلطان إلى العسـكر، و عرض العسـكر قلبا و جناحين، و ميمنه و ميسـره، و جاليشـيّه و ساقه، و عرّف كلّا منهم موضعه، و سـار على تعبئه، فنزل «بالأقحوانه»(۱) بـالقرب من طبريه، و كـان القمص صاحبها(۲) قـد انتمى إلى السّـلطان، لخلف جرى بينه و بين الفرنج. فأرسل الفرنج إليه البطرك و القسوس و الرّهبان، و تهدّدوه بفسخ نكاح زوجته، و تحريمه، فاعتذر، و تنصّل، و رجع عن السّلطان إليهم، ثم ساروا كلّهم بجموعهم إلى «صفّوريه»(۳).

فرحـل السّـلطان، يوم الخميس لسـبع بقين من ربيع الآـخر، و خلّف طـبريه ورآء ظهره، و صـعد جبلهـا، و تقـدّم إلى الفرنـج، فلم يخرجوا من

۱- بوادى الأردن قرب عقبه أفيق. معجم البلدان.

۲- كانت طبريه لزوجه القمص- الكونت- ريموند الثالث صاحب طرابلس.

۳- على بعد ۷ كم غرب مدينه الناصره. معجم بلدان فلسطين.

خيمهم، فنزل، و أمر العسكر بـالنّزول، فلما جنّه اللّيل، جعل فى مقابله الفرنـج من يمنعهم من القتال، و نزل إلى طبريّه جريـده، و قاتلها، و أخذها فى ساعه من نهار، و نهبوا المدينه و أحرقوها.

فلما سـمع الفرنج بذلك، تقدّموا إلى عساكر المسـلمين، فعاد السّلطان إلى عسكره، و التقى الفريقان، و جرى بينهما قتال، و فرّق بينهما اللّيل، و طمع المسلمون فيهم، و باتوا يحرّض بعضهم بعضا.

فلما كان صباح السّبت لخمس بقين من الشهر، طلب كل من الفريقين موضعه، و علم المسلمون أنّ «الأردنّ» من ورآئهم، و بلاد القوم بين أيـديهم، فحملت العسـاكر الاسـلاميّه من الجوانب؛ و حمـل القلب، و صـاحوا صـيحه واحـده، فهرب القمص فى أوائل الأمر نحو «صور»، و تبعه جماعه من المسلمين، فنجا وحده، فلم يزل سقيما حتى مات فى رجب.

[معركه حطين]

و أحـاط بالبـاقين من كـلّ جـانب، فـانهزمت منهم طائفه، فتبعها المسـلمون فلم ينـج منهم أحـد. و اعتصـمت الطائفه الأخرى بتلّ حطّين- و حطّين: قريه عندها قبر شـعيب عليه السّـلام- فضائقهم المسـلمون على التلّ، و أوقدوا النيران حولهم، فقتلهم العطش، و ضاق الأمر بهم حتّى استسـلموا للأسر، فأسر مقدّموهم و هم: الملك كى(۱)، و البرنس أرناط صاحب الكرك و أخو الملك، و ابن الهنفرى، و أولاد الست(۲)، و صاحب

۱- صحف بالأصل إلى« جفرى».

۲- صاحبه طبريا.

جبيل، و مقـدّم الـداويّه، و مقـدّم الاسـبتار، و أمم لا يقع عليها الإحصاء، حتى كان الرّجل المسـلم يقتاد منهم عشـرين فرنجيا، فى حلقهم حبل.

و أسـروا من المصـافّ، و من بلاد الفرنـج أكثر من ثلاثين ألفا من الفرنـج، ما بين رجل، و امرأه، و صبىّ، و قتل من المقـدّمين و غيرهم خلق لا يحصى؛ و لم يجر على الفرنج منذ خرجوا إلى السّاحل مثل هذه الوقعه.

و كان من جمله الغنيمه فى يوم المصاف صـليب الصّلبوت، و هو قطعه خشب مغلّفه بالذّهب، مرصّعه بالجوهر، يزعمون أنّ ربّهم صلب عليها، و ضربت فى يديه المسامير، أحضروه معهم المصاف تبرّكا به، و رفعوه على رمح عال.

فأمّـا مقـدّم الـداويّه و الاسـبتار، فاختـار السّـلطان قتلهم فقتلـوا، و أمـا الملـك «كى»، فـإنّه أكرمه، و جلس له فى دهليز الخميه، و استحضـره، و أحضـر معه «البرنس أرنـاط»، و نـاول الملـك «كى» شـربه من جلّاب بثلـج، فشـرب منها و كان على أشـدّ حال من العطش، ثم نـاول الملك بعضـها «ابرنس أرناط»، فقال السّـلطان للتّرجمان: «قل للملك: أنت الّذى سـقيته، و إلّا ما سـقيته أنا». و أراد بذلك عاده العرب أنّ الأسير إذا أكل أو شرب ممّن أسره أمن.

و كان السّلطان قد نذر مرّتين إن أظفره اللّه به أن يقتله: إحداهما لما أراد المسير إلى مكّه و المدينه، و بعثره قبر النبى- صلّى اللّه عليه و سلّم-

و المرّه الأخرى أنّ السّلطان كان قد هادنه، و تحالفا على أمن القوافل

المتردّده من الشّام إلى مصر، فاجتاز به قافله عظيمه، غزيره الأموال، كثيره الرّجال، و معها جماعه من الأجناد، فغدر بهم الملعون، و اخذهم و أموالهم و قال لهم: «قولوا لمحمد يجيء ينصركم»، فبلغ ذلك السّلطان و سيّر إليه، و هدّده، و لامه، و طلب منه ردّها فلم يجب، فنذر أن يقتله متى ظفر به.

فالتفت السّلطان إلى «ارناط»، و واقفه على ما قال، و قال له: «ها أنا أنتصر لمحمد». ثم عرض عليه السلام، فلم يفعل. فسلّ السيف، و ضربه به، فحلّ كتفه، و تمّم عليه من حضر، و أخذ و رمى على باب الخيمه.

فلما رآه الملك على تلك الصّوره لم يشكّ فى أنّه يثنّى به، فاستحضره، و طيّب قلبه، و قال: «لم تجر عاده الملوك أنّهم يقتلون الملوك، و لكنّ هذا طغى، و تجاوز حدّه فجرى ما جرى».

ثم إنّ السّلطان أصبح يوم الأحد، الخامس و العشرين، فنزل على «طبريه»، و تسلّم قلعتها بالأمان من صاحبتها ثم رحل منها يوم الثلاثاء إلى «عكّا»، فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ الشّهر، و قاتلها يوم الخميس مستهلّ جمادى الأولى، فأخذها، و استنقذ منها أربعه آلاف أسير من المسلمين، و أخذ جميع ما فيها، و تفرّق العسكر.

و فتح بعدها: قيساريه، و نابلس، و حيفا، و صفّوريه، و الناصره، و الشقيف، و الفوله، فأخذوها، و استولوا على سكّانها، و أموالها.

و رحل السّلطان من عكّا إلى «تبنين»، و قاتلها، و فتحها يوم الأحد

ثامن عشر جمادى الأولى، ثم رحل منها إلى «صيدا» فتسلّمها يوم الأربعاء العشرين منه، ثم سار إلى «بيروت»، ففتحها فى التاسع و العشرين منه، ثم سلّمت «جبيل» إلى أصحابه و هو على بيروت.

ثم سار إلى «عسقلان»، و نازلها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخره، و تسلّمها يوم السبت سلخ جمادى الآخره، بعد أن تسلّم فى طريقه مواضع «كالرّمله» «و يبنا»(۱) و «الدّاروم». و أقام على عسقلان، و تسلّم أصحابه غزه، و بيت جبرين، و النّطرون، و بيت لحم، و مسجد الخليل عليه السّلام.

و سار إلى «بيت المقدس»، فنزل عليه الأحد الخامس عشر من شهر رجب من سنه ثلاث و ثمانين، فنزل بالجانب الغربى، و كان مشحونا بالمقاتله من الخيّاله و الرجّاله، و كان عليه من المقاتله ما يزيد على ستّين ألفا غير النسآء و الصّبيان، ثم انتقل إلى الجانب الشمالى، يوم الجمعه العشرين من شهر رجب و نصب عليه المنجنيقات، و ضايقه بالزّحف، و القتال، و كثره الرّماه، حتى أخذ النّقب فى السّور، مما يلى «وادى جهنّم»، فى قرنه شماليه.

و لمّا رأوا ذلك و علموا أن لا ناصر لهم، و أنّ جميع البلاد التى افتتحها السّلطان صار من بقى من أهلها إلى «القدس»، خرج عند ذلك إليه ابن

۱- كانت يبنا من اقطاعيات الفرنجه الهامه، و هى تبعد ۷ كم عن البحر و كانت قبل عام ۱۹۴۸ محطه قطار بين فلسطين و مصر، معجم بلدان فلسطين.

بارزان(۱)، ملقیا بیده، و متوسطا لأمر قومه، حتّی استقرّ مع السّلطان خروج الفرنج عنها بأموالهم و عیالهم، و أن یؤدّوا الأمانه، یؤدّوا عن کلّ رجل منهم عشره دنانیر، و عن کلّ امرأه خمسه دنانیر، و عن کلّ طفل لم یبلغ الحلم دینارین. و من عجز عن ذلک استرق، فبلغ الحاصل من ذلک عن من خرج منهم مائتین و ستّین ألف دینار صوریّه، و استرقّ بعد ذلک منهم نحو ستّه عشر ألفا.

و کان السّلطان قد رتّب فی کلّ باب أمیرا أمینا لأخذ ما استقرّ علیهم، فخانوا، و لم یؤدّوا الأمانه، فانه کان فیه، علی التّحقیق، العدّه التی ذکرناها، و أطلق «ابن بارزان» ثمانیه عشر ألف رجل من الفقراء، وزن عنهم ثلاثین ألف دینار.

[تحریر القدس]

و تسلّم القدس فی یوم الجمعه السابع و العشرین، من شهر رجب، و أقیمت صلاه الجمعه فیه، فی الجمعه التی تلی هذه، و هی رابع شعبان.

و خطب بالناس محیی الدّین بن زکیّ الدین- و هو یومئذ قاضی حلب- و أزیلت الصلّبان من قبّه الصخره، و محراب داود، و أزیل ما کان بالمسجد الأقصی من حوانیت الخمّارین، و هدمت کنائسهم و المعابد، و بنیت المحاریب و المساجد.

و أقام السّلطان علی «القدس»، ثم رحل عنه، فی الخامس و العشرین

۱- أنظر کتابی حطین- ط. دمشق ۱۹۸۴ ص ۱۶۷.

من شعبان، فنزل على صور بعد أن قدم عليه ولده «الملك الظّاهر»، من حلب فى ثامن عشر شهر رمضان، قبل وصوله إليها.

و كان نزوله على «صور» فى ثانى عشرين من شهر رمضان، و ضايقها، و قاتلها، و استدعى أسطول مصر، فكانت منه غرّه فى بعض اللّيالى، و ظنّوا أنه ليس فى البحر من يخافونه، فما راعهم إلّا و مراكب الفرنج من «صور» قد كبستهم، و اخذوا منهم جماعه، و قتلوا جماعه، فانكسر نشاط السّلطان، و رحل عنها فى ثانى ذى القعده، و أعطى العساكر دستورا، و ساروا إلى بلادهم(۱).

و أقام هو بعكا، إلى أن دخلت سنه أربع و ثمانين و خمسمائه، و كان من «بهونين»(۲) قد أرسلوا إلى السّلطان، و هو «بصور»، فأمّنهم، و سيّر من تسلّمها، و سار السّلطان، فنزل على حصن «كوكب»(۳) فى أوائل المحرم من هذه السنه، و كان قد جعل حولها جماعه يحفظونها من دخول قوه، فأخذ الفرنج غرّتهم ليلا، و كبسوهم بعفربلا(۴) و قتلوا مقدّمهم «سيف الدّين» أخا «الجاولى»، فسار السلطان، و نزل عليها بمن كان قد بقى من خواصّه بعكا، و كان ولده «الملك الظّاهر» قد عاد عنه إلى حلب، و عاد أخوه «الملك

۱- انظر كتابى حطين ص ۱۷۰- ۱۷۱.
۲- هونين الآن فى جنوب لبنان.
۳- كوكب قلعه على الجبل المطل على مدينه طبريه حصينه رصينه. معجم البلدان.
۴- سلف أن نقلنا عن ياقوت أن عفربلا: بلد بغور الأردن قرب بيسان و طبريه.

العادل» إلی مصر، فحصره، ثم رأی أنه حصن منیع، فرحل عنه و جعل علیه قایماز النجمی محاصرا.

[تحریر الساحل الشامی]

و سار إلی دمشق، ثم سار من دمشق فی النّصف من ربیع الأول إلی حمص، فنزل علی بحیره «قدس»(۱)، و وصل إلیه «عماد الدّین زنکی» صاحب سنجار، و تلاحقت به العساکر، و اجتمعت عنده، فنزل علی تلّ قباله «حصن الأکراد»، فی مستهل ربیع الآخر، و سیّر إلی الملک الظاهر إلی حلب و إلی «الملک المظفر»، بأن یجتمعا و ینزلا «بتیزین» قباله «انطاکیه» لحفظ ذلک الجانب، فسارا حتی نزلا «تیزین» فی شهر ربیع الآخر و تواصلت إلیه العساکر فی هذه المنزله.

ثم رحل یوم الجمعه رابع جمادی الأولی، علی تعبئه لقاء العدو، و دخل إلی بلاد العدو، و أغار علی «صافیتا» و «العریمه» و غیر ذلک من ولایاتهم، و وصل إلی «انطرطوس»(۲) فی سادس جمادی الأولی فوقف قبالتها، و نظر إلیها، و سیّر من ردّ المیمنه، و أمرها بالنزول علی جانب البحر، و أمر المیسره بالنزول علی البحر، من الجانب الآخر، و نزل فی موضعه، و أحدقت العساکر بها من البحر إلی البحر، و زحف علیها، فما استتمّ نصب الخیم حتی صعد الناس السور، و أخذها بالسیف، و غنم العسکر جمیع ما بها، و خرب سور البلد.

۱- هی بحیره قطینه الحالیه.

۲- هی مدینه طرطوس الحالیه.

و سار إلی حلب، فوصل إلیه ولده «الملک الظّاهر» فی أثناء الطریق، بالعساکر التی کانت «بتیزین». و وصل إلی «جبله» فی ثامن عشر یوم الجمعه، فما استّم نزول العسکر حتی تسلّم البلد، سلّمها إلیه قاضیها و أهلها، و کانوا مسلمین تحت ید الفرنج، فعملوا علیها و سلّموها و بقیت القلعه ممتنعه، و قاتل القلعه، فسلّمت بالأمان یوم السبت تاسع عشر الشهر.

و سار عنها إلی «الّلاذقیه»، فنزل علیها یوم الخمیس رابع عشری جمادی الأولی، و لها قلعتان، فقاتلها، و أخذ البلد، و غنموا منه غنیمه، و فرّق اللّیل بین الناس، و أصبح المسلمون یوم السبت، و اجتهدوا فی قتال القلعتین، و نقبوا فی السور مقدار ستّین ذراعا، فأیقن الفرنج بالعطب، فطلبوا الأمان، یوم الجمعه الخامس و العشرین من جمادی الأولی، و سلموها یوم السبت.

و رحل عن الّلاذقیّه، یوم الأحد، فنزل علی صهیون(۱)، و نزل علیها یوم الثلاثاء تاسع عشری جمادی الأولی، و استدار العسکر حولها، و اشتدّ القتال علیها من جمیع الجوانب، فضربها منجنیق ولده «الملک الظاهر»، حتی هدم قطعه من سورها تمکّن الصاعد الصعود منها، و زحف علیها السّلطان بکره الجمعه، ثانی جمادی الآخره، فما کان إلّا ساعه حتی ارتقی

۱- غیر اسمها، برغم صحته بالعربیه إلی قلعه صلاح الدین، فصهیون اسم مشتق من الصهوه، و صهوه الجبل أعلاه.

المسلمون على أسوار الربض، فهجموه، فانضم أهله إلى القلعه، فقاتلهم المسلمون فصاحوا: الأمان، و سلّموها على صلح القدس.

و أقام السلطان بها حتى تسلم عدّه قلاع، «كالعيد» و «قلعه الجماهريين» و «حصن بلاطنس». ثم رحل و نزل على بكاس(۱)؛ و هى قلعه حصينه، من أعمال حلب على جانب العاصى، و لها نهر يخرج من تحتها- يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخره على شاطى ء «العاصى»، و صعد السلطان جريده إلى القلعه، و هى على جبل مطل على العاصى، فأحدق بها من كل جانب، و قاتلها قتالا شديدا بالمنجنيقات و الزحف، و فتحها يوم الجمعه تاسع جمادى الآخره عنوه، و أسر من كان بقى فيها، و غنم جميع ما كان فيها. و كان لها قلعه تسمى «الشّغر» قريبا منها يعبر من إحداهما إلى الأخرى بجسر، فضربها بالمنجنيقات إلى أن طلبوا الأمان، ثم سلمها أهلها بعد ثلاثه أيام، يوم الجمعه سادس عشر الشهر، ثم عاد السلطان إلى الثقل، و سيّر ولده الملك الظّاهر إلى قلعه تسمى «سرمانيه» يوم السبت، فقاتلها قتالا شديدا، و تسلّمها يوم الجمعه ثالث عشرى الشّهر المذكور.

و اتفق له هذه الفتوحات المتتابعه كلها فى أيام الجمع، و كذلك القدس يوم الجمعه.

ثم سار السلطان جريده إلى «حصن برزيه» و هو الذى يضرب به المثل فى الحصانه، و يحيط به أوديه من سائر جوانبه، و علوها خمسمائه ذراع و نيف

۱- انظر النوادر السلطانيه لابن شداد- ط. القاهره ۱۹۰۳ ص ۶۰- ۶۱.

و سبعون ذراعا، فتأمله و قوّى عزمه على حصاره، و استدعى الثقل و بقيه العسكر، يوم السبت رابع عشرى جمادى الآخره. فنزل الثقل تحت الجبل.

و فى بكره الأحد صعد السّلطان جريده، مع المقاتله، و المنجنيقات، و آلات الحصار إلى الجبل، فأحدق بالقلعه، و ركب المنجنيقات عليها فقاتلها ليلا و نهارا، ثم قسم العسكر على ثلاثه أقسام؛ يوم الثلاثاء، و رتب كل قسم يقاتل شطرا من النهار، بحيث لا يفتر القتال عليها.

و حضرت نوبه السّلطان، فتسلّمها بنفسه، و ركب، و صاح فى النّاس، فحملوا حمله الرجل الواحد، و طلعوا إلى الأسوار، و هجموها عنوه، و نهبوا جميع ما فيها، و أسروا من كان فيها، و عاد السلطان إلى الثقل، و أحضر صاحبها و معه من أهله سبعه عشر نفرا، فرّق له السّلطان، و أطلقه مع جماعته، و أنفذهم إلى صاحب «انطاكيه»، استماله له، فإنهم كانوا من أهله(۱).

ثم سار السّلطان حتى نزل على «درب ساک»، يوم الجمعه ثامن شهر رجب من السنه، فقاتلها قتالا شديدا بالمنجنيقات، و أخذ النقب تحت برج منها، فوقع، و حماه الفرنج بالرّجال، و وقفوا فيه يحمونه عن كلّ من يروم الصعود فيه، و جعلوا كلّما قتل منهم واحدا أقاموا غيره مقامه، عوضا عن السّور.

۱- من الواضح أن مصدر ابن العديم هو ابن شداد، لأنه كان من شيوخه- انظر النوادر السلطانيه ص ۶۱- ۶۲.

ثم طلبوا الأمان على أن ينزلوا بأنفسهم و ثيابهم لا غير، بعد مراجعتهم أنطاكيه، و تسلّمها السّلطان، يوم الجمعه الثانى و العشرين من شهر رجب، و أعطاها علم الدين سليمان بن جندر.

و سار عنها بكره السبت، ثالث عشرى الشّهر، و نزل فى مرج «بغراس»، و أحدق بعض العسكر «ببغراس»، و أقام(۱) يزكا على باب أنطاكيه بحيث لا يشذ عنه من يخرج منها، و قاتل البلد مقاتله شديده حتى طلبوا الأمان، و شرطوا استئذان أنطاكيه، و تسلّمها فى ثانى شعبان من السنه(۲).

و فى ذلک اليوم عاد إلى الخيم، و راسله أهل «أنطاكيه» فى طلب الصلح فصالحهم، لشدّه ضجر العسكر، و قلق عماد الدّين- صاحب سنجار- لطلب العود إلى بلاده، و استقرّ الصّلح بينه و بين صاحب أنطاكيه على أنطاكيه لا غير، دون غيرها من بلاد الفرنج، على أن يطلقوا جميع أسرى المسلمين الذين عندهم، و أن يكون ذلک إلى سبعه أشهر، فإن جاءهم من ينصرهم و إلّا سلّموا البلد إلى السّلطان.

و طلبه ولده «الملک الظاهر» أن يتوجه معه إلى حلب، فسار معه إليها، و دخلها فى حادى عشر شعبان، و أقام بقلعتها ثلاثه أيام فى ضيافه «الملک الظّاهر»، و أنعم «الملک الظاهر» على جماعه كثيره من عسكره،

۱- اليزک: الطلائع.

۲- انظر النوادر السلطانيه ص ۶۲- ۶۳.

فأشفق السّلطان عليه، و سار من حلب فى رابع عشر شعبان، فوصل دمشق قبل دخول شهر رمضان.

فسار فى أوائل شهر رمضان حتى نزل «صفد»، و نصب عليها المناجيق، و داومها بالقتال حتى تسلّمها بالأمان فى رابع عشر شوال، و كان أصحابه الذين جعلهم على حصار «الكرک» لازموا الحصار هذه المدّه العظيمه، و صابرهم من بها من الفرنج، حتى فنيت أزوادهم و ذخائرهم، و أكلوا دوابّهم، فراسلوا أخا السّلطان «الملک العادل»- و كان قريبا منهم، منازلا بعض القلاع- فطلبوا منه الأمان فأمّنهم و تسلّمها، و تسلّم أيضا «الشوبک»، و غيرها من القلاع التى تجاورها.

ثم سار السّلطان من «صفد» إلى «كوكب»(۱)، فنزل على سطح الجبل، و أحدق العسكر بالقلعه، و ضايقها بالقتال، حتى تمكّن النّقب من سورها، فطلب أهلها الأمان فتسلّمها فى النّصف من ذى القعده(۲).

و سار بعد ذلک بمدّه إلى «بيت المقدس» فدخله يوم الجمعه ثامن ذى الحجه، و سار إلى «عسقلان» مودعا أخاه «الملک العادل» و كان متوجها إلى مصر، فأخذ من أخيه عسقلان، و أعطاه «الكرک».

و توجّه لتفقد البلاد السّاحليه- و دخلت سنه خمس و ثمانين و خمسمائه- و هو بعكا. و توجّه إلى دمشق فدخلها مستهل صفر.

۱- تعرف أيضا باسم كوكب الهوا و هى قريه إلى الشمال من بيسان. معجم بلدان فلسطين.

۲- انظر المحاسن اليوسفيه ص ۶۳- ۶۵.

ثم توجه فی الثالث من شهر ربیع الأول، إلی «مرج فلوس»(۱) محاصرا «لشقیف أرنون»(۲) و رحل من «مرج فلوس» فأتی «مرج عیون»- و هو قریب من شقیف أرنون- فی سابع عشر ربیع الأول.

و ضاق علی الفرنج المجال، و قلّت أزوادهم. فنزل «أرناط» صاحب الشقیف إلیه- و کان عظیما فیهم ذا رأی و دهاء- فأظهر الطاعه و الموده للسّلطان، و وعده بتسلیم المکان و قال:

«أرید أن تمهلنی حتی أخلّص أولادی و أهلی من الفرنج، و أسلم الیک الحصن، و تعطینی موضعا أسکن فیه بدمشق، و أقطاعا یقوم بی و بأهلی، و تمکننی الآن من الاقامه بالشقیف، حتی أخلّص أولادی»، فأجابه السلطان إلی ذلک، و جعل یتردّد إلی خدمته.

و کانت الهدنه بین أنطاکیه و بینه قد قرب وقتها، و خاطره مشغول بذلک، و قد سیّر إلی تقی الدین أن یجمع من یقارب تلک الناحیه من العساکر، و یکون بازاء «أنطاکیه».

و بلغه أیضا أن الفرنج قد تجمعوا «بصور» فی جموع عظیمه، و کان الأمر قد استقرّ مع «ارناط» أن یسلّم الیه «الشقیف»، فی جمادی الآخره، و هو مقیم «بمرج عیون» ینتظر المیعاد، و «ارناط» فی هذه المدّه یشتری الأقوات من سوق المسلمین، و یقوی الشقیف، و السّلطان یحسن الظن به،

۱- فی المحاسن الیوسفیه ص ۶۵: مرج برغوث.

۲- ما تزال بقایاها فی جنوب لبنان.

و لا يسمع فيه قول من يعلمه بغدره و مكره.

فلما بقى من المدّه ثلاثه أيام و حضر عنده «أرناط» قال له فى معنى تسليم «الشّقيف»، فاعتذر بأولاده و أهله، و أنّ «المركيس» لم يمكنهم من المجى ء إليه، و طلب التأخير مدّه أخرى، فعلم السّلطان مكره، فأخذه و حبسه، فأجاب إلى التسليم، فسيّر مع جماعه من العسكر إلى تحت «الشقيف»، فأمرهم بالتّسليم، فامتنعوا، و طلب قسّيسا حدّثه بلسانه و عاد بما قال إليهم، فاشتدّوا فى المنع.

فعلم حينئذ أنّ ذلك كان تأكيدا مع القسّيس، فأعادوه إلى السّلطان؛ و سيّره إلى «بانياس»، و تقدّم إلى «الشّقيف» فحصره، و ضيّق عليه، و جعل عليه من يحفظه، إلى أن سلّمها من بها، بعد أن عذّب صاحبها، فى يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول من سنه ست و ثمانين(۱).

و أما بقيه الفرنج، فانّ ملكهم كان وعده السّلطان أنّه متى سلّم «عسقلان» أطلقه، فاتفق أنه أطلقه «بانطرطوس»، حين فتح تلك الناحيه، و اشترط عليه أن لا يشهر فى وجهه سيفا أبدا، فنكث، و اتفق مع «المركيس» صاحب «صور» و عسكرا مع جموع الفرنج على باب «صور».

و اتّفق بينهم و بين المسلمين حروب و غارات، كانت النكايه فيها سجالا بين الفريقين، بحيث تحاجز الفريقان فى آخر تلك الأيام، من جمادى الآخره من هذه السّنه.

۱- انظر المحاسن اليوسفيه ص ۶۵- ۶۶.

[معارک عکا]

و سار الفرنج إلى حصار «عكا»، فنزلوا عليها فى يوم الأربعاء ثامن شـهر رجب. و سار السّـلطان فنزل عليهم بظاهر «عكا»، و منعهم من الإحاطه بسورها، فكان نازلا على قطعه منها تلى الشّمال، و معه الباب الشمالى من «عكا» مفتوحا، و المسلمون يدخلون اليها و يخرجـون، و الفرنـج على الجـانب الجنـوبى، و قـد أغلـق فى وجوهم البـاب المعروف ببـاب «عين البقر»، و كـان الفرنـج يقومون بمحاربه المسلمين، من جانب المدينه و من جانب العسكر.

و جرت بينهم و بين الفرنـج وقعـات متعـدّده، من أعظمها وقعه اتفقت يوم الجمعه الثالث و العشـرين من شـعبان، خرج الفرنـج و اصـطفوا على تعبئه القتـال، و الملك فى القلب و بين يـديه الانجيل، فوقف المسـلمون أيضا على تعبئه، و تحرّكت ميسـره الفرنج على ميمنه المسلمين، و فيها الملك المظفّر، فتراجع عنهم، و أمدّه السلطان بأطلاب عدّه من القلب، فخفّ القلب، و عادت ميسره الفرنج فطمعت فيه، فحملوا على القلب، فانكسـر، و انكسر معه معظم الميمنه، و بلغت هزيمتهم إلى «الأقحوانه»، و منهم من دخل دمشق.

و وصل الفرنج إلى خيم السّلطان، فقتلوا ذلك اليوم «أبا علىّ الحسين بن عبد اللّه بن رواحه». و كان قد مدح النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و وقف بـازآء قبره، و أنشـد قصـيدته، و قـال: «يـا رسول اللّه إنّ لكـل شاعر جائزه و قرى، و إنى أطلب جائزتى الشّـهاده، فاستجاب اللّه دعاءه».

و قتل ذلك اليوم مكبّس السلطان و طشت داره(۱)، و ثبتت ميسره المسلمين، و صاح «السّلطان» فيمن بقى من المسلمين: «يال الاسلام»، و عادت ميسره الفرنج إلى عسكره، فتكاثر الناس وراءهم، و حملوا عليهم، فانهزموا، و تبعهم المسلمون، فقتلوا منهم زهاء سبعه آلاف، و لم يقتل من المسلمين غير مائه و خمسين نفرا.

ثم إنّ الحرب اتّصلت بينهم ليلا و نهارا، و كثر القتل بينهم، و أقبل الشّتاء، فلقى المسلمون منه شدّه. و حضروا إلى السّلطان؛ و أشاروا عليه بالرّحيل عن «عكا» إلى «الخروبه»(۲) ليفسح ما بين العسكرين. و كان ذلك للضّجر من تلك المواقفه، و ملازمه القتال، حتى أوهم السّلطان [و قالوا له:](۳) «إنك قد ضيّقت على الفرنج مجال الهرب، و حلت بينهم و بين صور، و طرابلس، و لو أفرجت لهم عن الطّريق لما وقفوا بين يديك».

فرحل السّلطان إلى «الخروبه».

فأصبح الفرنج و قد انبسطوا على عكا، و أحاطوا بها من سائر جهاتها، و اتّصل ما بينهم و بين «صور»، و جاءت مراكبهم منها، فحصرت «عكّا» من جانب البحر، و ضعفت قلوب المسلمين بعكا، و عادوا يقتاتون من الحواصل المدخوره، بعد أن كان من المير المجلوبه.

و توفّر الفرنج على قتال أهل «عكا» بعد أن كانوا مشغولين بالعسكر،

۱- الطشت دار المسؤول عن غسيل أوانى السلطان و ثيابه و أحيانا حمامه و وضوئه.

۲- الخروبه حصن كان على مقربه من عكا. معجم بلدان فلسطين.

۳- زياده اقتضاها السياق.

و شرع الفرنـج فی إداره خنـدق علی عساکرهم، کاستدارتهم بعکا، و جعلوه شـکلا هلالیا: طرفاه متّصـلان بالبحر، و أقاموا علیه سورا مما یلیهم، و شرّفوه بالجنویات و الطوارق(۱)، و التراس.

و اتصلت الأمـداد إلیهم من البحر، بالأقوات و الرجال و الأسلحه، حتی کان ینقل إلیهم البقول الرّطبه، و الخضـراوات من جزیره «قبرس» فتصبح عندهم فی الیوم الثانی.

و سـیّر السّـلطان إلی الخلیفـه، و إلی ملوک الاسـلام، یسـتنفر و یستصـرخ، و اتّصـلت الأخبـار بوصـول ملـک الألمـان إلی «القسطنطینیه»، فی ستمائه ألف رجل، منهم ثلاثمائه ألف مقاتل، و ثلاثمائه ألف سوقه، و أتباع و صنّاع.

و حکی أنّه کان فی عسکره خمسه و عشرون ألف عجله تنقل الأسلحه و العلوفات، فأسقط فی أیدی المسلمین، و استولی الیأس علیهم، و تعلّقت آمالهم أنه ربّما مانعه من فی طریقه من «الأوج»(۲) و من قلج أرسلان(۳)، فلم یتّفق شی ء من ذلک، بل سار، و قطع البلاد، حتی وصل إلی المصیصه.

و أرسل اللّه علیهم و بآء عظیما و حرّا عظیما، و مجاعه أحوجتهم إلی نحر

۱- من أنواع ستائر الحمایه و الدفاع و الترسه.

۲- الأوج سکان المناطق الثغریه المتقدمه.

۳- تبعا لابن شداد. المحاسن الیوسفیه ص ۸۷ کان قلج أرسلان علی وفاق ضمنی مع ملک الألمان.

دوابّهم، و ذبح البقر الذی یجرّ العجل، فکان یموت فی کل یوم ألوف من الرّجال، و یسابقون الموتان إلی ما معهم من الدوابّ الحامله للأثقال، حتی وصلوا إلی «أنطاکیه» و لم یبق منهم إلّا دون العشر.

و کان فی جمله من مات منهم ملکهم الذی غزا الشام، فی سنه أربع و أربعین، و حاصر دمشق، مات غریقا فی نهر «بطرسوس» یقال له «الفاتر»، نزل، و سبح فیه فغرق، و قیل بأنه سبح فیه و کان المآء باردا، فمرض و مات، و أخذ و سلق فی خلّ، و جمعت عظامه، لیدفن فی البیت المقدّس.

و أوصی بالملک لابنه مکانه، و اتفقت الکلمه علیه، فمرض «بالتینات»(۱)، و أقام بها، و سیر «کندأکرا» علی عسکره، و وصل إلی «أنطاکیه»، فمات ذلک «الکند» بها. و خرج البرنس إلی الملک، و استدعاه إلی أنطاکیه طمعا فی أنه یموت و یأخذ ماله؛ و کان قد فرّق عسکره ثلاث فرق لکثرته، فالفرقه الأولی: اجتازت تحت «بغراس» مع الکند المذکور، فوقع علیه عسکر حلب فأخذ منهم مائتی رجل، و وقع أیضا علی جمع عظیم خرجوا للعلوفه، فقتلوا منهم جماعه کثیره، و أسروا زهاء خمسمائه نفر.

و لما وصل ملک الألمان إلی أنطاکیه أخذها من صاحبها، و أودع فیها خزائنه، و سار منها یوم الأربعاء خامس و عشرین من شهر رجب، سنه ستّ و ثمانین و خمسمائه، متوجها إلی عکا، و فشا فیهم الوبآء حتّی لم یسلم من کلّ

۱- التینات: حصن علی شاطی ء البحر بین بیاس و المصیصه. بغیه الطلب ص ۲۲۳.

عشره واحد، و لم يخرجوا من «أنطاكيه» حتى ملؤوها قبورا.

و وصل الملك إلى «طرابلس»، فى نحو ألفى فارس، لو صادفهم مائه من المسلمين لأخذوهم، و وصلوا إلى «عكّا» رجاله ضعفاء، لا ينفعون، و مات ابن ملك الألمان على «عكّا» فى ذى الحجه، من سنه ستّ(۱).

و وصل إلى المسلمين «بعكا» الأسطول المصرى فى خمسين شينيّا غنم فى طريقه إليها بطس و مراكب فرنجيه، أسر رجالها و غنم أموالها، و جرى له مصادمات مع مراكب الفرنج المحاصره لعكا، كانت الغلبه فيها للمسلمين، فدخلوا إلى عكّا، و تماسكت بما دخل فيها من الأقوات و السّلاح، و كان دخولها فى يوم الأثنين رابع عشر شعبان، من سنه ستّ و ثمانين.

و فى هذا الشهر، جهّز الفرنج بطسا متعدّده، لمحاصره «برج الذّبّان»- و هو على باب ميناء عكا- فجعلوا على صوارى البطس برجا، و ملؤوه حطبا و نفطا، على أنهم يسيرون بالبطس، فاذا قاربت «برج الذّبان» و لا صقته، أحرقوا البرج الّذى على الصّارى، و ألصقوه ببرج الذّبان، ليلقوه على سطحه، و يقتل من عليه من المقاتله و يأخذونه.

و جلعوا فى البطسه وقودا كثيرا، ليلقوه فى البرج إذا اشتعلت النار فيه. و عبؤوا بطسا ملؤوها حطبا، على أنهم يدفعونها لتدخل بين بطس المسلمين، ثم يلهبونها لتحرق بطس المسلمين.

۱- انظر المحاسن اليوسفيه ص ۸۷- ۹۴.

و جعلوا فی بطسه ثالثه مقاتله، تحت قبو، بحیث لا یصل إلیهم نشّاب، و یکونون تحت القبو، و یقدّمون البطسه إلی البرج، فأوقدوا النّار، و ضربوا النفط، فانعکس الهواء علیهم، فاحترقت البطسه، و هلک من فیها، و احترقت البطسه الثانیه، و أخذها المسلمون، و انقلبت الثّالثه الّتی فیها القبو بمن فیها(۱).

و فی هذه السنه، فی ربیع الأول، أحرق المسلمون ما کان صنعه الفرنج من آلات الحرب و الزحف إلیهم، و هی أبرجه عظیمه المقدار، یزحف بها علی عجل، و فیها المقاتله و الجروخ، و المجانیق، فعمد لها رجل دمشقی یعرف «بعلیّ بن النحاس»، فرماها من السّور، بقدور نفط متتابعه، و صار فیها ریح غریبه، کانت سببا لا حراق تلک الآلات و ما فیها و من فیها.

و اشتد حصار الفرنج علی عکّا، و ملّ من بها من الأجناد المقام، و وصل الیهم من مصر مراکب فیها غلّه، فاتلفوها بالاضاعه و بالتغریق، تبرما بالمقام.

و فی ربیع الأول، وصلت من بلاد الفرنج مراکب کثیره، فیها ألوف من مقاتله الفرنج من أکبرهم ملکان: یعرف أحدهما بملک «الفرنسیس» و الآخر بملک «انکتیر»، فاشتدّت و طأتهما علی عکا، و عظمت نکایتهما، فی سورها، و قلّ ما بها من المیره و السّلاح.

۱- انظر المحاسن الیوسفیه ص ۱۰۰- ۱۰۱.

فأمر السّلطان بأن أوسق مركب عظيم من «بيروت»، و استكثر فيه من السّلاح و الأقوات و المقاتله، و أظهر عليه زىّ الفرنج و شعارهم، و أخذ قوم من أسارى الفرنج الّذين فى قبضه المسلمين، فتركوا على ظاهر المركب، و أنزل معهم فى المركب جماعه من المسلمين ممّن يعرف لغه الفرنج، و تزيّوا بزىّ الفرنج، و حلقوا شعورهم، و أخذوا معهم خنازير، و رفعوا على قلع المركب صليبا. و أوهموا الفرنج أنهم واصلون إليهم نجده من بلادهم، و أقلعوا داخلين إلى مرسى «عكا»، مسلّمين على الفرنج بلغتهم، مبشّرين لهم بأنّ وراءهم من المدد، من تشتد به منتهم، و تعزّ به نصرتهم، فلم يرتب المحاصرون بذلك، و أفرجوا لهم عن المرسى(۱).

فدخلوا إلى «عكا»، و أوصلوا إلى المسلمين بها، ما كان معهم من الميره و السلاح و الرجال، و تمّت هذه الحيله، و كانت من الفرص التى لا ـ ينبغى أن تعاود فركن المسلمون إليها، و طمعوا فى أخرى مثلها، فجهّزوا مركبا عظيما من «بيروت» أيضا، و أودعوه مثل ما كان قبله من الآلات و السلاح و الأقوات بما مبلغ قيمته خمسه آلاف دينار، و جعل فيه سبعمائه من مقاتله المسلمين.

و كان خبرهم قد وصل إلى الفرنج، فأخذوا عليهم الأرصاد، فمكثوا أياما يلججون فى البحر، و يقاربون عكّا، فلا يجدون فى الدّخول مطمعا، حتى صادفتهم مراكب «الانكتير» فى حال قدومه من بلاده، فى إحدى

۱- انظر المحاسن اليوسفيه ص ۹۷.

و عشرين مركبا فقاتلوا ذلك المركب الاسلامى يومين، و ثبت لهم مع قلّته، فغرّق المسلمون من مراكب الفرنج ثلاثه.

و لما رأوا أنهم قد يئسوا من النجاه، و أنّ الفرنج إن ظفروا بالمركب حصل لهم به قوه عظيمه، و حصلوا فى الأسر و الذلّه، عمد رجل حلبىّ حجّار من أهل «باب الأربعين»(۱)، يقال له «يعقوب» و كان مقدّم الجماعه إلى سفل المركب و أخذ قطّاعته، و خسف المركب، و دخل فيه الماء، و غرق، و لم يظفر الكفّار منه بشى ء، سوى رجلين تخطّفهما الفرنج من رأس المال، و احتملوهما فى مراكبهم، فأخبروا بهذه الكائنه.

و لما وصل هذا الخبر إلى «عكا» قطع قلوب من بها، و أسقط فى أيديهم، و هرب جماعه من الأمراء منها، فألقوا أنفسهم فى شخاتير صغار، فأضعف ذلك قلوب من بقى بها، و عظمت النكايه فى سور المدينه، و فشلوا، و كاتبوا السلطان، فأذن لهم فى مصالحه الفرنج عن أنفسهم بالبلد.

فصالحوا الفرنج على تسليم البلد، و جميع ما فيه من الآلات، و العدد و الأسلحه، و المراكب، و غير ذلك، و على مائتى ألف دينار و ألف و خمسمائه أسير، مجاهيل الأحوال، و مائه أسير معيّنين من جانبهم يختارونهم، و صليب الصلبوت، على أن يخرجوا سالمين بأنفسهم، و ذراريهم، و أموالهم، و قماشهم، و ضمنوا «للمركيس» عشره آلاف دينار، لأنّه كان

۱- انظر حوله بغيه الطلب ص ۵۵- ۵۶.

الواسطه، و لأصحابه أربعه آلاف.

و حلف الفرنـج لهم على ذلک، و تسلّموا «عکا»، فی یوم الجمعه سابع عشر جمادی الآخره، سـنه سـبع و ثمانین و خمسـمائه، و نکثوا ذلک العهد، و أسـروا کلّ من کان بها من المسـلمین، و فرّقوا بینهم، و استصـفوا أموالهم، و سلبوهم ثیابهم و أسلحتهم، ثم قتلوا منهم ألفین و مائتین صبرا، علی دم واحـد، فی یوم واحد، حیث توهّموا فیهم أنهم فقراء، لیس لهم مفاد، و أسـروا من رجوا منه أن یفتدی بمال، أو یکون من السّلطان علی بال(۱).

و أقـامو بعکّـا نحو أربعین یوما، و «الملک النّاصـر» علی حصارهم، ثم خرجوا منها متوجهین إلی «عسـقلان»، فسار فی عراضـهم، لیمنعهم أن یخرجوا من ساحل البحر، فساروا من عکّا إلی «یافا»، و هی مسـیره یوم واحد، فی شـهر کامل، لمضایقه السلطان لهم، و جری بینهم و بین المسـلمین مناضـله و مطارده، فلما أشـفق السّـلطان من أخـذهم «عسـقلان» سـبق إلیها فهدمها، و أخرج أهلها منها، فی شهر رمضان من سنه سبع.

فأقـام الفرنـج «بیافا»، و انتقل السّـلطان إلی «الرّمله»، و شـرع الفرنـج فی بنآء «یافا» و تحصـینها، ثم ساروا عنها، فنزلوا بعسـقلان، و شرعوا فی عمارتها، ثم ساروا إلی «الدّاروم»، فحصروها ثلاث مرات، أخذوها فی المره الثالثه بالأمان.

و عاد السّلطان، فی ثالث ذی الحجه، بالعساکر إلی البیت المقدّس،

۱- انظر کتابی حطین ص ۱۷۸- ۱۸۰.

و عمّره، و حصّنه، و وعّر طريقه، و عمّق خندقه، و جعل «الملك العادل»، بازآء الفرنج «بالرّمله».

[وفاه تقى الدين عمر]

و توفى الملك المظفّر تقىّ الدّين، على «منازكرد»، و هو محاصر لها، بعد أن جرى له مصاف مع بكتمر صاحب «خلاط»، و كسره تقىّ الدّين.

و دخلت سنه ثمان و ثمانين، و السّلطان بالبيت المقدّس، و الملك العادل فى الرّمله، و قد صار بيد الفرنج مما كان بيد المسلمين من الفتوح، ما بين عكا و «الدّاروم»، و لم يمكنهم مفارقه الساحل، خوفا من أن يحول المسلمون بينهم و بين مراكبهم، فتنقطع مادتهم.

و عصى فيها الملك المنصور بن تقىّ الدّين على السّلطان بميافارقين، و حينى(۱)، و حرّان، و الرّها، و سميساط، و الموزر، فسيّر إليه ابنه الملك الأفضل و أقطعه تلك البلاد الشرقيه، فسار إلى حلب و معه أخوه «الملك الظّافر»، و وصلا إلى حلب. فأرسل السّلطان أخاه «الملك العادل»، جريده، فى عشرين فارسا من مماليكه، و أمره أن يردّ «الملك الأفضل»، و يطيّب قلب «الملك المنصور»، و يعطيه ما يريد، فوصل «الملك العادل»، و اجتمع بالملك المنصور، و قرّر أمره.

ثم أن السلطان جرت له أحوال مع الفرنج، و وقعات، و مراسلات، يطول الكتاب بتعدادها، إلى أن انتظم الصلح بينه وبين الفرنج، فى حادى و عشرين من شعبان سنه ثمان و ثمانين، لمده ثلاث سنين

۱- بلده فى ديار بكر يقال لها حانى أيضا. الأعلاق الخطيره- قسم الجزيره- ص ۷۸۸.

و خمسه أشهر، على أن سلّموا إلى المسلمين «عسقلان»، و «غزه»، و «الدّاروم». و اقتصروا من البلاد السّاحليه على ما بين «صور» و «يافا» بعد أن فتح السلطان «يافا»، و بقى القلعه.

و اتفق ملوك الجزائر من الفرنج على تمليك الساحل رجلا منهم يعرف «بالكند هرى»، و زوّجوه بنت ملكهم القديم، التى قد استقرّ عندهم أن يجعلوها على كلّ من ملكوه(۱).

و سار السّلطان من القدس إلى بيروت فى شوّال، و وصل إلى خدمته صاحب أنطاكيه «الابرنس» و ولده «قومص طرابلس»؛ و خلع عليهما، و جدّد بينه و بينهما الهدنه و العقد.

و فى سادس عشرى ذى القعده، دخل إلى دمشق، بعد مدّه تقارب أربع سنين. و كان «الملك الظاهر» قد ودّعه من «القدس»، و رحل إلى حلب فى شهر رمضان، و أخبرنى القاضى بهاء الدّين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم: أنه ودّعه، ثم سيّر إليه، و استأذنه فى مراجعته فى أشياء فأدخله عليه- و كنت حاضرا- ثم قال للملك الظاهر:

«أوصيك بتقوى اللّه فإنّها رأس كلّ خير: و آمرك بما أمرك اللّه به، فانه سبب نجاتك، و أحذّرك من الدّماء و الدخول فيها و التقلّد لها، فإنّ الدم لا ينام، و أوصيك بحفظ قلوب الرعيّه، و النّظر فى أحوالهم، فأنت أمينى و أمين اللّه عليهم، و أوصيك بحفظ قلوب الأمراء، و أرباب الدّوله

۱- انظر كتابى حطين ص ۱۸۲- ۱۸۴.

و الأكـابر، فمـا بلغت مـا بلغت إلّا بمـداراه النّاس، و لا تحقـد على أحـد، فانّ الموت لا يبقى على أحـد، و احـذر ما بينك و بين النّاس، فانّه لا يغفر إلّا برضاهم؛ و ما بينك و بين اللّه يغفره اللّه بتوبتك إليه، فانّه كريم».

و فى شـهر ذى القعده، سلّم إلى «الملك المنصور» ما كان لأبيه بالشام، و هو «منبج، و حماه، و سلميه، و معرّه النعمان» و انقضت سنه ثمان و ثمانين.

و الهـدنه مع الفرنج مسـتمرّه، و «الملك النّاصـر» بدمشق، «و الملك الظّاهر» بحلب، و الملك العزيز بمصـر، و الملك الأفضل، و هو أكبر ولد السّلطان، معه بدمشق.

[وفاه صلاح الدين]

فمرض السّـلطان، فى اليوم الخـامس عشـر، من صـفر، بحمّى حـاده، و اختلـط ذهنه فى السّـابع، و حبس كلامـه، و انجـذبت مادّه المرض إلى دمـاغه، و تـوفى- رحمه اللّه- فى الثّـالث عشـر من مرضه، فى وقت الفجر، من يـوم الأربعـاء، السّـابع و العشـرين من صفر، من سنه تسع و ثمانين و خمسمائه.

و ليس فى خزانته من المال يوم وفاته سوى دينار واحد صورى، و سبعه و أربعين درهما نقره(۱)، و دعوته على المنابر من أقصى حضر موت فى الجنوب إلى أوائل بلاد «أرانيه»(۲) فى الشّـمال عرضا، و من طرابلس الغرب إلى باب همذان طولا. و نقودها من الدّراهم و الدنانير مضروبه باسمه، و عساكرها مطيعه لأمره، سائره تحت لوائه. و من جمله ملكه ديار مصر، و الشّام

۱- أى من الفضه.

۲- أرّان اقليم مشهور بين أذربيجان و أرمينيه. معجم البلدان.

جميعه، و الجزيره و ديار بكر، و اليمن.

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

و كان وزيره القاضى «عبد الرحيم بن على البيسانى»، صاحب البلاغه فى الكتابه.

و استقرّ ملك ابنه السلطان «الملك الظّاهر غازى بن الملك النّاصر يوسف بن أيّوب» لحلب، و البيره، و كفرطاب، و عزاز، و حارم، و شيرز، و بارين، و تلّ باشر. و استقلّ بملك حلب، و أنعم على رعيّته، و استمال قلوبهم بالاحسان، و عمل بوصيّه أبيه فى الأفعال الحسان، و شارك أهل حلب فى سرورهم و الحزن، و قلّد أعناقهم أطواق الانعام و المنن، و جالس الكبير منهم و الصّغير، و استمال الجليل و الحقير.

و كان- رحمه اللّه- مع طلاقه وجهه، من أعظم الملوك هيبه، و أشدّهم سطوه، و أسدّهم رأيا، و أكثرهم عطاء، و كانت الوفود فى كلّ عام تزدحم ببابه من الشّعراء، و القرّاء، و الفقراء، و غيرهم. و كان يوسعهم فضلا و إنعاما، و يوليهم مبرّه و إكراما.

و لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد «سيف الدّوله بن حمدان» ما اجتمع ببابه- رحمه اللّه- و زاد على «سيف الدوله» فى الحباء، و الفضل و العطاء.

و خرج صاحب الموصل «عزّ الدّين»، باتفاق «عماد الدّين» و صاحب

ماردين، لاستنقاذ حرّان و الرّها، من يد «الملك العادل»، فى شهر ربيع الآخر من هذه السنه؛ و نزل بدنيسر.

[الصراعات الأيوبيه]

و نزل «الملك العادل» بحرّان، و استنجد بعساكر «الملك الظّاهر» و «الملك الأفضل»، فسيّر الملك الظّاهر عسكره و مقدّمه الملك المنصور بن تقىّ الدّين، و نزل الملك العادل على سروج فافتتحها. و مرض عزّ الدّين، و عاد إلى الموصل عن غير لقاء.

ثم نزل الملك العادل على الرّقه، فأخذها، و أعطاها ابن أخيه «الملك الظافر». و سار بالعساكر إلى نصيبين، و أقطع الخابور و بلد القنا، ثم اصطلحوا فى شهر رمضان.

و كان الياروقيه و مقدّمهم «دلدرم» صاحب «تلّ باشر»، قد تكبّروا و تحامقوا على الملك الظّاهر، و قصّروا فى خدمته، فى حياه أبيه. و كانوا يعظّمون «بدر الدين دلدرم»، و يركبون كلّهم فى خدمته حتى كأنه السلطان، و كان بأيديهم من الأقطاع خير ضياع «جبل السّماق»، و غيرها؛ و ملك الملك الظاهر حلب، فسلكوا معه من الحماقه، ما كانوا يسلكون من قبل، فاعتقل مقدّمهم «دلدرم» فى قلعه حلب، و قيّده، و أخرج الباقين عن حلب، و قبض أقطاعهم، و طلب من «دلدرم» تسليم «تلّ باشر» فامتنع، و ذلك فى سنه تسعين و خمسمائه.

و اتّفق أن وقع خلف بين الأفضل و الملك العزيز، بسبب أميرين من النّاصريه، أحدهما ميمون القصرى، و الآخر سنقر الكبير، و كان بأيديهما

عدّه من القلاع، فاستشعرا من الملک الأفضل أن يقبضهما، فسارا إلى مصر، و کاشفا «الأفضل» بالعصيان.

و طلبا من العزيز الکون فی خدمته على أن يذّب عما فی أيديهما، فأقطع الملک الأفضل بلادهما، و أقطعهما الملک العزيز نابلس- و کانت مقطعه مع ابن المشطوب- فامتنع من تسليمها إليهما، و سار إلى الملک الأفضل فوقع الشرّ بينهما بسبب ذلک.

و نزل الملک العزيز إلى دمشق، فی جمادى الآخره، و أقطع بلدها، و قاتلها، فسيّر الملک الأفضل إلى عمّه، و أعلمه بذلک، فسار «الملک العادل» من بلاده شرقی الفرات جريده، و اجتمع بالملک الظاهر غازی بحلب، و أصعده إلى قلعه حلب، و أنزله فی الدار، التی فيها ابنه الملک العادل «غازيه خاتون»، زوجه السلطان الملک الظّاهر. و طلب من الملک الظّاهر موافقته على المسير إلى نصره الملک الأفضل، و اصلاح ما فی قلوب الملکين من المضاغنه، فوافقه على ذلک. ثم قال له الملک العادل: «انا ضيفک، و لا بدّ للضّيف من قرى، و أطلب أن تکون ضيافتی منک دلدرم».

فأجابه إلى ذلک و أطلقه.

و کان «العلم بن ماهان» فی خدمه السّلطان «الملک الظاهر»، فی محلّ الوزاره، فأشار عليه بقبض عمّه الملک العادل، فامتنع، و قال: «هذا عمّی، و محلّه محلّ الوالد». و نزل الملک «بدلدرم» من القلعه، فمضى فی يومه إلى «تلّ باشر».

و صعد الملک العادل و الملک الظّاهر، إلى نصره الملک الأفضل، بعد أن سلّم الملک الأفضل إلى الملک الظّاهر جبله، و اللاذقیه، و بلاطنس و أعمال ذلک کلّه، لینصره على أخیه. و اجتمع الملک العادل، و الملک الظّاهر بالملک الأفضل، و تأخّر الملک العزیز عن دمشق.

و جرت بین الملوک الثلاثه مراسلات أفضت إلى الاتّفاق و الصّلح، على أن تکون بلاد الملک الأفضل بحالها، و ما کان بید «میمون» و «سنقر»، على حاله، و یکونان فی خدمه «الملک العزیز». و وقعت الأیمان و العهود على ذلک، فی شعبان من سنه تسعین و خمسمائه.

و عاد «الملک العزیز» إلى مصر، و «الملک الظّاهر» إلى حلب، و الملک العادل إلى الشرق.

و فی سنه إحدى و تسعین اتّصل القاضی «بهاء الدّین أبو المحاسن، یوسف بن رافع بن تمیم» بخدمه «الملک الظاهر»، و قدم إلیه إلى حلب، و ولّاه قضاء حلب و وقوفها، و عزل عن قضائها «زین الدین أبا البیان نبأ» نائب «محیی الدّین بن الزکی»، و حلّ عنده بهاء الدّین فی رتبه الوزاره و المشوره.

ثم إنّ «الملک الأفضل» استشعر من أخیه «الملک العزیز» أن ینزل إلى دمشق، و یحاصرها، فی سنه إحدى و تسعین، کما فعل فی السّنه الخالیه، فسار إلى «قلعه جعبر»، و اجتمع بعمّه «الملک العادل. بها، و فاوضه فی

الوصول إليه إلى دمشق، لينصره على الملک العزيز إن وصل إلى دمشق، إمّا بصلح أو بغيره، فوافقه على ذلک.

و توجّه الملک العادل إلى دمشق، ثم عـدل الملک الأفضل إلى حلب، إلى أخيه الملک الظاهر، و وصل إليه حلب، و فاوضه فى انجـاده على الملـک العزيز، فلم يجـد عنـده نيّه صـادقه فى الحرکه معه إلى دمشق، و اشترط عليه شـرائط من جملتها أن صاحب «حماه» الملک المنصور محمّـد بن تقى الدّين، و عزّ الدّين بن المقدّم صاحب «بارين»، و «بدر الدّين دلدرم بن ياروق»، صاحب «تـل باشـر»، کـانوا کلّهم فى طـاعته، و مضـافين إليه، و بلادهم من جمله بلاد الملـک الظّاهر، و أنهم کانوا من جمله أصـحابه، فانحرفوا عنه، و انضافوا إلى عمه الملک العادل.

و کان الملک العادل قد شفع إليه فى دلدرم، و أطلقه لأجله، و ضمن له عنه الطاعه و القيام بما يجب، فانضاف إلى عمّه.

و طلب «الملک الظّاهر» أنّ الملک العادل يقوم له، بما جرى بينه و بينه من الشرط، و أن لا يعرض لأتباعه المذکورين.

و سار الملک الأفضل إلى دمشق، على أن يقرّر مع عمّه ما التمسه الملک الظّاهر. فلم يتّفق للملک الظّاهر شى ء مما التمسه. فعاد بـالکليّه عنهما، و أرسل إلى الملک العزيز، يحضّه، و يحرضه على قصـدهما لأن الملک الأفضل مال إلى الملک العادل، و ألقى أموره کلّها إليه.

و وصلت رسل الملک العزیز إلی الملک الظّاهر، بموافقته معه، و معاضدته. و حلف له الملک الظّاهر، فی شهر رجب من السّنه.

و نزل الملک العزیز، من مصر، فی شهر رمضان؛ و الأسدیه و الأکراد مخامرون علیه، و الملک العادل و الملک الأفضل، قد کاتباهم، فمالوا إلیهما لتقدمه الملک العزیز الناصریّه علیهم.

و خرج الملک الظّاهر، فنزل بقنسرین، و عیّد بها عید الفطر، و عیّد الملک العزیز «بالفوّار»، و عزم الملک العزیز علی الرحیل إلی دمشق، و النزول علیها، و رحل أبو الهیجاء السمین و المهرانیّه، و الأسدیه فی رابع شوال. و ساروا إلی دمشق.

و رحل الملک الظّاهر من «قنّسرین» إلی «قراحصار»، قاصدا حصار منبج- و هی فی ید الملک المنصور صاحب حماه- فلما وصل الملک الظّاهر إلی «بزاعا»، وصله الخبر بأنّ العسکر خامر علی الملک العزیز، و أنّه رجع عن دمشق؛ و سار الملک العادل و الأفضل خلفه إلی مصر، فعاد الملک الظّاهر إلی «قرا حصار» حتی انسلخ شوال، و دخل حلب.

و وصله الخبر بأن الملک العادل و الأفضل، سارا خلف الملک العزیز إلی مصر، و نزلا علی «بلبیس»، و دخل الملک العزیز إلی مصر، و استقرّ أمره بها، و علم الملک العادل بأنّه لا یتمشّی أمرهما مع الملک العزیز، فکتب إلی القاضی الفاضل، و طلب الاجتماع به، فألزمه الملک العزیز بالخروج إلیه، فاجتمع به، و أصلح حاله مع الملک العزیز، و شرط علیه أن یعفو عن

الأسديه. و قال للملک الأفضل: «أنا كان مقصودى الاصلاح بينكم، و أن لا يقع على دولتكم خلل، و قد حصل ذلک».

و تحالفوا، و عاد الملک الأفضل، و معه أبو الهيجاء السمين، و بقى الملک العادل مع الملک العزيز بمصر، و وافقه، فانحرف الملک الظّاهر عن الملک العزيز بذلک السبب، و مال إلى الملک الأفضل.

و كان الملک العادل قد احتوى على الملک العزيز، و أوقع فى نفسه أن السّلطنه تكون له فى بلاد الاسلام، و الخطبه و السكّه، و كان يبلغه عن الملک الأفضل كلمات توجب الحنق عليه، فاتّفق مع الملک العزيز على أن ينزلا جميعا إلى الشام، لتقرير هذه القاعده فى جميع بلاد الاسلام.

فسيّر الملک الظّاهر أخاه الملک الزّاهر داود، و القاضى بهاء الدين قاضى حلب، و سابق الدين عثمان، صاحب شيزر، فى سنه اثنتين و تسعين و خمسمائه إلى الملک العزيز، لتسكين الفتنه، و الرجوع إلى ما فيه صلاح النّيه و الموافقه بين الأهل.

فوصلوا و الملک العادل، و الملک العزيز، قد خرجا مبرزين إلى «البركه» فى ربيع الأول من السّنه، و أعادوا الرسل بغير زبده، فعرفوا الملک الأفضل فى اجتيازهم عليه، بما قد عزم الملک العزيز، و الملک العادل عليه، من إقامه الخطبه و السكّه للملک العزيز، و تعجّب من نقضهما الهدنه معه.

و لمّا وصلوا إلى حلب، راسل الملک الظّاهر أخاه الأفضل، فى تحديد الصلح بينهما، و تحالفا على المعاضده و المناصره. و وصل إلى الملک الظّاهر من

الأمراء: علم الدين قيصر الناصرى، أمير جاندار أبيه الملك الناصر، فأقطعه اللاذقيه؛ و أخذها من ابن السّلار. و سيّر العلم بن ماهان، ليعتبر ما فى قلعتها و يسلّمها إلى قيصر، و يجعل الأجناد فيها على حالهم، و يحلّفهم للسلطان الملك الظّاهر.

و كان العلم بن ماهان، إذ ذاك عند الملك الظّاهر فى محلّ الوزاره، فلما وصل إليها، و دخل قلعتها طمع باللّاذقيه، و حدثته نفسه بالعصيان، و استحلف الأجناد لنفسه، و خالفه بعضهم، و امتنعوا، و كتبوا إلى «الملك الظّاهر»، و قبضوا على ابن ماهان. فسارع الملك الظّاهر، و خرج إلى اللّاذقيّه، و صعد إلى القلعه، و أحضر ابن ماهان و قطع يده، و قلع عينه، و قتل غلاما من خواصّه، و قطع لسان البدر بن ماهان قرابته و أذنيه، و سلخ العامل النصرانى الذى كان بها.

و احتوى على جميع ما كان لابن ماهان، و فرّقه، و دخل إلى حلب و هو معه، فأركبه حمارا مقلوبا، و على رأسه خفّ امرأه، و يده معلّقه فى عنقه. و طيف به على تلك الحال، و لطم بالدرّه، ثم صعدوا به إلى القلعه، فالتقاه «ابن منيفه» بوّابها، و قال له: «أريد حقى منك». و أخذ نعله من رجله، و لطمه به لطما كثيرا، و حبس فى القلعه.

و تحدّث بعض النّاس أن الملك الظّاهر أراد أن يرجع عن إقطاع قيصر اللّاذقيه، فكتب إلى ابن ماهان يأمره بالعصيان، ثم التزم بما فعل، و لم يظهر صحه ذلك.

و لما دخل السلطان الملك الظّاهر من الّلاذقيه، سيّر عسكرا من عسكر حلب، نجده لأخيه الملك الأفضل، و وصل الملك العزيز و الملك العادل، فنزلا على دمشق، و حصراها، و تسلّمها الملك العزيز بمخامره أوجبت دخول الملك العادل من «باب توما»، و الملك العزيز من باب «الفرج».

و خرج الملك الأفضل من القلعه، و عوّض عن دمشق بصرخد، فسار إليها، و وصل «الملك الظافر» إلى أخيه «الملك الظاهر» إلى حلب، فأكرمه، و احتفل به، و ذلك فى شعبان من سنه اثنتين و تسعين و خمسمائه.

و شرع «الملك الظاهر» فى حفر الخنادق بحلب و تحصينها، و سيّر القاضى بهاء الدّين، و غرس الدّين قلج، إلى الملك العزيز، يطلب موافقته، و كان قد رحل إلى مصر، و أبقى الملك العادل بدمشق.

و خرج «الملك الظاهر» إلى «مرج دابق»، و أقام بها، و أظهر أن صاحب «مرعش» عاث فى بلد «رعبان»، و سيّر يقدمه عسكره إلى «عين تاب»، فخاف صاحبها حسام الدّين بن ناصر الدّين، و حفظ القلعه.

و نزل العسكر فى الربض مظهرين أن لا غرض لهم فى حصار القلعه، بل لشدّه البرد و الثلج. ثم أظهر أن صاحب مرعش سيّر إلى «الملك الظاهر»، و اعتذر، و انقاد إلى طاعته، و حلف له.

فرحل السّلطان إلى «الراوندان»، و أقام بها ثلاثه أيام، و رحل إلى «عزاز» ليلا، و هى فى أيدى نواب الأمير «سيف الدّين بن علم الدّين علىّ بن سليمان بن جندر»، و كان مريضا بحلب، فأراد السّلطان أن يصعد

إلى القلعه من شدّه المطر، فمنعه من فى القلعه أن يطلع إلّا باذن «سيف الدّين»، فسار إلى «دربساک» و بها «ركن الدين الياس» ابن عمّ «سيف الدين»، فقبض عليه.

و عاد إلى حلب مغضبا، و دخل إلى دار سيف الدّين بنفسه، و أخذه فى محفّه، و سيّره إلى «عزاز» ليسلمها، و وكّل به «حسام الدّين عثمان بن طمان»، فوصل معه إليها و سلّمها إلى نواب السّلطان «الملک الظاهر»، و عادوا به إلى حلب.

و لما جرى على سيف الدين ذلک، و كانت «دربساک» معه، و فيها ماله و نوّابه، و بها جماعه من أسرى الفرنج، فأعملوا الحيله، و كسروا القيود، و فتحوا خزانه السلاح، و لبسوا العدد، و قاموا فى القلعه، فاحتمى الوالى فى القلعه مع جماعه من الأجناد، و القتال عليهم. فعلم الملک الظاهر، بذلک، فخرج مجدّا فى السير حتى وصل «درب ساک»، فوجد الوالى قد انتصر على الأسرى، و قتلهم.

و عاد السلطان إلى «حارم»، ثم دخل إلى حلب، فأقام حتى تقضّت سنه اثنتين و تسعين. و وصله القاضى «و قلج» بجواب الملک العزيز، بانتظام الصلح بينه و بينه.

و رحل الملک العادل إلى بلاده الشرقيه، و وصل ابنه «الملک الكامل محمد» إلى حلب، زائرا ابن عمه الملک الظّاهر، و كان قد طلبه من أبيه ليزوره، فالتقاه الملک الظاهر، و أحسن ضيافته ثم سار إلى أبيه.

و عصى «سربک» «برعبان» على الملک الظّاهر، و قد كانت فى يده، عوّضه بها عن «حارم» و كان من مماليک أبيه الشجعان، فأظهر الملک الظّاهر أنّه يخرج إلى الغزاه، و خرج إلى «قنّسرين»، ثم عطف من غير أن يعلم أحد حتى وصل إلى «رعبان»، فنزل عليها، و أقام أياما لا يقاتلها، فى شهر رمضان، من سنه ثلاث و تسعين و خمسمائه.

و استغل بلدها، فلبس «سربک» سلاحه، و ركب، و حوله جماعه، قد لبسوا، و فتح باب القلعه، و نزل إلى السّلطان، و التمس منه العفو فعفا عنه. و ردّ «رعبان» إليه، و سار إلى حلب، فأقام بها إلى أول ذى الحجه من سنه ثلاث و تسعين.

و كان الملک العادل قد سار إلى حلب، فأقام بها إلى أول ذى الحجه من سنه ثلاث و تسعين.

و كان الملک العادل قد سار إلى «الغور» لحركه الفرنج، و استصحب معه نجده من الملک الظّاهر، فوصلت رسله إلى السّلطان الملک الظاهر، يخبره أن الفرنج قد عزموا على قصد جبله و اللّاذقيه فخرج الملک الظاهر إلى «الأثارب»، و سيّر الحجّارين و الزرّاقين، لهدم حصنى جبله و الّلاذقيه.

و سار «المبارز أقجا» لهدم «جبله»، فهدموا سورها و دورها، و أجلى أهلها منها.

و سار غرس الدين قلج، و ابن طمان، لهدم الّلاذقيه، فنقبوا القلعه، و علّقوها، و رفعوا ذخائرها، و هدموا المدينه، و ذهب أهلها،

و بقى العسكر منتظرا وصول العدوّ، ليلقوا النار فى الأخشاب المحشوّه فى الأنقاب، فلم يصل أحد منهم.

و جاء البرنس فى البحر تحت «المرقب»، و طلب غرس الدّين و ابن طمان فوصلا إليه، و كلّماه على جانب البحر، فأشار عليهما بأن لا تهدم اللّاذقيه، و أخبرهما أن الفرنج فتحوا «صيدا» و «بيروت»، و عادوا إلى «صور».

فسيّرا و أعلما السلطان و هو «بريحا»(۱)، فأمر ببناء ما استهدم منها، و سار إلى «حارم»، فوصلها فى محرّم سنه أربع و تسعين. و أقام بها مدّه، ثم رحل إلى اللّاذقيه، فعمّرها و عمّر ضياعها، و توجه إلى حلب.

و توفّى غرس الدّين قلج، فعصى أولاده بالقلاع التى كانت بيده، و هى: دركوش»، و «الشغر»، و «بكاس»، و «شقيف الروج»، و امتنعوا من تسليمها إلى الملك الظاهر، فخرج إليها، و نازلها، و أخذ عليها النقوب، و استنزلهم منها، و صفح عن جرمهم، و أجرى لهم المعيشه السنيّه، و تقدّم عنده منهم: سيف الدين علىّ بن قلج.

۱- أرجح أنه قصد هنا أريحا جبل السماق، لا أريحا فلسطين، و تتبع بلده أريحا الآن محافظه أدلب، و تبعد عنها مسافه ۱۳ كم و عن المعره ۲۰ كم، و ۶۰ كم عن جسر الشغور(الشغر).

و دخلت سنه خمس و تسعين

و مات الملك العزيز بمصر، و اختلف أمراؤها، فمال الأسديّه إلى الملك الأفضل و الناصريّه إلى الملك العادل. و انقاد الناصريّه على نيّات غير موافقه، و استدعوا الملك الأفضل، فسار من «صرخد» إلى مصر و دخلها، و تلقّاه إخوته على مرحلتين منها، و استوثقوا منه بالأيمان، على أن يكون كافلا للملك المنصور «محمد بن الملك العزيز» و مربّيا له.

و خرج الجحاف، و جهاركس، إلى «ميمون» إلى القدس، فقيّد «الملك الأفضل» أخاه «الملك المؤيّد» و جماعه من الأمراء كاتبوا «الملك العادل»، و أرسل الملك الظّاهر وزيره نظام الدين أبا المؤيد محمد بن الحسين، إلى أخيه الملك الأفضل، مهنئا له بولايه مصر، فأقام عنده مدّه، و الرسل تتردّد إليه من «الملك الظّاهر» فى الاتفاق على الملك.

و كان الملك العادل، إذ ذاك محاصرا «ماردين»، و قد أشرف على أخذها، فسار الملك الأفضل إلى دمشق، و خرج الملك الظاهر إلى

«حارم»، لغدر وقع من الفرنج بناحيه «العمق»، و أغاروا على التركمان، فى تلك الناحيه. و سيّر بعض العسكر إلى «خناصره» ليقطع الطريق على الملك العادل إن توجّه إلى دمشق.

و صالح الملك الظّاهر الفرنج و رحل إلى «مرج قراحصار» فى سلخ رجب من سنه خمس و تسعين.

و سار الملك العادل حتى بلغ إلى «تـدمر»، و سار فى البريه إلى دمشق، و نزل الملك الأفضل على دمشق، فى نصف شعبان من السنه، و نزل بعض عسكره فى «الميدان»، و هجم بعض العسكر المدينه بمخامره من أهلها، و نادوا بشعار الملك الأفضل.

و كان مجد الدّين- أخو الفقيه عيسى- هو الّذى دخل منها حتى بلغ السّوق، و شربوا الفقاع، فخرج الملك العادل، من القلعه، و أخرجهم من البلد.

و خامر بعض العسكر على «الملك الأفضل»، و دخلوا فى اللّيل إلى دمشق، فاختلّ الأمر عنـد ذلك، و تأخر الملك الأفضل إلى «جسر الخشب».

و سار الملك الظّاهر إلى حماه، فالتقى سيف الـدين طغرل الظّاهرى قطعه من عسكر حماه سائره إلى منبـج فظفر بها «طغرل» و أسر رجالها، و أحضرهم إلى الملك الظاهر، فأطلقهم بعدّتهم و دوابّهم.

و لمّـا وصـل الملـک الظـاهر إلى «حمـاه»، منعه عسـكرها من العبور على الجسـر فعبر قهرا، و نزل عليهـا، و قاتلهـا، فهادنه الملك المنصور صاحبها، و أخرج اليه تقدمه سـنيه، و سيّر عسكره فى خدمته، فأقطعه الملك الظاهر «بارين» و كانت فى يد ابن المقدّم، فخرج صاحب «حماه» إليها محاصرا لها.

و سيّر الملـک الظـاهر إلى «الموصـل» رسولا ـ يـأمر صاحبهـا بانجـاد «ماردين»؛ و ترحيل الملك الكامل و الملك العادل عنها، و وصـل الملـک الظّـاهر إلى دمشق، و اجتمع بالملـک الأفضـل فى منزلته، و خيموا بأرض «داريّا»، ثم إنّهم زحفوا على المـدينه، و قاتلوها.

و بلغ الملك الظاهر أنّ «جهاركس» و «سامه» و «سراسـنقر» و غيرهم، قـد عزموا على الـدخول إلى دمشق، نجـده للملك العادل، فسيّر الملك الظاهر عسكرا مقدّمه «سيف الدّين بن علم الدّين»، ليمنعوهم من الدخول، فاختلفوا فى الطريق، و دخل المذكورون إلى الملك العادل، فاشتدّ بهم أزره، و لم يكن ينصح فى القتال، وقت الحصار غير العسكر الحلبىّ، فأما المصرى فأكثره منافق.

و وصـل المواصـله إلى «مـاردين»؛ و رحّلوا الملـک الكامـل عنها، و نهبوا ما كان لعسـكره بها، فضـربت البشائر خارج دمشق فى العسكر.

و سيّر الملك «الظّاهر» عسكرا، مقدّمه «سيف الدّين» المذكور إلى الشرق، ليجتمعوا مع المواصله، و يحصروا بلاد الملك العادل بالشّرق، و أقطع سيف الدّين «سروج»، و كان الأمر قد استقرّ مع المواصله، أن يردّ

إليهم سروج و الرقّه. فلما علموا بأنّ السلطان أقطع سيف الدين «سروج» انحرفوا عنه، و عادوا، و خرج عسكر الرّها، فوقعوا على سيف الدين فانهزم عن سروج.

و فتح الملك المنصور صاحب حماه «بارين» فى ذى القعده من ابن المقدّم، و عوّضه عنها بمنبج، بعد ذلك، على ما سنذكره فيما بعد.

و وصلت رسل الشّرق إلى الملك الظّاهر- و هو على دمشق- و اتفقوا على أن يكون لصاحب الموصل حرّان، و الرّها، و الرّقه، و سروج، و أن يكونوا يدا واحده على من خالفهم، و تحالفوا على ذلك، فى ذى الحجّه من سنه خمس و تسعين و خمسمائه.

و دخلت سنه ست و تسعين

و الحصار على دمشق على حاله، و أكثر الأجناد يحملون الأزواد فى اللّيل، و يبيعونه على أهل البلد، فأخرج الملك العادل خزائنه جميعها، ثم اقترض من التّجار جمله كبيره، و أمر بعمل الرّوايا و القرب، للصعود إلى مصر، و استدعى ابنه الملك الكامل من البلاد الشرقيّه، فجمع و حشد.

و سيّر الملك الظاهر إلى سيف الدّين بن علم الدّين، و إلى الملك المنصور صاحب حماه، فاجتمعوا على «سلميه» ليمنعوا الملك الكامل من العبور، فعبر فى جيش عظيم، لم يكن لهما به طاقه، فانحازوا إلى «حماه»، و ساق سيف الدين بن علم الدين، و أعلم السلطان الملك الظّاهر بذلك.

و وصل الملك الكامل إلى دمشق، فرحل الملك الظّاهر، و الملك الأفضل، إلى «مرج الصّفر»، ثم إلى «رأس المآء».

و رحل الملك الظّاهر، و أخفى نفسه جريده إلى ناحيه «صرخد» و معه الملك المجاهد صاحب حمص، و سار إلى طرف «السّماوه»، و خرجوا إلى

«تدمر». و سار الملک الظّاهر إلى حلب، و وصل بعده بغال الثقل، دون الجمال على البريّه، حتى وصلوا إلى «القريتين»، و لحقهم الملک الكامل «بالقريتين»، و هو مسرع إلى الشرق، و وقع عسكر حلب على قطعه من أصحابه، فظفروا بهم.

فلما وصل الملک الكامل، و قد دخل ثقل السّلطان إلى «القريتين»، سيّر إلى مقدّم عسكر حلب «علم الدين قيصر الناصرىّ»، و استدعاه و قال له: «ما بيننا و بينكم إلّا الخير، و ما جئنا لنتبعكم، فردّوا علينا ما أخذتم لنا». ففعل ذلک، و سار الملک الكامل إلى الشرق، و وصلت البغال إلى حلب، فى تاسع عشر شهر ربيع الأوّل.

و أما الملک الأفضل، فانّه توجّه من «رأس المآء» إلى مصر، و توجّه ثقل الملک الظاهر و خزانته معه إلى مصر. و خرج الملک العادل من دمشق، و سار خلفه إلى مصر، فدخلها، و هرب الملک الأفضل إلى «صرخد».

و استولى الملک العادل على الديار المصريه، فى صوره الكافل، و المربّى، للملک المنصور محمد بن العزيز، و سيّر خزانه «الملک الظّاهر»، و بقيه ثقله جميعه إليه؛ و خفر أصحابه حتى وصلوا إلى حلب، فى نصف جمادى الأولى، و السّلطان «بتلّ السلطان»، فدخل إلى حلب.

و وصلته رسل الملک العادل تطلب منه الموافقه، فلم يجبهم إلى ذلک، و خرج إلى «بكاس» و «حارم» فمرض. و دخل حلب، و اشتدّ مرضه، و طلب إليه إلى القلعه الزهاد الّذين كانوا بحلب، مثل أبى الحسن

الفاسى، و عمّى أبى غانم، و عبد الرحمن ابن الأستاذ، و سألهم الدّعاء، و تبرک بهم، و أزال مظالم کثیره. ثم أبلّ من مرضه ذلک، فى ذى الحجه من سنه ستّ و تسعین.

و انفصل عنه صاحب حمص و صاحب حماه، و صارا مع عمّه الملک العادل، و عوّض صاحب حماه عزّ الدّین بن المقدّم بمنبج عن «بارین»، باشاره الملک العادل. و مات ابن المقدّم بأفامیه، و صار فیها أخ له صغیر.

و استقلّ الملک العادل بملک مصر، و قطع الخطبه و السکّه للملک المنصور بن العزیز، و اختلف جندها، فمنهم من مال إلى تملیک الملک العادل، و أقام فى خدمته، و منهم من کان یرید ابن العزیز، فانفصل منهم جهارکس، و الجحاف، و غیرهما، فانهم انفصلوا عن مصر، و اتفقوا مع الملک الأفضل.

فوصل الملک الأفضل إلى أخیه السلطان الملک الظاهر إلى حلب، فى عاشر جمادى الأولى من سنه سبع و تسعین و خمسمائه، و وصل معه الجحاف، و أخبراه أن جهارکس «بالغور»، مع العسکر، و اتفقوا على محاصره دمشق.

و سیّر الملک الظاهر إلى الموصل بطلب نجده تصله، و برز مع أخیه الأفضل، و قصدا منبج، ففتحها الملک الظّاهر، و قبض على ابن المقدّم و حبسه، و أقطعها الجحاف، بعد أن خرب حصنها. و کان ابن فاخر سعد الدّین مسعود بقلعه نجم، نائبا عن ابن المقدّم، و أخته معه، فسلّمها إلى «الملک الظّاهر»، و عوضه «بمائز»- قریه من بلد عزاز- و سلّمها الملک الظّاهر إلى الأفضل.

و سار إلى أفاميه، و معه ابن المقدم، فعاقبه تحتها ليسلّموا اليه، فلم يسلّموا، فسيّره، و حبسه بحلب، و أقام بكفرطاب، و استولى على بلدها، و نزل بمعره النعمان، و نهب بلدها، و أخذ ما فيها لبيت المال، و سار إلى حماه، فنزل عليها، فى شعبان، و قاتلها إلى أن صالحه الملك المنصور صاحبها، و وزن له ثلاثين ألف دينار، و وافقه.

و سار إلى حمص، فصالح الملك المجاهد صاحبها، و وافقه، و سار إلى دمشق فنازلها، و استدعى «جهاركس» و «قراجا» من الغور، فدافعا عن الوصول، فسار السلطان الملك الظاهر اليهما بنفسه، و لا طفهما حتى رحلا معه، بعد أن أعطى الملك الأفضل قراجا «صرخد»، و أخرج أمه و عياله منها، و نزلوا على دمشق، و عزموا على قتالها، ففند جهاركس عن ذلك، و كان قد صار فى الباقين مع الملك العادل، و قال: «المصلحه أننا نلقى الملك العادل، فاذا كسرناه تمّ لنا ما نريد».

و كان الملك العادل قد نزل من مصر إلى «الكرك»، ثم توجّه إلى نابلس، فلما رأى جهاركس جدّ الملك الظّاهر على حصار دمشق هرب من العسكر إلى الملك العادل إلى نابلس، و هرب قراجا إلى صرخد، و عصى بها، و تركا خيامهما على حالها و بركهما فأنهب السلطان الملك الظاهر ذلك جميعه، ثم زحف بالعساكر على دمشق، و قاتلوها قتالا شديدا، و أحرقوا «العقيبه»، و نهبوا الخانات.

و راسل الملك العادل صاحب الموصل، فاتفق معه، و رجع عن الملك

الظاهر، بعد أن وصل إلى «رأس عين»(۱).

و سار الملك «الفائز بن العادل» من البلاد الشرقيه، طالبا تشعيث بلاد السلطان الملك الظاهر، و شغل خاطره عن حصار دمشق، فسيّر الملك الظاهر «المبارز أقجا»- و كان من أكبر أمراء حلب- و معه بعض العسكر، فنزل على «بالس» و نهبها، و سار إلى «منبج» فنزلها، فوصل الملك «الفائز» إليها، فانهزم بمن كان معه من العسكر إلى «بزاعا»، و دخلها الفائز، و بنى قلعتها و حصّنها، و سار منها طالبا عسكر حلب إلى «بزاعا»، فاندفعوا بين يديه إلى حلب، و أقام على بزاعا أياما، و جفل بلد حلب خوفا منه، و هرب فلّاحوه.

و رحل إلى أبيه إلى نابلس، فسيّر الملك العادل نجده تدخل إلى دمشق، فبلغ حديثها الملك الظاهر، و قد أحدقت العساكر بدمشق، فكمن لهم كمينا، فوقعوا عليهم، و قتلوا منهم جمعا كثيرا، و انهزم بعضهم، و لم يدخل إلى المدينه إلّا القليل. و نكث صاحب حماه، و خرج إلى ناحيه «الروج»، و أغار عليه، و نهب رستاق «شيرز».

و سار عسكر حلب إلى منبج، فلم يجد فيها مطمعا، و استدعاهم الملك الظاهر، فمضوا إليه إلى دمشق، و طال الحصار، و ضجر العسكر، و هرب شقير، و الجحاف، بعد استيلاء الفائز على منبج، و كانت خبز الجحاف.

۱- رأس العين بلده فى الجزيره السوريه تتبع محافظه الحسكه و تبعد عن الحسكه/ ۸۴/ كم، و هى إلى الشمال الغربى منها.

و وقع الخلف بين الملك الأفضل و الملك الظاهر على دمشق، فالملك الظاهر يريدها لنفسه، لأنه أخرج الخزائن، و بذل الأموال، و حصرها بعسكره، و الملك الأفضل يريدها لنفسه لأنها بلده، و أنه أخرج «صرخد» من يده بسببها. و حصل بينهما منافره أوجبت رحيل الملك الظاهر، و معه ميمون القصرى، و سراسنقر، و أيبك فطيس، و البكى الفارس، و القبيسى.

و رحل الملك الأفضل فنزل حمص، عند صاحبها الملك المجاهد، و زوّج ابنه «الملك المنصور إبراهيم» بابنه الملك الأفضل.

و سار الملك الظاهر إلى حماه، فأغار عليها، و شعّث بلدها، و صانع صاحبها الملك المنصور، على مال أخذه منه، و سار إلى منبج، و عزم على أن يهجمها بالسيف، و يقتل جميع من بها، لأنهم قاموا مع الملك «الفائز»، فشفع إليه الأمراء فى أن يسلّموها طائعين، و يعفو عنهم، فتسلّمها، و أقطعها ابن المشطوب، فى المحرّم من سنه ثمان و تسعين و خمسمائه.

ثم دخل إلى حلب، و أقطع ميمون القصرى عزاز، و شيح، و بلد الحوّار، و أقطع أيبك فطيس أقطاعا أرضاه، و عاد عنه سراسنقر، و تسلّم السلطان أفاميّه من ابن المقدّم، و عوضه عنها «بالراوندان».

و توفى وزير السّلطان الملك الظاهر «جمال الدين أبو غالب عبد الواحد بن الحصين البغدادى» فى شعبان سنه سبع و تسعين، و كان فى خدمه أبيه الملك الناصر، فانتقل بعد موته إلى حلب، و وزر له، و صار وزيره

بعده نظام الدین أبو المؤید محمد بن الحسین.

و وصل الملک العادل إلی دمشق، فتوجّه إلیه الملک المجاهد صاحب حمص، و معه الملک الأفضل، و ترقّق الیه، فأعطی الملک الأفضل «شبختان» و «جملین» و «الموزر» و «قلعه السنّ» و «سمیساط». و سار إلیها الملک الأفضل، و نزل الملک العادل إلی حماه، و راسل الملک الظّاهر، حتی استقرّ الصلح بینه و بینه، علی أن خطب له الملک الظاهر بحلب، و ضرب السکّه باسمه مع اسمه، فی شهر جمادی الآخره، من سنه ثمان و تسعین و خمسمائه.

و صعد الرسول شمس الدین بن التنبی إلی المنبر، وقت اقامه الدعوه له، یوم الجمعه، و نثر ذهبا کثیرا علی الناس. و بلغ الملک الظاهر، عن ابن المشطوب، أنّه کان قد عزم علی المخامره، فسیّر إلی «منبج» العسکر، و أخذها منه، و عفا عنه، و هدم قلعتها و سورها، فمضی ابن المشطوب إلی الشرق.

و جمع الملک الظّاهر العرب فی دابق، لأخذ العداد منهم، و خاف ابن المقدّم منه، فهرب إلی «الراوندان»، لیعصی بها، فسار الملک الظاهر خلفه، و لم یمهله، فلم یبت فی قلعتها غیر لیله واحده. و مضی إلی «بدر الدین دلدرم»، بتل باشر، منهزما من السلطان. فوصل السلطان الیها، و نزل علیها محاصرا لها، فسلّمها من کان بها إلیه، و حاز جمیع ما کان فیها من الذخائر و الأموال، و رتّب أمورها.

و سار منها إلى منبـج، و سيّر نجده للملك الكامل ابن عمه العادل، و كان نازلا على «ماردين»، لأن صاحبها صار مع ركن الدين بن قلج أرسـلان، و نزل السلطان فى «بدّايا»، و اتفق الأمر بينه و بين [صاحب] «ماردين» و ابن الملك على الصلح، فعاد إلى حلب بعد أن توجه إلى «البيره».

و خرج من البحر جمع كبير من الفرنج، فى سنه تسع و تسعين و خمسمائه. و وصلت طائفه منهم إلى جهه «انطاكيه»، مجتازه على اللاذقيه فى البر، و كان مقطع اللاذقيه إذ ذاك، سيف الدّين بن علم الدين، و عبروا فى أرض الّلاذقيّه، على كره من المسلمين، و فى عزمهم إن رأوا لهم طمعا فى اللّاذقيه يأخذوها.

فخرج سـيف الـدّين بعسـكره، و التقوا، و نصـره اللّه عليهم، و أسـر ملوكهم و مقـدّميهم- و كان ملكهم أعور- و قتل منهم جمعا كثيرا، و وصل الأسرى، و الملك، و الرؤوس، و الخيل، و السلاح، إلى حلب و كانت غنيمه عظيمه.

و عصـى الملـك الأفضـل على عمّه الملـك العـادل، فى البلاد التى كان أعطاه إيّاها، فسيّر، و اسـتعاد منه شـبختان، و جملين، و الموزر، و سـروج، و السنّ، و سار الملك الظاهر إلى «قلعه نجم»، فأخذها من الملك الأفضل خوفا أن يستولى عليها عمّه، و كان «الملك الظّاهر» قد سلّمها إلى الأفضل، فوصلت أمّ الملك الأفضل إلى حلب، تسأل الملك الظاهر،

سؤال عمه فیه، و فی ردّ البلاد علیه، فسیّر معها إلی دمشق «سیف الدّین بن علم الدّین» فی ذلک، فلم یجب إلی ترک شی ء من البلاد علیه، سوی «سمیساط». و شرط علیه أن لا تکون له حرکه بعد ذلک.

و دخلت سنه ستمائه

و وصلت الأخبار بحركه الفرنج إلى «جبله» و «اللّاذقيه»، فسيّر السّلطان إليها العساكر، و أمرهم بخراب «جبله» و «اللّاذقيه»، فلم يكن للفرنج حركه، و خربت قلعه «اللاذقيه» و «العتيقه»- و كانت من جهه الشمال- و ذلك بعد أن أخذت اللاذقيه من ابن جندر- سيف الدين بن علم الدين.

و ولد للسّلطان «الملك الظّاهر» ولده، الملك «الصّالح أحمد» فى صفر، و سر به سرورا عظيما، و زيّن البلد و القلعه، و لبس العسكر فى أجمل هيئه و زىّ. و لبس السلطان، و لعب العسكر معه فى ميدان «باب الصغير».

و فى محرّم سنه إحدى و ستّمائه، هجم ملك الأرمن «ابن لاون»- و هو من ولد «بردس الفقاس»، الذى كان فى زمن سيف الدّوله [صاحب] أنطاكيه- فسيّر الملك الظاهر عسكرا من حلب، لنجده البرنس صاحبها، فلما وصلوا إلى «العاصى»، ضعف أمر ابن «لاون» عندهم، و قاموا عليه،

و أخرجوه منهـا، و قتلوا جمـاعه كبيره من أصـحابه، فعاد عسـكر حلب إليها، ففسـخ «ابن لاون» الهـدنه، و أغار فی بلـد العمق، و استاق مواشيها، و شرع فی عماره حصن داثر فی الجبل، بالقرب من «دربساک»، ليضيّق به عليها.

و أرسـل إلی السـلطان، و سـأله أن يخلی بينه و بين «أنطاكيه». و أن يعيـد جميع ما أخـذه من «العمق»، فأجابه إلی ذلک، و هادنه علی هـذا الأمر. و نزل علی «أنطاكيه»، و خرّب رسـتاقها، و وقع فيها غلاء عظيم، فكان الملک الظّاهر يمدّ أهل «أنطاكيه» بالغلال، حتی قويت.

و دخلت سنه اثنتين و ستمائه

فجرّد «ابن لاون» فى جمادى الأولى، فى اللّيل، عسكرا فى ليله الميلاد، و جاء على غفله إلى ربض «دربساك»، فلم ينكروا وقود النار فى ليله الميلاد، فقاتلهم أهل الربض و من به من الأجناد، فى بيوت الربض، فلم يظفروا منهم بطائل، و طلع الفجر، فانتشروا فى أرض «العمق»، و نهبوا من كان فيه من التركمان، و داموا إلى ضحوه ذلك النّهار، و رجعوا.

و ابتدرت عساكر تلك الناحيه من المسلمين فلم يدركوهم، و دخل الأرمن إلى «جبل اللكّام»، فجاءهم فى اللّيل ثلج عظيم، و هلك معهم من الخيل و المواشى، فكانوا يسلخون الشاء و يلبسون جلودها، لشدّه البرد، فسيّر الملك الظاهر عسكرا من عسكر حلب يقدمه «ميمون القصرى»، و معه «أيبك فطيس»، فنزلوا على «حارم»، و قطعه من العسكر مع ابن طمان «بدربساك»، و سيف الدين بن علم الدّين نازل بعسكره على «تيزين»- و كانت جاريه فى أقطاعه- و فى أكثر الأيّام تجرى وقعات بين العسكر المقيم «بدربساك»، و بين عسكر ابن لاون «ببغراس».

و خرج السّلطان إلى «مرج دابق»، فى شعبان من هذه السّنه، للدّخول إلى بلد «لاون»، و جمع العساكر، و سيّر إليه عمّه «الملك العادل»، و غيره من ملوك الإسلام النجد، فأقام «بدابق» إلى أن انسلخ شهر الصيّام.

فسار «ابن لاون» من «التينات»، و جاء على غير طريق اليزك فى الليل، فأصبح فى «العمق» غائرا على غرّه من العسكر، و كبس العسكر الذى كان مع ميمون، حتى حصلوا معهم فى الخيام، و قابلوهم على غير أهبه فقاتلهم المسلمون، فقتل منهم جماعه، و لم يلبث إلّا قليلا، و عاد، و ساق سيف الدين من «تيزين»، فوجده قد رجع.

و بلغ الخبر إلى السّلطان، و هو «بدابق»، فسار بالجيوش التى معه فنزل «بالعمق»، و اجتمع من العساكر و التركمان ما لا يحدّ كثره، فسيّر «ابن لاون» يبذل الطاعه، و أن يهدم الحصن الذى بناه بقرب «دربساك».

فأعرض عنه، و ردّ فلّاحى «العمق»، و عمر ضياعه، و كمل استغلال ذلك البلد، و الرّسل تتردّد فى إصلاح الحال، إلى أن استقرّت القاعده: على أن يهدم «ابن لاون» الحصن الذى بناه، و يردّ جميع ما أخذ فى الغاره، و يردّ جميع أسارى المسلمين الذين فى يده، و أن لا يعرض «لأنطاكيه». و قرّر الصّلح إلى ثمانى سنين، و خرب الحصن، ورد ما استقرّ الأمر عليه.

و دخل السّلطان حلب، فى سنه ثلاث و ستمائه، و أمّر جماعه من مماليكه و أصحابه. و عاث الفرنج على بلد «حماه»، فى سنه خمس و ستمائه،

فسيّر الملك الظاهر من حلب، نجده من عسكره.

و نزل الملك العادل على «قدس»، و غارت خيله على طرابلس، و خربوا حصونها، و شتّى «بحماه» إلى أن انقضى فصل الربيع، و عاد إلى دمشق، و عاد ابنه «الأشرف»، إلى بلاده، من خدمه أبيه، فعبر فى حلب، فالتقاه الملك «الظّاهر»، و احتفل به و أنزله فى داره بقلعه حلب، و قدّم له تحفا جليله من السّلاح، و الخيل، و الذّهب، و الجوهر، و المماليك، و الجوارى، و الثياب، بما قيمته ألف دينار، و ودّعه بعد سبعه أيام، إلى قراحصار، و عاد إلى حلب.

و قصد كيخسرو بن قلج أرسلان بلاد «ابن لاون»، و طلب نجده من السّلطان الملك الظّاهر، فأرسل إليه عسكرا مقدّمه سيف الدّين بن علم الدين، و فى صحبته أيبك فطيس، فاجتمعوا بمرعش، و نزلوا على برتوس(۱) فى سنه خمس و ستمائه، فافتتحوها، و افتتحوا حصونا عده من بلد ابن لاون.

فراسل «ابن لاون» الملك العادل، و التجأ إليه، فأرسل الملك العادل إلى كيخسرو و إلى الملك الظاهر، فابتدر كيخسرو، و صالح «ابن لاون» على أن يردّ حصن «بغراس» إلى «الداويّه»، و أن لا يعرض لأنطاكيه، و أن يردّ ماله الذى تركه عنده، فى حياه أخيه ركن الدّين. و كان قد خاف من أخيه، فقدم حلب، و أقام عند الملك الظّاهر مدّه، و خاف الملك الظّاهر من

۱- كذا بالأصل، و فى مفرج الكروب« غرقوس» فلعلها تصحيف« عربسوس» أى« أفسوس».

أخيه ركن الـدّين، أن يتغيّر قلبه عليه بسـببه، و أنّه ربّما يطلبه منه، فلا يمكنه تسـليمه إليه، فأعرض عنه. فدخل إلى «ابن لاون»، ثم خـاف منه، فانهزم، و ترک عنـده مالا وافرا، فاحتوى عليه فردّه عليه، عنـد هـذه الهـدنه. و دفع إليه جميع الأسـرى من المسـلمين، الذين كانوا فى بلاده، و أن لا يعرض لبلاد السّلطان الملك الظاهر. و وصلت نجده حلب إلى حلب.

و خرج العادل من دمشق، فى سـنه ستّ و سـتمائه، و طلب من الملک الظّاهر نجده، تكون معه إلى الشـرق، ليمضـى إلى خلاط، لدفع «الكرج» عنها، فسيّر إليه نجده، و عبر «الفرات». فلما وصل إلى «رأس عين»؛ رحل «الكرج» عن خلاط، و وصل إليه صاحب «آمد»، فسار فى العسكر إلى «سنجار»، و أقطع بلد الخابور، و نصيبين.

و نزل على «سـنجار» محاصـرا لها، و شـفع إليه مظفّر الدّين بن زين الدّين، فى صاحب سنجار، فلم يقبل شفاعته. و قال: «لا يجوز لى فى الشّرع، تمكين هؤلاء من أخذ أموال بيت المال فى الفساد، و ترک خدمه الأجناد، و فى مصلحه الجهاد»، و ضايق سنجار، و قاتلها فى شهر جمادى الآخره.

و قام نور الدّين بن عزّ الدّين- صاحب الموصل- فى نصـره ابن عمه صاحبها، و اتّفق مع «مظفّر الدّين»، و تحالفا، و أفسدا جماعه من عسكر «الملک العادل» و راسلا «الملک الظاهر»، على أن يجعلاه السّلطان، و يخطبوا له، و يضربوا السكّه باسمه.

و جعل «الملک الظّاهر» یداری الجهتین، و الرسل تتواتر إلیه من البلدان، و هو فی الظاهر فی طاعه عمّه، و عسکره معه، و فی الباطن فی النّظر فی حفظ سنجار، و مداخله المواصله، و هو یظهر لعمّه أنه متمّسک بیمینه له، إلی أن أرسل أخاه «الملک المؤیّد»، و وزیره «نظام الدّین الکاتب» إلی عمّه، معلما له أن رسول الموصل، و مظفّر الدّین، وصلا یطلبان منه الشفاعه إلیه، فی إطلاق سنجار، و تقریر الأمر علی حاله یراها.

و توسّط الحال عند قدومه، علی أن شفع فیهم الملک الظّاهر، و أطلق لهم «سنجار»، و استنزلهم عن «الخابور» و «نصیبین». و عاد «الملک المؤیّد»، من حضره عمّه بالبرّ الوافر، فلما وصل «رأس عین»، دخل إلیها فی لیله بارده کثیره الثلج، فنزل فی دار فیها منزل مجصّص، فستر بابه، و سدّ ما فیه من المنافس، و أوقد فیه نار فی منقل، و عنده ثلاثه من أصحابه، فاختنق، و واحد من أصحابه، و حمل إلی «حلب» میتا فی شعبان، من سنه ست و ستمائه. و جری علی الملک الظّاهر منه ما لا یوصف من الحزن و الأسف.

و وصل الملک العادل إلی «حرّان»، و خافه صاحب الموصل و الجزیره، فراسل الملک الظّاهر، و طلب منه أن یخلی بینه و بین ملوک الشرق، و أن یحتکم فی ما یطلبه منه، و راسله صاحب الموصل، و صاحب إربل، و صاحب الجزیره، یعتضدون به و هو لا یؤیسهم، فخرج السلطان إلی «حیلان» بعسکره، ثم رحل إلی «السّموقه» و راسل عمّه فی مهادنتهم، و تطییب قلوبهم، و هو مخیم علی «السموقه»- علی نهر قویق- و طلب منه أن تکون کلمه المسلمین کلّهم متفقه.

و کـذلک تدخّل فی الصّـلح ملک الرّوم، و أن یقصدوا الفرنج بجملتهم، فانّ الفرنج فی نیه التحرک، و خامر جماعه من عسـکر الملک العادل، و وصل ابن کهـدان إلی السّـلطان الملک الظّاهر، فأکرمه، فتخاذل عسـکر الملک العادل، فاتفق الحال بینهم علی الصلح، و دخول ملوک الإسلام فیه.

و تمّت المصاهره بین «الملک العادل» و «الملک الظّاهر»، علی ابنته الخاتون الجلیله «ضـیفه خاتون»- بنت الملک العادل- و شرع السّـلطان فی عمـل «قنـاه حلب» و فرّقهـا علی الآمراء، و الخواص. و حرّر عیونها، و کلس طریقها جمیعه، حتی کثر الماء بحلب. و قسم الماء فی جمیع محال حلب.

و ابتنی القساطل فی المحالّ. و وقف علیها وقفا لإصلاحها، و ذلک فی سنه سبع و ستمائه.

و توفّی وزیر السّـلطان الملک الظاهر «نظام الدّین محمد بن الحسـین» بحلب، بعله الدوسـنطاریا، فی صـفر سـنه سـبع و ستمائه. و کـان- رحمه اللّه- وزیرا صالحا، مشـفقا، ناصـحا، واسـطه خیر عنـد السّـلطان، لا یشـیر علیه إلّا بما فیه مصـلحه رعیته، و الإحسان إلیهم. و قام بعده بکتابه الإنشاء و الأسـرار «شـرف الدین أبو منصور بن الحصـین»، و «شـمس الدین بن أبی یعلی» کان مسـتوفی الدواوین. فلما مات أبو منصور بن الحصین استقلّ بالوزاره، و أضیف إلیه دیوان الإنشاء مع الإستیفاء.

و عمر السلطان باب قلعه حلب، و الدرکاه، و أوسع خندقها و عمل

«البغله» من الحجاره الهرقليّه، و عمق الخندق، إلى أن نبع الماء فى سنه ثمان و ستمائه.

و خرجت من مصر، فى هذه السنه، الملكه الخاتون، «ضيفه خاتون» بنت الملك العادل إلى حلب، مع «شمس الدّين بن التنبى». و التقاها الملك الظاهر بالقاضى بهاء الدين من دمشق، ثم بالعساكر الحلبيه بعد ذلك «بتلّ السّلطان»، و احتفل فى اللقاء، و بالغ فى العطاء، و وصلت إلى حلب فى النصف من المحرّم، من سنه تسع و ستمائه.

و ملّك ابن التنبى قريه من قرى حلب، من ضياع «الأرتيق»(۱) يقال لها تلع، و أعطاه عطاء وافرا، و حظيت عنده حظوه، لم يسمع بمثلها.

و وقعت النّار فى مقام إبراهيم- عليه السّلام- و هو الذى فيه المنبر، ليله الميلاد، و كان فيه من الخيم و الآلات و السلاح ما لا يوصف، فاحترق الجميع، و لم يسلم غير الجرن الذى فيه رأس يحيى بن زكريا- عليه السلام- و احترقت السقوف و الأبواب، فجدّده السلطان الملك الظّاهر، فى أقرب مده أحسن مما كان.

و توفى شرف الدين عبد اللّه بن الحصين كاتب السلطان، و استقلّ شمس الدين عبد الباقى بن أبى يعلى بالوزاره، فى سنه تسع و ستمائه.

و شرع الملك الظاهر فى هدم «باب اليهود» و حفر خندقه و توسعته،

۱- الأرتيق: من كور حلب قرب عزاز. بغيه الطلب لابن العديم- ص ۴۳۷.

و بناه بناء حسنا، و غيّره عن صورته التى كان عليها، و بنى عليه برجين عظيمين، و سمّاه «باب النصر». و أتم بناءه، فى سنه عشر و ستمائه.

و ولد للسّلطان الملك الظّاهر ولده الملك العزيز، من ابنه عمه الخاتون «ضيفه خاتون»، فى يوم الخميس خامس ذى الحجه من سنه عشر و ستمائه، فضربت البشائر، و زيّنت مدينه حلب و عقدت القباب، و فى اليوم السابع عشر، من ميلاده، ختن السّلطان أخاه الملك الصالح، و احتفل بختانه، و نصب الزّورق، من قلعه حلب إلى المدينه، و نزل فيه الرجال، و عملوا من الآلات و التماثيل التى ركبوها، حاله النزول أنواعا، و طهّر أولاد الأكابر من أهل المدينه، و شرّفهم، و خلع عليهم.

و دخلت سنه إحدى عشره و ستمائه

فجدّد السلطان الملك الظّاهر «باشوره» حلب، من «باب الجنان» إلى «برج الثعابين»، و بنى لها سورا قويا ظاهرا عن السّور العتيق، و جدّد فيه أبرجه كالقلاع، و عزم على أن يفتتح بالقرب من «برج الثعابين» بابا للمدينه، و يسميه «باب الفراديس»، و كان يباشر الإشراف على العماره بنفسه.

و أمر فى هذه السنه بتجديد ربض الظاهريه، خارج «باب قنّسرين»، فيما بينه و بين النهر، فنسب إليه، لذلك، و خربت «الياروقيه»، و انتقل معظم أهلها إليه.

و وثب الإسماعيليه على ابن الابرنس، «بكنيسه انطرسوس»، فقتلوه، فجمع البرنس جموع الفرنج، و نزل على حصونهم، و قتل و سبى، و حصر «حصن الخوابى» فكتبوا إلى السّلطان، يستغيثون به، و يستنجدونه، فاستخدم السلطان مائتى راجل، و سيّر جماعه من عسكر حلب، يحفظونه، ليدخلوا إلى «حصن الخوابى»، و يمنعوا الفرنج من الإستيلاء عليه.

و جرّد عسكرا من حلب، مع سيف الدّين بن علم الدّين، ليشتغل الفرنج من جهه «الّلاذقيه» ليتمكن الرجاله من الدخول إلى الحصن، فلما سمع الفرنج بذلک، كمنوا كمينا للرجاله و الخياله، الذين يحفظونهم، فأسروا الرجاله، و قتلوهم، و قبضوا ثلاثين من الخياله، و ذلک فى حادى عشر شهر رجب.

فعند ذلک خرج الملک المعظّم بن العادل، من دمشق، بعسكره، و دخل غائرا فى بلد «طرابلس»، فلم يترک فى بلدها قريه إلّا نهبها، و خربها، و استاق الغنائم و الأسرى، فرحلوا عن «الخوابى»؛ و أطلقوا الأسرى الذين أسروهم من أصحاب السلطان الملک الظاهر، و راسلوه، معتذرين، متلطّفين، و افترقوا عن غير زبده حصلت لهم.

و تمت الباشوره، و الباب، و الأبرجه، فى سنه اثنتى عشر و ستمائه.

و لم يتم فتح الباب، و سدّه طغرل الأتابک، لما مات الملک الظّاهر، إلى أن فتحه السلطان الملک النّاصر- أعزّ اللّه نصره- على ما نذكره، فى سنه اثنتين و أربعين و ستمائه.

و دخلت سنه ثلاث عشره و ستمائه

اشاره

و وقعت المراسله بين السلطان الملك الظاهر، و بين السلطان «كيكاوس بن كيخسرو»؛ و اتفقا على أن يمضى السّلطان إلى خدمته، و يتفق معه خوفا من عمّه، فأجابه «كيكاوس» إلى ذلك، و خرج بنفسه إلى أطراف البلاد.

و ندم السلطان على ما كان منه، و رأى أنّ حفظ بيته أولى، و أنّ اتفاقه مع عمّه أجمل، فسيّر القاضى بهاء الدّين- قاضى حلب- إلى عمّه إلى مصر برساله، تتضمن الموافقه: أنّه قد جعل ابنه الملك العزيز محمدا، ابن ابنه الملك العادل، ولىّ عهده، و طلب من الملك العادل أن يحلف له على ذلك، فسار إلى مصر، فرتّب السّلطان خيل البريد، تطالع بما يتجدّد من أخبار عمّه، لينظر فى أمره، فإن وقع منه ما يستشعر منه، خرج بنفسه إلى «كيكاوس»، و هو مع هذا كلّه فى همّه تجهيز الجيوش، و الإستعداد للخروج إلى «كيكاوس»، و الإجتماع معه على قصد بلد ابن «لاون» أولا، و كان «ابن لاون» قد ملك أنطاكيه، و ضاق ذرع السّلطان بمجاورته، لعلمه بانتمائه إلى عمّه.

فوصلت الأخبار من «القاضی» من مصر، أنّ الملک العادل أجاب الملک الظاهر إلی کل ما اقترحه، و سارع إلی تحصیل أغراضه، و لم یتوقّف فی أمر من الأمور.

و جعل کیکاوس یحث السّلطان علی الخروج، و یذکر أنه ینتظره، و نشب السلطان به، و ضاق صدره، و بقی مفکرا فی أنّ عمه قد وافقه، و لا یری الرّجوع عنه إلی ملک الروم، فیفسد ما بینه و بین عمّه، و یغضّ من قدره بالخروج إلیه و الإجتماع به إذا خرج، و أنه إن رجع عن ذلک فسد ما بینه و بین ملک الروم، و العسکر قد برز، و هو مهتمّ فی ذلک الأمر.

و طلب الإعتذار إلی ملک الروم بوجه یجمل، فلشدّه فکره، و ضیق صدره، هجم علیه مرض حادّ فی جمادی الآخره فی سنه ثلاث عشره و ستمائه.

و اعترته أمراض شتّی و ماشیرا(۱). و اشتدّ به الحال، و جمع مقدّمی البلد و أمراءه، و استحلفهم لابنه الملک العزیز محمد، ثم من بعده لابنه الملک الصالح أحمد، ثم من بعده لابن أخیه، و زوج ابنته: الملک المنصور محمّد بن الملک العزیز. و جعل الأمیر سیف الدّین بن علم الدّین مقدّم العسکر؛ و شهاب الدین طغرل الخادم والی القلعه، و متولّی الخزانه، و تربیه أولاده، و النظر فی مصالح الدّار و النساء.

و أنزل «بدر الدین ایدمر» والی قلعه حلب منها، و أقطعه زیاده علی ما کان فی یده من الأقطاع «قلعه نجم»، بذخائرها و عددها، و «زردنا»،

۱- مرض تظهر آثاره علی الوجه و الجلد.

مع تسع ضياع أخر من أمّهات الضياع. و حلف إخوه السلطان على ذلك.

و استشعر السلطان من أخيه الملك الظافر «خضر»- و كان مقيما «بالياروقيه»- فأقطعه «كفرسود»، و تقدّم إليه بالتوجّه إليها، فسار إليها، فسبقه الملك «الزّاهر»، فاستولى عليها، و على «البيره» و «حروص» و «المرزبان» و «نهر الجوز» و «الكرزين» و «العمق».

[وفاه الظاهر غازى]

و مات السّلطان الملك الظاهر- رحمه اللّه- بقلعه حلب، فى الخامس و العشرين، من جمادى الآخره من سنه ثلاث عشره و ستمائه، و كتم خبر موته ذلك اليوم، حتى دفن فى الحجره، إلى جنب الدّار الكبيره، التى أنشأها بقلعه حلب.

ثم أركب فى اليوم الثانى من موته ولداه: الملك العزيز، و الملك الصالح، و أنزلا بالثياب السّود إلى أسفل جسر القلعه، و صعد أكابر البلد إليهما.

و أصيب أهل حلب بمصيبه فتّت فى أعضادهم، و كان له- رحمه اللّه- فى كل دار بها مأتم و عزاء، و فى كل قليه(1) نكبه و بلاء:

و النّاس مأتمهم عليه واحدفى كلّ دار أنّه و زفير

و وصل «القاضى بهاء الدّين» من الرّساله، فى اليوم الثالث، و الوزير ابن أبى يعلى، قد استولى على التّدبير، و حكم على الصغير و الكبير، فصعد

۱- تصغير قله، و هى أعلى مكان فى القلعه، أو أنها تصحيف« قبيله».

القلعه، و اجتمع «بشهاب الدّين طغرل»، و صرفه عن إضافه الأمور إلى الوزير.

و قرّر أن الأمراء يجتمعون، و يتشاورون فيما يدبّرونه، و أن لا يخرج الأمر عن رأى «شـهاب الدّين» أيضا، فاجتمعوا «بدار العدل»، و اتّفقت آراؤهم على أن يكون «الملـك المنصور بن العزيز» أتابـك العسـكر، و أمر الإقطاع إليه، و أمر المناصب الـدينيّه يكون راجعا إلى «شهاب الدين طغرل»؛ و حلّفوه على ذلك، و ركب، و الأمراء كلّهم فى خدمته.

[ولايه الملك العزيز]

و نزل الملـك العزيز، و الملـك الصالـح، و جلسا فى دار العـدل، و الملـك العزيز فى منصب أبيه، و أخوه إلى جانبه، و الملك المنصور، إلى جانبهما ثم اضطّربت الحال، و لم يرض إخوه «الملك الظّاهر»، بولايه المنصور.

و وصـل فى أثناء ذلك رسول الملك الرومى كيكاوس- و كان مخيّما بالقرب من البلاد ينتظر وصول السّـلطان «الملك الظّاهر» إليه- فسيّر رسولا معزّيا، و مشـيرا بالموافقه معه، و أن يكون «الملك الأفضل» أتابک العسكر، فانّه عمّ الملك العزيز، و هو أولى بتربيته و حفظ ملكه.

و مـال الأـمراء المصـريون مثل: «مبارز الـدّين يوسف بن خطلـخ»، و «مبارز الـدين سـنقر الحلبى»، و «ابن أبى ذكرى الكردى»، و غيرهم، إلى هـذا الرأى، و قـالوا: «أنّ هـذا ملـک كبير، و لاـ ينتظم حفظ الملک إلّا به، و إذا صار أمر حلب راجعا إليه كان قادرا على أخذ ثأره من عمّه، و أخذ الملك به».

و رأى القاضى «بهاء الدين»، و سيف الدّين بن علم الدّين و سيف الدين بن قلج، و غيرهما، غير ذلك، و قالوا: «إنّ هذا إذا فعل، كـان الملك العزيز على خطر من الجانبين، لأنّ الملك العادل ملك عظيم، و صاحب الـديار المصـريه، فاذا قبلنا ذلك خرج من أيـدينا، فـان كانت الغلبه له انتزع الملك من أيـدينا. «و إن كانت عليه فلا نأمن أنّ الملك الأفضل، يتغلّب على ابن أخيه و ينتزع الملك منه، و يستقلّ به، كما فعل الملك العادل بابن العزيز، و الملك العادل قد حلف للملك الظاهر، و لابنه الملك العزيز من بعـده، و هو ابن ابنته، و ابنته بقلعه حلب، و نحن نطالبه بالوفاء بالعهـد، و هو يـذبّ عن حلب كما يـذبّ عن غيرها من ممالكه، و أمور الخزائن و هى راجعه إلى شـهاب الـدّين طغرل، و هو متولّى القلعه، و الرأى أن يقع الإتّفاق عليه، فانّ المال عنـده بالقلعه، و هو فيها ينتصف ممّن خالفه، و قد وقع إعتماد الملك الظّاهر عليه».

فاتفق رأيهم كلهم عليه، و عملت نسـخه يمين، حلف بها جماعه الأمراء و المقـدّمين من أهل البلد، على الموالاه و الطاعه للمك العزيز، ثم من بعده لأخيه الملك الصّالح، و على الموالاه لأتابكه «شهاب الدّين طغرل»، و انقاد الجميع له طائعين و مكرهين.

و أبعد الوزير ابن أبى يعلى، و صرف، و استقرّ الأمر على ذلك، فى أواخر شعبان، من السّنه، و سار ابن أبى يعلى عن حلب، فى شهر رمضان من السّنه، و استقلّ طغرل بترتيب البلاد و القلاع و تفريق الأموال و الأقطاع،

و لا يخرج فى ذلك كلّه، عن رأى القاضى بهاء الدين، و سيف الدّين بن علم الدّين، و سيف الدّين بن قلج.

و أقطع علم الدين قيصر «دربساك»، و ابن أمير التركمان «الّلاذقيه»، و سيّر علم الدّين إلى الملك الزّاهر، أولا يعاتبه على إستيلائه على البلاد، فاعتلقه، و قال: «أنا أحقّ بذلك، فإنّنى كنت ولىّ العهد لأخى، و قد حلف لى الناس». و طمع بملك حلب، ثم انقاد إلى الطّاعه و الخطبه، و شرط أن تبقى البلاد، التى استولى عليها بيده، فأجيب إلى بذلك.

و لما استقرّ أمر الأتابكيه لشهاب الدّين طغرل، كره ذلك جماعه من المماليك الظّاهريه، فعمد «عزّ الدين أيبك الجمدار» الظاهرى، و استضاف إليه جماعه من المماليك الظّاهريه، و الأجناد. و كاتب «الأسد أقطغان»،- و كان والى حارم- و اتفق معه على أن يأتى إليه، إلى «حارم» بالجماعه الذين وافقهم، و يفتح له القلعه، فإذا حصلوا بها انضم إليهم جماعه غيرهم، و كان لهم شأن حينئذ.

و كان العسكر المقيم «بحارم» قد أصعد إلى القلعه، و رتّب بها، و فيهم «المبارز أيوب بن المبارز أقجا»، فأحسّوا باختلال أمر «الأسد» الوالى»، و أنكروا عليه أشياء، فاستيقظوا لأنفسهم، و اتّفقوا على حفظ القلعه، و الإحتياط عليها.

و سار أيبك الجمدار إلى حارم، و وقف تحت القلعه، و رام الصّعود إليها، فمنعه الأجناد و الأمراء، الذين فى القلعه من ذلك، و لم يمكّنوا الوالى

من التحرّك فيها بحركه، و احتاطوا عليه.

فسار أيبک إلى «دربساك»، و طمع أن يتمّ له فيها حيله أيضا، فلم يستتبّ له ذلک، و عصى «ألطنبغا» بقلعه بهسنى، و انضاف إلى ملک الرّوم «كيكاوس». و انتظم الأمر بعد ذلک، و سكنت الفتنه، فى أواخر شوّال من السّنه.

و نزل «الملک العادل» من مصر إلى الشّام، و أرسل إلى «أتابک» بما يطيّب نفسه، و سيّر خلعه للملک العزيز، و سنجقا، و حلف له على ما أوجب السكون و الثقه.

و اتّفق خروج الفرنج من البحر، و تجمّعوا فى أرض عكّار، و أغاروا على «الغور»، و اندفع «الملک العادل» بين أيديهم، إلى «عجلون»، ثم إلى «حوران»، ثم نازل الفرنج «الطّور»، و زحفوا عليه، فكانت النّصره للمسلمين، و قتل منهم جمع كثير، و انهزموا عنها، و هدمها الملک العادل.

و سار الفرنج إلى «دمياط»، و نزلوا عليها، و بينها و بينهم «النّيل»، و الملک «الكامل» فى مقابلتهم، و استدعى الملک «العادل» ابنه «الملک الأشرف»، فسار فى عسكره إلى «حمص»، و دخل بلاد الفرنج، ليشغلهم عن محاصره «دمياط» فدخل إلى «صافيتا»، فخربوا ربضها، و نهبوا رستاقها، و هدموا ما حولها من الحصون، و دخلوا إلى ربض «حصن الأكراد»، فنهبوه، و حاصروا القلعه، حتى أشرفت على الأخذ، و الملک العادل مقيم فى «عالقين».

و دخلت سنه خمس عشره و ستمائه

اشاره

و تحرّك ملك الرّوم «كيكاوس»، و معه «الملك الأفضل»، طالبا أن يملك حلب، و يطمع «الأفضل» أن يأخذها له، ليرغب الأمراء فى تمليكه عليهم؛ و كاتب جماعه من الأمراء، و كتب لهم التواقيع، و من جمله من كاتبه «علم الدّين قيصر». و كتب له توقيعا «بأبلستان». و اغتنما شغل قلب «الملك العادل» بالفرنج، و وافقهما الملك الصّالح- صاحب آمد- و كان «كيكاوس»، يريد الملك لنفسه، و يجعل «الأفضل» ذريعه للتوصّل إليه، و كاتبه أمراء حلب الّذين كانوا يميلون إلى «الأفضل». فجمع العساكر.

و احتشد، و استصحب المناجيق، و سار فى شهر ربيع الأوّل، فنزل رعبان و حصرها، و فتحها.

فسيّر «الأتابك شهاب الدّين» «زين الدّين ابن الأستاذ» رسولا إلى «الملك العادل»، يستصرخه على «الرّومى»، و «الأفضل». فكتب إلى ولده «الملك الأشرف»، يأمره بالرّحيل إلى إنجاد حلب بالعساكر، و سيّر إليه خزانه، و جعل «الملك المجاهد»- صاحب حمص- فى مقابله الفرنج.

و سار «الملك الأشرف»، حتى نزل حلب «بالميدان الأخضر» و خرج الأمراء إلى خدمته و استحلفهم، و خلع عليهم، و أتاه «مانع» أمير العرب بجموعه المتوافره، و عاث العرب فى بلد حلب، «و الملك الأشرف» يداريهم لحاجته إليهم.

و سار علم الدّين قيصر إلى ملك الرّوم من «دربساك»، و جاهر بالعصيان، و نزل «نجم الدين ألطنبعا» إليه من «بهسنى». و تسلّم الروميّ «المرزبان»، و سار إلى «تلّ باشر» و هى فى يد ولد «بدر الدين دلدرم»، فنازلها، و حصرها، و فتحها. و لم يعط الملك الأفضل شيئا من البلاد التى افتتحها. فتحقّق «الملك الأفضل» فساد نيته، و سار إلى منبج، ففتحها بتسليم أهلها، و كان قد صار فى جملته رجل يقال له «الصّارم المنبجى»، و له اتباع بمنبج فتولّى له أمر «منبج» و شرع فى ترميم سورها، و إصلاحه.

و سار «الملك الأشرف» نحوه من حلب إلى «وادى بزاعا» على عزم لقائه، و جماعه من الأمراء المخامرين فى صحبته، فنزل فى وادى بزاعا، و سيّر «الرّومى» ألف فارس، هم نخبه عسكره، و مقدّمهم «سوباشى سيواس»، فوصلوا إلى «تلّ قبّاسين» فوقع عليهم العرب، و احتووا عليهم، و على سوادهم. و ركب «الملك الأشرف»، فوصل إليهم، و قد استباحوهم قتلا و أسرا، و سيّروا الأسرى إلى حلب، و دخلوا بهم و البشائر تضرب بين يديهم، و أودعوا السّجن.

و لما سمع «كيكاوس» ذلك، سار عن منبج هاربا، و رحل «الملك

الأشرف» من منزلته، و اتبعه يتخطّف أطراف عسكره، حتى وصل إلى «تل باشر»، فنزل عليها، و حاصرها حتى افتتحها، و سلّمها إلى نوّاب الملك العزيز، و قال: «هذه كانت، أولا، للملك الظّاهر- رحمه اللّه- و كان يؤثر ارتجاعها إليه، و أنا أردّها إلى ولده». و ذلك فى جمادى الأولى، من سنه خمس عشره و ستمائه. ثم أنه ملّكها للأتابك شهاب الدين طغرل، فى سنه ثمان عشره و ستمائه، بجميع قراها.

ثم سار «الملك الأشرف» إلى «رعبان» و «تلّ خالد» فافتتحهما و افتتح «برج الرّصاص»، و أعطى الجميع «الملك العزيز»، و أقطعت «رعبان» لسيف الدين بن قلج. و عاد منكفئا إلى حلب، و نزل على «بانقوسا».

[وفاه الملك العادل]

و كان الخبر قد ورد بموت «الملك العادل»- رحمه اللّه- و كان مرض على «عالقين»، فرحل إلى دمشق، فمات فى الطريق، فى جمادى الآخره من سنه خمس عشره. فكتب الأتابك شهاب الدّين بذلك إلى الأمراء، و «الملك الأشرف» قد قارب «مدينه حلب»، فأعلموه بذلك، فجلس فى خيمته للعزاء، و خرج أكابر البلد و الأمراء إلى خدمته، و أنشده الشعراء مراثى الملك العادل، و تكلّم الوعّاظ بين يديه.

و لما انفصل العزاء، سيّر «الأتابك شهاب الدّين» إلى «الملك الأشرف»، و تحدّث معه فى أن يكون هو السّلطان موضع أبيه، و أن يخطب له فى البلاد، و تضرب السكّه باسمه، و أن تكون العساكر الحلبيّه فى خدمته. فقال: «لا و اللّه لا أغيّر قاعده قرّرها أبى، بل يكون السّلطان أخى

«الملک الکامل»، و یکون قائما مقام أبی»، فاتّفق الحال بین «أتابک» و بینه، برأی القاضی «بهاء الـدّین»، و سیف الدّین بن علم الـدّین، و سیف الـدّین بن قلج، علی أن خطب بحلب و أعمالها «للملک الکامل»، و بعده للملک الأشرف، ثم للملک العزیز، و ضرب اسم «الملک الکامل»، و الملک العزیز، علی السکّه. و جعل أمر الأجناد و الأقطاع فی عسکر حلب إلی «الملک الأشرف»، و أخلیت له دار «الملک الظافر» «بالیاروقیه»، فنزل فیها، و رتب له برسم المعونه، من أعمال حلب «سرمین» و «بزاعا» و «الجبّول»، و وصلت إلیه رسل البلاد، من جمیع الجهات، و مالوا إلیه، و صاروا أتباعا له، و أمر و نهی ببلد حلب، فی الأجناد و الأقطاع لا غیر، و تردّد أکابر الحلبیّین إلی خدمته، و خلع علیهم، و انقضی فضل الشتاء.

و دخلت سنه ست عشره و ستمائه

فأقطع الأقطاع لأجناد حلب، و رتّب أمور أمرائها، و لا يفعل شيئا من ذلك إلّا بمراجعه «الأتابک شهاب الدّين»، و بدا من الأمراء المصريين تحرّک فی أمره، و کرهوا أمره و نهيه فی حلب، و خافوا من استيلائه عليها، و انتقامه منهم لميلهم إلی «الملک الأفضل». و بلغه عنهم أشياء عزموا عليها، و هو ثابت لذلک کله.

و وصلته رسل أخيه «الملک الکامل»، يطلب منه النجده إلی «دمياط». و کان «ابن المشطوب» قد أراد الوثوب عليه و تمليک «الفائز» أخيه، فأخرجه من الديار المصريّه، بعد أن رحل من منزلته، التی کان بها فی قباله الفرنج، و عبور الفرنج إليها، و نهب الخيم و منازله «دمياط»، و قطعهم الماده عنها، فاتفق رأی «الملک الأشرف» علی تسيير الأمراء، الذين کانوا يضمرون له الغدر، فسيّرهم نجده إلی أخيه، و هم المبارزان: «ابن خطلخ» و «سنقر» الحلبيّان، و ابن کهدان، و غيرهم، و خاف ابن خطلخ منه، فاستحلفه علی أن لا يؤذيه، فحلف له، و سيّرهم إلی أخيه «الملک الکامل»، فأقاموا عنده بالکليه.

[وفاه نور الدين الثانى صاحب الموصل]

و توفّى نور الدّين- صاحب الموصل- فى هذه السنه. و ترك ابنا صغيرا قام «بدر الدين لؤلؤ»، مملوك جدّه بتربيته. و خطب للكامل و الأشرف.

و قام زنكى بن عز الدين، فأخذ «العماديه»- و هى قلعه حصينه فيها أموال الموصل- بمواطأه من أجنادها، و عزم على أخذ الموصل، و قال: «أنا أولى بكفاله ابن أخى». و ساعده «مظفّر الدّين» صاحب «إربل» على ذلك، فسيّر لؤلؤ رسولا إلى «الملك الأشرف» إلى حلب، يطلب إنجاده، فسيّر إليه عزّ الدّين أيبك الأشرفى.

و كان عماد الدّين بن سيف الدّين على المشطوب، لما نفى من الديار المصريّه، قد وصل إلى «حماه»، و أقام عند صاحبها، و كاتب «الملك الأفضل»، و جمع جموعا كثيره من الأكراد، و أرباب الفساد، و ساعده الملك المنصور- صاحب حماه- بالمال و الرجال على ذلك و عزم على أن يمضى، بمن جمعه من العساكر إلى الأفضل، و أن يقوم معه، و يساعده صاحب حماه، و سلطان الرّوم. ثم سار ابن المشطوب، بغته، و خاض بلد حلب، و كان الزمن زمن الربيع، و خيول الأجناد متفرّقه فى الربيع، فوصل إلى «قنّسرين» و نفذ منها إلى «تلّ أعرن»(۱)، و بلغ «الساجور»، و استاق فى طريقه ما وجد من الخيل، و غيره.

۱- كان يعرف أيضا باسم تل عرن، و هو ما يزال يحمل الاسم نفسه، و هو قريه فى جبل الأحص تتبع منطقه السفيره- محافظه حلب، و تبعد القريه ۵ كم عن السفيره، يتوسطها تل كبير، هو تل عرن. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و بلغ خبره إلى الملك الأشرف، فأركب من كان بحضرته من العساكر، خلفه، و كان فيهم ابن عماد الدّين صاحب «قرقيسيا»، فلحقوه على «السّاجور»، و فى صحبته «نجم الدّين بن أبى عصرون»، فقبضوا عليه و أتوا به إلى «الملك الأشرف»، فعفا عنه، و «عن ابن أبى عصرون»، و أقطع ابن المشطوب «رأس عين» و أقام عنده مخيّما «بالياروقيّه»، إلى أن دخل شعبان، من السنه المذكوره. و سار «الملك الأشرف»، إلى بلاده الشرقيّه، لا صلاح أمر الموصل، و كان صاحب إربل و زنكى، قد كسرا «لؤلؤ» و «أيبك الأشرفى»، على الموصل. فنزل الملك الأشرف على حرّان، و فى صحبته عسكر حلب.

[وفاه كيكاوس ملك السلاجقه الروم]

و مات «كيكاوس»، ملك الروم، و ملك بعده أخوه كيقباذ، فراسل الملك الأشرف، و اتفق معه. و خربت القدس فى أوائل هذه السنه.

و خرج إلى الفرنج المنازلين «دمياط» نجده من البحر، و وقع الوباء فى أهل «دمياط»، و ضعفوا عن حفظها، فهجمها الفرنج على غفله من أهلها، فى عاشر شهر رمضان، و الملك الكامل، مرابط حولها بالعساكر، و ابتنى مدينه سماها «المنصوره»، أقام فيها فى مقابله الفرنج.

و دخلت سنه سبع عشره و ستمائه

و الملك الأشرف فى «حرّان»، و «ابن المشطوب» فى اقطاعه «رأس عين»، و قد داخل صاحب «ماردين»؛ و قرّر الأمر معه على العصيان على «الملك الأشرف»، و جمع جماعه من الأكراد، فنمى الخبر إلى الملك الأشرف، و خاف «ابن المشطوب»، فسار إلى سنجار، فاعترضه والى «نصيبين»، من جهه الملك الأشرف، و قاتله فهزمه، و استباح عسكره، و سار إلى سنجار، فأجاره قطب الدّين صاحبها. و أرسل «الملك الأشرف» اليه، فى طلبه، فلم يجبه إلى ذلك، فسار الملك الأشرف نحوه، فترك «سنجار»، و مضى إلى «تلعفر»، فعصى بها، فوصل إليه «ابن صبره» و عسكر الموصل. و وصل «الملك الأشرف» إلى «سنجار»، و فتحها، و عوّض صاحبها «بالرّقه» عنها، و فتح لؤلؤ «تلعفر»، و سلّمها إلى «الملك الأشرف»، و استجار «ابن المشطوب» بلؤلؤ، فأجاره على حكم الملك الأشرف، فيه، و سلّمه إلى الملك الأشرف، فقيّده، و سجنه بسنجار.

و سار الملك الأشرف إلى الموصل، و معه عسكر حلب، فأقام مخيّما

على ظاهرها، حتى أصلح أمرها مع صاحب «إربل»، و هادنه.

و وصل الملك «الفائز»، من الديار المصريّه، مستصرخا، و طالبا للنجد، و وصل إلى حلب، و أنزل «بالميدان الأخضر»، و سار إلى الموصل، إلى أخيه «الملك الأشرف»، فأقام عنده، بظاهر الموصل، شهرا و مات.

و انفصل الملك الأشرف عن الموصل، بعد إصلاح أمورها، و شتّى «بسنجار»، و قبض على «حسام الدين بن خشترين»- و كان أميرا من أمراء حلب- لغدر بلغه عنه، و قيّده، و سيّره، و ابن المشطوب إلى قلعه «حرّان»، فحبسهما فيها إلى أن ماتا. و قبض على ابن عماد الدّين- صاحب «قرقيسيا»- و أخذها، «و عانه» و البلاد التى كانت معه من يده، و قدم حرّان، فوصل إليه أخوه «الملك المعظّم» فى محرّم سنه ثمان عشره من دمشق، فوافقه على الصعود إلى الديار المصريّه، لا زاحه الفرنج عنها، فجهّز العساكر، و استدعى عسكر حلب، و عبر الفرات، و التقى بعسكر حلب.

و سار إلى دمياط، مع أخيه «الملك المعظّم»، و خرج الفرنج عن «دمياط»، و نزلوا فى مقابله المسلمين، فأرسلوا الماء عليهم، فمنعهم من العود إلى «دمياط»، و لم يبق لهم طريق اليها؛ و زحف المسلمون عليهم، و استداروا حولهم، فطلبوا الأمان و تسليم «دمياط» فتسلّمها المسلمون فى العشرين من شهر رجب سنه ثمان عشره و ستمائه.

و كان الملك المنصور- صاحب حماه- قد توفّى فى ذى القعده، سنه

سبع عشره و ستمائه. و كان ابنه الكبير «الملك المظفر»، فى نجده خاله بدمياط، فاستولى ابنه الملك الناصر، على حماه، و سيّر إلى الأتابک شهاب الدين، يطلب الاعتضاد به، و السفاره بينه و بين خاله «الملک الأشرف»، على أن ينتمى إليه، و يخطب له، على أن يمنع عنه من يقصده، و روسل فى ذلک، فأجاب، و حلف له على ذلک.

و نزل «الملک الأشرف» من الدّيار المصريه، و وصل إلى بلاده، و سيّر كتابا إلى الأتابک شهاب الدّين، يتضمّن أنّه: «لما وقع الاتفاق فى الابتداء، و عرض علىّ «الجبول» و «بزاعا» و «سرمين»، أجبت إلى ذلک، ليعلم المخالف و العدوّ، أن البلاد قد صارت واحده، و الكلمه متّفقه، و الآن فقد تحقّق الناس كلّهم ذلک، و أوثر الآن التقدّم إلى نوّاب المولى «الملک العزيز» فى قبضها، و اجرائها على العاده، و صرفها فى مصالح بلاده فأجبت إلى ذلک». و رفع «الملک الأشرف» أيدى نوابه عنها.

و دخلت سنه تسع عشره و ستمائه

توجّه «الملک الصّالح» ابن «الملک الظّاهر» إلى «الشّغر» و «بكاس»، و أضيف اليه «الروج» و «معره مصرين». و رتّب جماعه من الحجّاب و المماليک فی خدمته، و ذلک فی جمادی الأولی.

و فی ذی الحجه- من سنه تسع عشره و ستمائه- خرج الملک [الناصر] صاحب حماه إلى الصيّد، فبلغ ذلک «الملک المعظّم عیسی»، صاحب دمشق، فخرج مجدّا من دمشق، لیسبق صاحبها إلیها فیملکها، فانتهی الخبر إلى «الناصر»، فسبق الیها. و وصل الملک المعظّم إلى حماه، فوجد الملک الناصر قد وصلها، و فاته ما أراد، فسار إلى «معرّه النّعمان»، و احتوی علی مغّلاتها، و سيّر أتابک شهاب الدّین إلیه، تقدمه مع مظفّر الدین بن جردیک، إلى المعرّه، فقبلها، و اعتذر بأنّه إنما جاء لکتاب وصله من «الملک الکامل»، یأمره أن یقبض علی خادم هرب منه، و أنّه خرج خلفه لیدرکه، فلما قرب من «حماه»، بدا من صاحبها من الامتهان، و عدم النزل و الاقامه ما لا یلیق. و تجنّی علیه ذنوبا لا أصل لها، و الملک الکامل، و الملک الأشرف، حینئذ بمصر.

و دخلت سنه عشرين و ستمائه

فرحل «الملك المعظم» إلى «سلميه»، بعد أن رتّب «بالمعرّه» واليا، و رتّب «لسلميه» واليا من قبله، و عزم على حصار «حماه»، و استعدّ صاحبها للحصار، و وكّل الملك المعظّم العرب، لقطع الميره عن حماه، و منع من يقصدها من الأجناد للانجاد، و حوّل طريق القافله على سلميه.

و أرجف الناس بأن حسام الدين ابن أمير تركمان، قد وافق الملك المعظّم، و أنه قد صاهر صاحب «صهيون»، و كان سيف الدين بن قلج، هو الذى أشار بترتيبه فى اللاذقيه و ضمنه، فسار إليه، فلم يمتنع من تسليمها و لم يكن لما ذكر عنه صحّه؛ فترك سيف الدين بن قلج بها أخاه عماد الدين، و استصحب حسام الدين، معه إلى حلب. فأقام إلى أن زال الاستشعار من جهه «الملك المعظم»، و ردّت إليه.

و وصل حسام الدّين الحاجب على- نائب الملك الأشرف فى بلاده إلى حلب- و اجتمع بأتابك شهاب الدّين، و أعلمه أنّ الملك الأشرف، كتب إليه أن يرحل إلى «الملك المعظّم»، و يرحّله عن بلاد «الناصر»، و يعلم

«أتابک» أن هذا الّذی وقع، لم یکن بعلم «الملک الکامل»، و لا- «الملک الأشرف»، و انّهما لا- یوافقانه علی ذلک، و سار الحاجب إلیه فی هذا المعنی.

و وصل «الناصح أبو المعالی الفارسی»- أحد أمراء حلب- برساله «الملک الکامل» من مصر، و کان قد صعد إلیها إلی خدمته «الملک الأشرف»، و کان هو الحاجب بین یدیه إذ ذاک، و الأمور کلّها راجعه الیه، فقال له الناصح: «الملک الکامل یأمر المولی بالرّحیل، و ترک الخلاف»، فأجاب إلی ذلک، و قرّر الصلح بین صاحب حماه و بینه، و رحل إلی دمشق، و عاد الناصح إلی مصر.

و نقل السلطان الملک الظّاهر، من الحجره التی دفن بها بالقلعه، إلی القبه، بالمدرسه التی ابتناها له أتابک، و دفنه بها فی أول شعبان من سنه عشرین و ستمائه.

و نزل الملک الأشرف من مصر، و وصل إلی حلب فی شوال من سنه عشرین، و التقاه «الملک العزیز»، و نزل فی خیمته، قبلّی «المقام» و شرقیّه، بالقرب من «قرنبیا»، و کان قد صحبه خلعه للملک العزیز من «الملک الکامل»، و سنجق، و خرج «الملک العزیز»، و أهل البلد، فی خدمته، بعد ذلک، و دخل الناس إلی الخیمه، فی خدمه السلطان الملک العزیز، و مدّ «الملک الأشرف» السّماط، فی ذلک الیوم للناس، فلما أکلوا، و خرج الناس من الخیمه، أحضر «الخلع الکاملیه»، و أفاضها علی الملک العزیز.

و وقف قائما فی خدمته. ثم أحضر المرکوب فأرکبه. و حمل الغاشیه بین

یدیه، حتی خرج من الخیمه، و رکب إلی القلعه.

و أقام «الملک الأشرف»، مقدار عشره أیام، و اتفق رأیه مع الأمراء علی اخراب قلعه «الّلاذقیه»، فسار العسکر إلیها، و خرّبوها فی هذه السّنه.

و توجّه الملک الأشرف إلی حرّان، و عصی الملک المظفّر «شهاب الدین غازی» أخوه، علیه «باخلاط»، و کان أخوه «الملک المعظّم»، هو الذی حمله علی ذلک، و حسّنه له، لأجل ما سبق من «الملک الأشرف»، فی نصره صاحب حماه. فاستدعی «الملک الأشرف» عسکرا من حلب، فسار إلیه عسکر قویّ فیهم: سیف الدّین بن قلج، و علم الدین قیصر، و حسام الدین بلدق، فی سنه إحدی و عشرین و ستمائه، و سار إلی «اخلاط»، و اتّفق «مظفّر الدین»- صاحب إربل- و الملک المعظّم صاحب دمشق، علی أن یخرج هذا إلی جهه «الموصل»، و هذا إلی جهه «حمص»، لیشغلا «الملک الأشرف» عن اخلاط، فسیّر «الملک الأشرف»، و طلب طائفه من عسکر حلب لیقیم بسنجار، خوفا من أن یغتالها صاحب «إربل». و خرج «الملک المعظّم»، و أغار علی بلد حمص، وبارین، و وصل إلی «بحیره قدس»، و عاد.

و وصل الملک الأشرف إلی «اخلاط»، فخرج أخوه، و قاتله، فهزمه إلی «اخلاط»، و فتحها أهلها للملک الأشرف. و احتمی الملک «المظفّر» بالقلعه، حتی عفا عنه أخوه الملک الأشرف، و خرج إلیه، و أبقی علیه

«ميّافارقين»، و عاد عسكر حلب و الملك الأشرف، فى رمضان، و شتّى الملك الأشرف بسنجار.

و انهدم فى هذه السّنه من سور قلعه حلب الأبراج التى تلى «باب الجبل»، من حدّ المركز، و هى عشره أبراج، و تساقطت مع أبدانها، فى سلخ ذى القعده. و وافق ذلك شدّه البرد فى الأربعينيات، فاهتم «أتابك شهاب الدّين» بعمارتها، و تحصيل آلاتها، من غير أن يستعين فيها بمعاونه أحد، و لازمها بنفسه، حتى أتّمها فى سنه اثنتين و عشرين و ستمائه.

و مات الملك الأفضل، «بسميساط»، فى هذه السنه فى صفر، و حمل إلى حلب، فدفن فى التربه، التى دفن فيها أمّه قبليّ «المقام».

و دخلت سنه ثلاث و عشرين و ستمائه

اشاره

و وصل «محيى الدّين أبو المظفر ابن الجوزى»، إلى حلب بخلعه من «الامام الظّاهر»، إلى «الملك العزيز»، و كان قد تولّى الخلافه، فى سنه اثنتين و عشرين، بعد موت أبيه «الإمام النّاصر»، فألبسها السلطان «الملك العزيز»، و ركب بها، و كانت خلعه ستيّه، واسعه الكمّ، سودآء، بعمامه سوداء، و هى مذهبّه، و الثوب بالزركش. و كان قد أحضر إلى «الملك الأشرف» خلعه، ألبسه أياها، و سار بخلعه أخرى إلى «الملك المعظّم»، و خلعه أخرى، إلى «الملك الكامل».

و كاتب «الملك المعظّم» خوارزمشاه، و أطمعه فى بلاد أخيه «الملك الأشرف»، و نزل الملك المعظّم من دمشق، و نازل حمص، و كان سيّر جماعه من الأعراب، فنهبوا قراها؛ و وصل «مانع»، فى جموع العرب لانجاد حمص، من جهه الملك الأشرف، فانتهبوا قرى «المعرّه» و «حماه»، و قسموا البيادر، و لم يؤدوا عدادا(۱)، فى هذه السنه، لأحد.

۱- ضريبه على رؤوس المواشى عرفتها بلاد الشام حتى وقت قريب.

و لما وصل «الملک المعظّم» إلى حمص، اندفع «مانع» و عرب حلب، و الجزيره، إلى قنّسرين، ثم نزلوا قراحصار، ثم تركوا أظعانهم، بمرج دابق، و ساروا جريده إلى نحو حمص، فتواقع «مانع» و عرب دمشق، وقعات، و جرّد عسكر من حلب إلى حمص، فوصلوا إليها، قبل أن ينازلها الملک المعظّم، فحين وصلوها اتّفق وصول عسكر دمشق، فاقتتلوا، ثم دخلوا إلى مدينه حمص.

و كان «الملک الأشرف» على «الرّقه» فجاءه الخبر بحركه «كيقباذ»، و خروجه إلى بلاد صاحب «آمد»، و أخذه «حصن منصور»، و «الكختا»(۱)، فسيّر «الملک الأشرف» نجده إلى آمد، فالتقاهم جيش «الرّومى»، و هزمهم، فعاد الملک الأشرف إلى «حرّان»، و خرج من بقى من عسكر حلب إلى حاضر «قنسرين» لانجاد صاحب حمص.

و وقع الفناء فى عسكر «الملک المعظّم»، و ماتت دوابّهم، و كثر المرض فى رجالهم، فرحل عن حمص، فى شهر رمضان من السّنه. و سار «الملک الأشرف»، عند ذلک بنفسه إلى دمشق، و اجتمع بأخيه «الملک المعظّم» قطعا لمادّه شرّه، و زيّنت دمشق لقدوم الملک الأشرف، و عقدت بها القباب، و أظهر الملک المعظّم السّرور بقدومه، و حكّمه فى ماله؛ و باطنه ليس كظاهره، و رسله تتردّد إلى «خوارزمشاه» فى الباطن، و جاءته خلعه من «خوارزمشاه» فلبسها.

۱- حصن على أربعين ميلا من ملطيه، فى الجنوب الشرقى منها.

و كانا لما انقضى شهر رمضان، قد خرجا عن دمشق، إلى «المرج»، و ورد عليهما رسولا حلب: القاضى زين الدّين ابن الاستاذ نائب القاضى بهاء الدّين، و مظفّر الدّين بن جورديک، يطلبان تجديد الأيمان «للملک العزيز»، و «أتابک». فوجد «الملک الأشرف»، و قد أصبح مع «الملک المعظّم»، بمنزله التبع له، و يطلب مداراته بكلّ طريق، و هو لا- يتجاسر أن ينفرد بهما فى حديث، دون الملک المعظّم، و «الملک المعظّم» يشترط شروطا كثيره، و المراجعات بينهما و بين أتابک إلى حلب مستمره مده شهرين. إلى أن وردت الأخبار بنزول «خوارزمشاه» على «اخلاط»، و محاصرتها، و فيها «الحاجب علىّ»- نائب الملک الأشرف- فهجم بعض عسكره اخلاط، و قام من بها من أهلها و جندها، و أخرجوهم منها، كرها. فوافق الملک الأشرف أخاه، على ما طلبه منه، و استدعى رسولى حلب، و حلفا لهما، و رحل خوارزمشاه عن «خلاط».

و شتّى الملک المعظّم، و الملک الأشرف «بالغور»، و اضحى «الملک الأشرف» كالأسير فى يدى أخيه «الملک المعظّم»، لا يتجاسر على أن يخالفه فى أمر من الأمور، و هو يتلوّن معه، و كلّما أجابه «الملک الأشرف» إلى قضيه، رجع عنها إلى غيرها، و أقام عنده، إلى أن دخلت سنه أربع و عشرين و ستمائه.

و انقطعت مراسله الملک الأشرف إلى حلب، لكثره عيون أخيه عليه، و كونه لا- يأمن من جهته من أمر يكرهه، لانه أصبح فى قبضته، و اتّفق وصولى من الحجّ، فى صفر من هذه السنه، فاستدعانى «الملک الأشرف»،

و حمّلنی رساله إلی أتابک شهاب الدّین، مضمونها ما قد وقع فیه مع أخیه.

«و أنه یتلوّن معه، تلوّن الحرباء، و لا يثبت علی أمر من الأمور، و إنّ آخر ما قد وقع بینی و بینه، أنه التمس منی أن یحلف له أتابک علی مساعدته و معاضدته، و أن لا یوافق الملک الکامل علیه، و أنّه متی قصده الملک الکامل، کان عونا له علی الملک الکامل». فلما أبلغت «أتابک» ما قال، امتنع من الموافقه علی ذلک، و قال: «أنا حلّفنی الملک الأشرف للملک الکامل، و فی جمله یمینه: أننی لا أهادن أحدا من الملوک علی قضیّه إلّا بأمره، فاذا أراد هذا منی فلیأتنی بأمر من الملک الکامل، حتی أساعده علی ذلک».

و حین رأی «الملک الأشرف» و قوعه فی أنشوطه أخیه، و أن لا مخلص له إلّا بما یریده، ساعده علی کلّ ما طلبه منه، و استحلفه علی الملک الکامل، و صاحبی حماه و حمص، فاطمأن الملک المعظّم إلی ذلک، و مکّن الملک الأشرف من الرحیل، فسار إلی «الرّقه»، فی جمادی الآخره من السنه، فرجع «الملک الأشرف» عن جمیع ما قرّره مع أخیه، و تأوّل فی أیمانه التی حلفها، بأنه کان مکرها علیها، و أنه علم أنه لا ینجیه من یدی أخیه إلّا موافقته فیما طلب، و ندم «الملک المعظّم» علی تمکینه من الانفصال عنه، و سیّر العربان إلی بلد حمص و حماه، فعاثوا فیهما، و نهبوا.

و خرج عسکر الأنبرور- ملک الفرنج- إلی عکا، فی جموع عظیمه، فطمع صاحب حماه، و صاحب حمص فی «الملک المعظّم» حینئذ، و أرسلا إلیه یطلبان العوض عما أخذه من بلادهما، فلاطف حینئذ أخاه «الملک

الأشرف»، و أرسل إليه يطلب موافقته، فعنّفه على أفعاله التى عامله بها، و قرّعه على ما اعتمد فى حقّه و حقّ أهله. و مرض «الملك المعظّم» بدمشق و مات سلخ ذى القعده. و ملك دمشق بعده «الملك الناصر» ولده.

و فى هذه السّنه، سلّمت عين تاب، و الراوندان، و الزّوب، إلى «الملك الصالح» ابن الملك الظاهر، و أخذ منه «الشغر» و «بكاس»، و ما كان فى يده معها.

و دخل الحاجب، فى هذه السنه، و جمع من قدر عليه من العساكر، إلى بلد أذربيجان، و افتتح «خوى»، و «سلماس»، و أخذ زوجه أزبک و كانت فى خوى- و هى التى سلّمت خوى إليه، و كانت قد تزوجت بخوارزمشاه.

و خرج الملك الكامل من مصر حين سمع بموت أخيه. و سيّر الملک الناصر، إلى عمّه الملک الأشرف، يعتضد به، و يستمسک بذيله، مع ابن موسک. فوصل إليه إلى سنجار، و طلبه ليأتى إلى دمشق، فسار إليه إلى دمشق، و نزل «الملک الكامل»، فخيّم بتلّ العجول فى مقابله الفرنج، و سيّر الملک الأشرف إليه، «سيف الدّين بن قلج» يطلب منه ابقاء دمشق على ابن أخيه، و يقول له: «إننا كلنا فى طاعتک، و لم نخرج عن موافقتک». فخاطبه بما أطمع الملک الأشرف فى دمشق.

و أما الملک العزيز، فانّه فى هذه السنه، جلس فى «دار العدل» فى منصب أبيه، و رفعت إليه الشكاوى، فأجاب عنها، و أمر و نهى، و كان

يحضر عنده الفقهاء، فى ليالى الجمع ليلا، و يتكلمون فى المسأله بين يديه، و حضر عيد الفطر، فخلع على كافه الأمراء، و مقدّمى البلد، و أرباب المناصب، و عمل عيدا عظيما، احتفل فيه، و لم يعمل بحلب عيد، منذ مات «الملك الظّاهر»، قبل هذه السّنه.

و وصل «الأنبرور» إلى عكا، و خيّم الملك الكامل «بالعوجا». و توجّه الملك الأشرف، إليه من دمشق، فجدّد الأيمان فيما بينهما، و سارت النجده من حلب، فى آخر المحرم سنه ستّ و عشرين و ستمائه، فنزلت فى «الغور».

[تسليم الكامل القدس للفرنجه]

و صالح «الملك الكامل» الفرنج على أن أعطاهم مدينه «القدس» سوى الصخره و المسجد الأقصى- و ليس لهم فى ظاهرها حكم، و أعطاهم «بيت لحم»، و ضياعا فى طريقهم إلى القدس، من عكا.

و عاد الملك الأشرف، و اجتمع بعسكر حلب، و بالملك الناصر ابن الملك المعظم، فقال له: «إنّنى قد اجتهدت فى أمرك بالملك الكامل، فلم يرجع عن قصد دمشق، و كان آخر ما انتهى اليه أن قال: يعطى الملك الناصر البلاد الشرقيه، و تأخذ أنت دمشق»، فعلم الملك الناصر، أنّهما قد توافقا على أخذ دمشق، و كان أيبك المعظّمى معه، فأشار عليه بالرحيل إلى دمشق، فقوّض خيامه، و سار، و لم يمكن الملك الأشرف منعه، و مضى إلى دمشق، و شرع فى تحصينها، فسار الملك الأشرف بجيوش حلب، و نزل على دمشق، و قطع عنها الماء، فخرج عسكر دمشق، و قاتلوا أشدّ القتال، حتّى أعادوا الماء اليها، و وصل الملك الكامل، فى جمادى الأولى، بالعساكر المصريّه، و خيّموا جميعا على دمشق.

و سـار القاضـی بهـاء الـدين، و فی صـحبته أكـابر حلـب و عـدولها إلی دمشـق، لعقـد المصـاهره بين «الملـک العزيز» و «الملک الكامل». و وصل إلی ظاهر دمشق من ناحيه «ضمير»، و خرج الملک الكامل من المخيّم، و التقاه، و أنزله فی المخيم، بالقرب من «مشـهد القدم». و أحضره إلی خيمته، و قدّم ما كان وصل علی يده، للملک الكامل. ثم نقله بعد ذلک إلی جوسق الملک العزيز «بالمزّه»، و كان يتردّد إليه «الملک الكامل»، فی بعض الأوقات، إلی أن اتّفق الأمر، علی أن حمل الـذّهب الواصل، لتقدمه المهر، و الجواری، و الخـدم، و الـدراهم، و المتـاع، و عقـد العقـد بحضور الملک الأشـرف، فی «مسـجد خاتون»، و تولّی عقـد النكاح «عماد الدّين ابن شـيخ الشـيوخ» عن الملک الكامل. لابنته «فاطمه خاتون»، علی صداق، مبلغه خمسون ألف دينار. و قبل القاضی «بهـاء الـدّين» العقـد عن الملـک العزيز، و ذلـک فی سـحره يوم الأحـد سـادس عشـر شـهر رجب، و خلع «الملک الكامل» علی القاضـی، و علی جميع أصـحابه، و علی الحاجی بشـر أمير لالا الملک العزيز، بعد أن فتحت دمشق. و عاد القاضی و من كان فی صحبته إلی حلب.

و اسـتقرّ أن يأخـذ الملک الكامل من الملک الأشـرف، عوضا عن دمشق: حرّان، و الرّها، و الرّقه، و سـروج، و رأس عين، و سار الملک الأشرف إلی بعلبک، فحصرها إلی أن أخذها من صاحبها.

و سار العسكر إلی حماه، بأمر الملک الكامل، فحصرها ليسلّمها

صاحبها إلى الملک «المظفّر ابن الملک المنصور»، فنزل إليه صاحبها الملک الناصر- و كان نازلا بمجمع المروج- فحبسه عنده إلى أن سلّمها إلى أخيه، و أعطاه «بارين». و سار الملک الكامل إلى الرقه.

[ظهور الخوارزميه]

اشاره

و نزل خوارزمشاه على «أخلاط»، و وافقه ابن زين الدين، فى الباطن، و صاحب آمد فى الظاهر، و خطب له، و ضاق الأمر بأهل «أخلاط»، فطلبوا الأمان فلم يجبهم إلى ذلک، و افتتحها فى ثامن و عشرين من جمادى الأولى، من سنه سبع و عشرين و ستمائه، و وضع السيف فى أهلها، و سبى النّساء و الصبيان.

و فى ثامن جمادى الأولى، ولد للسلطان «الملک العزيز»، مولود من جاريه، و سمّاه باسم أبيه، و لقّبه بلقبه «الملک الظاهر غازى»، و زيّن المدينه، و عقد القباب، و لبس العسكر فى أتمّ زينه و هيئه، و عمل الزّورق من القلعه إلى المدينه؛ و نزل الناس فيه، و انقطعت بكره برجل منهم، فوقع فى سفح القلعه، فمات، فبطل الملک العزيز الزروق.

و ولد له أيضا فى هذه السنه، ولد آخر لقّبه «بالملک العادل». و ولد له أيضا فى هذه السنه، «السلطان الملک الناصر» و هو الذى أوصى له بالملک، بعد أن مات الولدان المتقدمان.

و اتفق الملک الكامل، و الملک الأشرف، و ملک الرّوم كيقباذ، على خوارزمشاه. و طلب الملک الأشرف نجده من حلب، فسيّر الملک العزيز و أتابک، عسكرا يقدمه «عزّ الدين بن مجلى»، فدخل الملک الأشرف،

و اجتمع بملك الروم؛ و سار إلى ناحيه «أرزنكان»، و اصطفّت العساكر للقتال، فكسر الخوارزمى فى التاسع و العشرين من شهر رمضان، و هبّت ريح عاصفه فى وجه عساكره، و انهزموا، و صادفوا شقيفا، فى طريقهم، فوقع فيه أكثر الخوارزميه فهلكوا، و صار «الملك الأشرف» إلى «اخلاط» فاستعادها، و هادن الخوارزمى.

و دخلت سنه ثمان و عشرين و ستمائه

و كـان للفرنـج حركه، و خرج عسـكر حلب مع بـدر الـدين بن الوالى، و أغـاروا على نـاحيه «المرقب»، و نهبوا حصن بانيـاس، و خربـوه، و سيّروا أسـرى حلـب، ثـم تواقـع المسـلمون و الفرنـج وقعـه أخرى، قتـل من الفريقين فيهـا جمـاعه، و كـان الربـح فيها للمسلمين، و سيّرت العساكر من حلب فى النصف من شهر ربيع الآخر.

و احتبس الغيث فى حلب، و ارتفعت الأسعار فيها، و خرج الناس، و استسقوا على «بانقوسا» فجاء مطر يسير، بعد ذلك، و انحطّت الأسعار قليلا.

و استقرّت الهدنه بين عسكر حلب و الداويّه، و الاسبتار، فى العشرين من شعبان من السنه.

و اسـتقلّ السـلطان الملك العزيز بملكه، فى هـذه السـنه، و تسـلّم خزائنه من «أتابك شـهاب الـدّين»، و رتّب الولاه فى القلاع، و استحلف الأجناد لنفسه؛ و خرج بنفسه، و دار القلاع و الحصون، و ركب أتابك شهاب

الـدّين، فى نصف شـهر رمضان، من هـذه السـنه، و نزل من القلعه، و ركب النّاس فى خـدمته، و لم ينزل منها، منـذ توفى الملك الظّاهر، إلّا هـذه المره، ثم عـاد إلى القلعه، و كـان يركب منها فى الأحايين، إلى أن دخل السّـلطان «الملك العزيز» بابنه الملك الكامل، و بقى «أتابک» مدّه فى القلعه، ثم نزل منها، و سكن فى داره، التى كانت تعرف بصاحب عين تاب، تجاه باب القلعه.

و اسـتوزر الملك العزيز، فى هـذه السّـنه، خطيب القلعه و ابن خطيبها «زين الـدين عبـد المحسن بن محمد بن حرب»، و مال إليه بجملته.

و سيّر الملك العزيز القاضـى بهاء الدّين، فى هذه السّـنه فى شوّال، إلى مصـر، لإحضار زوجته بنت الملك الكامل، فأقام بمصـر مده، إلى أن قدم فى صحبتها والدها «الملك الكامل»، إلى دمشق، و سيّرها من دمشق صحبته، و أصحبها من جماعته: فخر الدين البانياسـى، و الشـريف قاضـى العسكر، و خرج وزيره، و أعيان دولته، فالتقوها من حماه، و أكابر أهل حلب أيضا، و التقتها والده السلطان عمّتها من «جباب التركمان»، و التقاها بقيه العساكر، «بتلّ السلطان»، و التقاها أخو السّلطان «الملك الصالح»، فى عسكره، و تجمّله، و عادت العساكر فى تجمّلها، و اصـطفت أطلابا طلبا بعـد طلب، فى «الوضـيحى». و خرج السّـلطان إلى «الوضـيحى»، و دخل مع زوجته، ليلا، إلى القلعه المنصوره، فى شهر رمضان، من سنه تسع و عشرين و ستمائه.

و كانت العامه بحلب، قد ثاروا على محتسبها «مجد الدّين بن العجمى»، لأن السعر كان مرتفعا، و قد بلغ الرّطل من الخبز إلى عشره قراطيس، ثم انحطّ السعر كان فى تقاديم الغلّه، إلى أن بيع الرطل بخمسه و نصف، فركب نائب المحتسب و سعّره فى البلد بسته قراطيس، فهاجت العامّه عليه، و قصدوا دكّه المحتسب، و همّوا بقتل نائبه، و خربوا الدكّه، و مضوا إلى دار المحتسب، لينهبوها، فنزل والى البلد، و الأمير «علم الدّين قيصر»، و سكنوا الفتنه، بعد أن صعد جماعه إلى السلطان، و استغاثوا على المحتسب، فظفروا بأخيه نائب الحشر «الكمال بن العجمى»، فرجموه بالحجاره، فانهزم، و اختفى فى بعض دروب حلب، ثم هرب إلى المسجد الجامع، فهمّوا به مرّه ثانيه، فى الجامع، فحماه مقدّم الأحداث، و كان ذلک، فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان، من سنه تسع و عشرين و ستمائه.

و داوم «الملک العزيز» الخروج إلى الصيّد، ورمى البندق بنواحى «العمق» و غيرها، و حسّن له جماعه من أصحابه، أن يسير إلى قلعه «تلّ باشر»، و يستولى عليها، و ينزعها من نواب أتابكه «شهاب الدين طغرل»، و أن يبقى عليه رستاقها، و أن لا يكون شى ء من القلاع إلّا بيده، فنمى الخبر إلى «أتابک»، فسيّر إلى الوالى، و أمره أن لا يعارضه فى القلعه، و أن يسلّمها إليه، و كان له بها خزانه، فاستدعاها، و خرج السّلطان إلى «عزاز»، و كانت فى يد والده أخت «الملک الصّالح»، و أولادها بنى «ألطنبغا»، عوّضهم بها «أتابک» عن «بهسنى»، بعد قتل الرّومى كيكاوس الطنبغا، فصعد إلى قلعتها، و ولّى بها واليا من قبله، و أبقى عليهم ما كان

فى أيـديهم من بلـدها. ثم سار السّـلطان من «عزاز»، إلى «تلّ باشـر»، و صـعد إلى القلعه، و ولّى فيها واليا من جهته، و انتزعها من أيـدى نواب أتابكه. و بلغه أخـذ الخزانه، من «تلّ باشـر»، فسيّر من اعترض أصـحاب «أتابك» فى الطّريق، فأخـذ الخزانه منهم، و كان يظنّ أنّ بها مالا طائلا، فلم يجد الأمر كما ذكر، فأعادها على أتابك، فامتنع من أخذها، و قال:

«أنا ما ادّخرت المال إلّا لك» ثم دخل السّلطان إلى حلب، و كان ذلك كلّه، فى شهر رمضان، من سنه تسع و عشرين و ستمائه.

ثم إن السّـلطان «الملـك العزيز»، خرج فى خرجـاته، لرمى البنـدق إلى «حـارم»، و توجّه منها إلى «دركوش» ثم إلى «أفاميه»، فى سنه ثلاثين و سـتمائه، فلم يحتفل به صاحب «شيزر» «شهاب الدّين يوسف بن مسعود بن سابق الدّين»، و أنفذ إليه إقامه يسيره- و هى شـى ء من الشّـعير على حمير، سـخّرها من بلـد شـيزر- فشقّ عليه ذلك. فلما دخل حلب اسـتدعى «سـيف الدّين علىّ بن قلج الظّاهرى»، و سـيّره إلى الملك الكامل، ليسـتأذنه فى حصار «شـيزر»، و أخـذها، و كانت مضافه إلى حلب، و إنّما خاف أن يلقى صاحبها نفسه على «الملك الكامل»، فيشـفع إليه فى أمره، فلا يتمّ له ما يريد، فصـعد «سـيف الدّين» إلى دمشق، و قرّر مع الملك الكامل، الأمر على ما يختاره «الملك العزيز»؛ و سيّر إلى السّلطان الملك العزيز، و أعلمه بذلك، فأخرج العسكر، «و الزّردخاناه»، و نزل العسكر على «شيزر»، و احتاط الديوان، على ما فى رستاق «شيزر» من المغلّات.

و وصل «سیف الدّین بن قلج» من دمشق، و خرج السّلطان بنفسه، فنصب علیها المناجیق، من جهه الجبل، و ترک المنجنیق المغربی، قباله بابها، و سیّر إلى صاحبها، و قال له: «و اللّه لئن قتل واحد من أصحابی، لأشنقنّک بدله». فتقدّم إلى الجرخیّه بالقلعه، أن لا یرمی أحد بسهم، و تبلّد، و أسقط فی یده.

و أرسل «الملک الکامل» إلى السلطان نجابین، و معهما خمسه آلاف دینار مصریّه، لیستخدم بها رجاله، یستعین بهم على حصار «شیزر».

و قدم إلیه إلى شیزر «الملک المظفر محمود»- صاحب حماه- و أرسل إلیه صاحب شیزر، یبذل له تسلیمها، على أن یبقى علیه أمواله، التی بها، و یحلف له على أملاکه، بحلب، فأجابه إلى ذلک، و نزل من شیزر إلى خدمه السّلطان، و سلّمها إلیه، و وفى له السلطان بما اشترطه، و صعد السّلطان إلى القلعه، و أقام أیاما بشیزر، ثم دخل إلى مدینه حلب.

و مرض أتابک «شهاب الدّین طغرل بن عبد اللّه» فی أواخر هذه السنه، و دام مرضه، إلى أن مات، لیله الاثنین الحادیه عشره، من محرّم سنه إحدى و ثلاثین و ستمائه.

و حضر السّلطان الملک العزیز محمد بن الملک الظّاهر، جنازته، صبیحه اللیله المذکوره. و مشى خلف جنازته، من داره إلى أن صلّى علیه خارج «باب الأربعین»، و دفن بتربته، التی أنشأها «بتلّ قیقان»، و وقفها مدرسه على أصحاب الإمام أبی حنیفه- رضی اللّه عنه- و بکى السّلطان علیه

بكاء عظيما، و حضـر عزاءه، يومين بعد موته، بالمدرسه التى أنشأها «أتابک»، و جعل فيها تربه للسّلطان الملك الظّاهر- رحمهم اللّه-

و فى هذه السّنه:

و هى سـنه إحدى و ثلاثين نزل الملک الكامل، من مصـر، و اتّفق مع أخيه الملک الأشـرف، على قصد بلاد السلطان «كيقباذ بن كيخسـرو»، للوحشه التى تجدّدت بينهم، بسـبب إستيلاء كيقباذ على بلاد «أخلاط»، و انتزاعها من أيدى نواب «الملک الأشرف»، و سـارا من دمشق، و خرج معهمـا الملـک المجاهـد، صـاحب حمص، و الملـک المظفّر، صـاحب حمـاه، و وصل معهم الملک الناصر، صاحب الكرک، و وصلوا إلى «منبج» باذن السلطان «الملک العزيز».

و سيّر الملـک العزيز، إليه إلى «منبـج»، الإقـامه العظيمه، و الزردخانـاه، و عسـكره، و مقـدّمه عمّه «الملـک المعظّم»، و ساروا من ناحيه «تل باشر»، فنزل إليه «الملک الزّاهر داود بن الملک النّاصر».

و قـدم إليه صـاحب «سـميساط» «الملـک المفضل موسـى»، و صاحب «عين تاب» «الملک الصالـح بن الملک الظّاهر»، و الملک المظفّر شهاب الدّين بن الملک العادل، و الملک الحافظ أخوه، و غيرهم، من الملوک، حتى اجتمع فى عسكره سته عشر أميرا.

و سيّر ملک الروم إلى «الملک العزيز»، و قال له: «أنا راض منک بأن

تمـدّه بالأجنـاد و الأـموال، على أن لاـ تنزل إليه أبـدا». و أعفـاه الملك الكامل، من مثل ذلك، و رضـى كلّ واحـد من الملكين بفعله.

و سار الملك الكامل فى جيوشه، فى أوائل سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه، إلى أن نزل على «نهر الأزرق»، فى طرف بلاد الروم، و جاء عسـكر الروم حتّى نزل قبلىّ زّلى- بينها و بين الدّربنـد- و السّـلطان معهم، و صـعد الرجاله إلى فم «الدّربند»، بالقرب من نور كغال، و بنوا عليه سورا، و قاتلوا منه، و منعوا من يطلع إليه، و قلّت الأقوات على العسكر الشّامى.

فرجع «الملـك الكامـل»، و خرج إلى طرف بلـد «بهسـنى»، و نزل على بحيره أنزنيت، و وصـل إليه صاحب خرتبرت، و دخل فى طاعته، و أشار عليه بالدّخول من جهته، فسار إلى ناحيه «خرتبرت».

و وقعت طائفه من عسـكر الروم، على طائفه من عسـكر الملك الكامل، و فيهم الملك المظفّر- صاحب حماه- و شـمس الـدين صواب، فكسـر العسـكر الكـاملىّ، و اعتصم من نجـا منهم «بخرتبرت»، فحاصـرهم ملك الرّوم إلى أن نزلوا بالأمان، و أطلقهم، و استولى «كيقباذ» على «خرتبرت»، و عفا عن صاحبها، و عوّضه عنها بأقطاع فى بلاده.

و مرض «الملك الزّاهر» فى العسـكر، فحمل مريضا إلى «البيره»، و قوى مرضه، و طمع بعض أولاده بملكها، و شـرع فى تحصينها و تقويتها، و بلغ «الملك الزّاهر» ذلك، فسيّر إلى السّـلطان «الملك العزيز»، و اسـتدعاه إليه، و أصـعده إلى القلعه، و أوصـى إليه بالقلاع التى فى يده، و الخزائن

و عيّن لأولاده شيئا من ماله، و توفّى «بالبيره»، و السّلطان بها عنده، فى أوائل صفر، من سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه.

و أقام السّلطان بها يرتّب أحوالها، و أقام فيها واليا من قبله، فاتّفق وفاه القاضى بهاء الدّين بحلب، فى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر، من سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه.

و طلب «الكمال ابن العجمى» قضاء حلب، و كاتب السلطان فى ذلك، فلم يجبه إلى ذلك. و سار السلطان من «البيره» إلى «حارم»، فخرج ابن العجمى إليه، إلى «حارم»، فمنعه الدّخول اليه، و بذل له فى قضاء حلب ستّين ألف درهم، و أن يحمل فى كل سنه، للسّلطان، من فواضل أوقاف الصدقه، و من كتابه الشروط، خمسين ألف درهم، فلم يصغ السّلطان إلى شى ء من ذلك، و كتب إلى القاضى زين الدّين، كتابا يأمره بأن يحكم بين النّاس، على جارى عادته، إلى أن يدخل الى المدينه، فلما دخل السلطان اجتهد «ابن العجمى» فى قبول ما بذله، و بذل شيئا كثيرا غير ذلك، لخواصّ السّلطان، و حسنوا للسّلطان قبول ما بذله، و إجابته الى ما سأله، فجرى على مذهب أبيه و جدّه فى الاحسان، و لم يبع منصب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم- بالأثمان و نظر فى مصلحه الرعيّه، و أرضى اللّه و نبيّه، و قلّد القضاء بمدينه حلب و أعمالها، فى يوم الجمعه، الرابع عشر، من شهر ربيع الأول من سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه، القاضى زين الدّين أبا محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن، بن علوان- المعروف بابن الأستاذ- و كان نائب القاضى بهاء الدّين فى الحكم.

و أما الملك الكامل، فانه عاد فى تلك الجيوش العظيمه، و لم يحظ بطائل، و دخل فصل الشتاء، و حال بين الفريقين، و عاد كلّ إلى بلاده، و لما خرج فصل الشتاء، خرج «علاء الدين كيقباذ» الى الجزيره، و الرّها، و الرقه، و سبى عسكره أهل البلاد كما يسبى الكفّار، و ذلك فى ذى الحجه، من سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه، و سار «الملك الكامل» نحوها، فاندفع ملك الرّوم، فعاد «الملك الكامل»، و استولى على البلاد، و خرّب قلعه الرّها و بلدها، و سيّر إليه السلطان العسكر الى الشّرق، و الزّردخاناه، و ذلك فى الجماديين، سنه ثلاث و ثلاثين و ستمائه.

[وفاه العزيز بن غازى]

و دام «الملك العزيز»، فى ملكه بحلب، و سمت همّته إلى معالى الأمور، و مال إلى رعيته، و أحسن إليهم الى أن دخلت سنه أربع و ثلاثين و ستمائه، فغضب على وزيره «زين الدّين بن حرب»، و ألزمه داره بقلعه حلب، و ولّى الديوان مكانه، الوزير «جمال الدّين الأكرم أبا الحسن علىّ بن يوسف القفطىّ الشيبانى».

[ولايه الناصر بن العزيز]

و خرج فى أواخر شهر صفر إلى «النقره»، ثم توجّه منها الى «حارم»، و حضر فى الملقه(١)، لرمى البندق، و احتاج الى أن اغتسل بماء بارد، فحمّ، و دخل إلى حلب، فالتقاه النّاس، و هو موعوك، و دامت به الحمّى، الى أن قوى مرضه، و استحلف الناس لولده الملك «النّاصر صلاح الدّين يوسف بن الملك العزيز». و سيّرنى إلى أخيه «الملك الصالح» إلى عين

١- كذا بالأصل، و لعله أراد« الملقى» أو أنها تصحيف« الحلقه».

تاب، يستحلفه له، و لابنه «الملك الناصر»، و عدت، و قد مات، فى شهر ربيع الأوّل، من سنه أربع و ثلاثين و ستمائه.

و تولّى تدبير دولته الأميران: شمس الدين لؤلؤ الأمينى، و عزّ الدين عمر بن محلّى و وزير الدوله القاضى «جمال الدين الأكرم» و «جمال الدّوله اقبال الخاتونى»، يحضر بينهم فى المشوره.

و اذا اتّفق رأيهم على شى ء، دخل جمال الدّوله إقبال الخاتونى، إلى جدّه السّلطان «الملك النّاصر»، والده «الملك العزيز»، و عرّفها ما اتّفق رأى الجماعه عليه، فتأذن لهم فى فعله، و العلامات على التواقيع، و المكاتبات إلى الستر العالى الخاتونى، والده الملك العزيز. فاتّفق رأيهم، على أن سيّروا القاضى زين الدّين- قاضى حلب- و الأمير بدر الدّين بدر بن أبى الهيجاء، إلى مصر، رسولين إلى «الملك الكامل»، ليحلّفاه «للملك النّاصر»، و يتوثّقا من جهته، و استصحبا معهما كزاغند السّلطان الملك العزيز، و زرديته، و خوذته، و مركوبه.

فلما وصلا إليه، أظهر الألم و الحزن لموته، و قصّر فى إكرامهما و عطائهما، و حلف للملك الناصر، على الوجه الذى اقترح عليه، و خاطب الرسولين بما يشيران به، عنه، من تقدمه «الملك الصالح بن الملك الظّاهر»، على العسكر، و أن تكون تربيه «الملك الناصر» إليه، فلم ير الجماعه ذلك.

و اتّفق بعد ذلك بمدّه، أن سيّر الملك الكامل خلعه للملك الناصر،

بغير مركوب، و سيّر عدّه خلع لأمراء الدّوله، و سيّر مع رسول مفرد خلعه «للملك الصالح»، على أن يجى ء اليه إلى «عين تاب»، فاستشعر أرباب الدّوله التّدبير من ذلك، و حصل عند جدّه السّلطان وحشه من ذلك.

و اتفق رأيهم، على أن لبس السّلطان خلعته، و لم يخلع على أحد من الأمراء شى ء، مما سيّره لهم، و ردّوا الرسول الوارد إلى الملك الصالح بخلعته، و لم يمكنوه من الوصول إليه، و استوحشوا من جهه «الملك الكامل».

و كان «الملك الأشرف»، قد تتابعت من أخيه، «الملك الكامل» أفعال أوجبت ضيق صدره، و كان يغضّ على نفسه، و يحتملها، فمنها أنه أخذ بلاده الشرقيّه، حين أعطاه دمشق، و أخذ من مضافات دمشق، مواضع متعدّده.

و اتفق أن «كيقباذ» ملك الرّوم، أخذ «خلاط»، فضاق ما فى يد «الملك الأشرف» جدّا، و كان ينزل إليه فى كلّ سنه إلى دمشق، فى عبوره إلى الشّرق، فيقيم بدمشق مدّه، فيحتاج «الملك الأشرف»، فى ضيافته إلى جمله.

و قبض على أملاكه التى كانت له بحرّان، و الرقّه، و سروج، و الرّها، و رأس عين، و على جميع تمليكاته التى ملكها بتلك الناحيه، و فتح آمد، و هو فى صحبته، فلم يطلق له من بلادها شيئا، و خذله فى انتزاع «خلاط» من يد «الرّوميّ»، فاتفق هو، و الملك المجاهد- صاحب حمص- و الملك المظفّر- صاحب حماه- و عزموا على الخروج عليه، و عيّن لكلّ واحد منهم

شی ء من بلاده، و أرسل إلى الملكه «الخاتون» و الأمراء بحلب، و طلبوا موافقتهم على ذلك، و خوّفوهم من جهته، و ذكروا ما تمتدّ أطماعه إليه فوافقوهم.

و تحالفوا عليه، و سيّروا رسلا من جهتهم إلى ملك الروم «كيقباذ»؛ يطلبون منه مثل ذلك. فوصلوا إليه و مات «كيقباذ»، قبل اجتماعهم به فذكروا رسالتهم لابنه «كيخسرو»، فحلف لهم على ذلك.

و اتفقوا كلّهم على أن يرسلوا رسلا من جهتهم، إلى «الملك الكامل»، الى مصر، و معهم رسول من حلب، و قالوا له: «إنّنا قد اتفقنا كلنا، و نطلب منك أنّك لا تعود تخرج من مصر، و لا تنزل إلى الشام»، فقال لهم: «مبارك، أنتم قد اتفقتم، فما تطلبون من يمين، احلفوا أنتم أيضا لى: أن لا تقصدوا بلادى، و لا تتعرّضوا لشى ء مما فى يدى و أنا أوافقكم على ما تطلبون». و نزل رسوله، و مرض «الملك الأشرف»، و اشتغل بمرضه، و طال الى أن مات- على ما نذكره-.

و مما تجدّد فى حلب، فى سنه أربع و ثلاثين و ستمائه: أنّ «شهاب الدّين» «صاحب شيزر»، و «كمال الدين عمر بن العجمى»، اتفقا، على أن سيّرا من جهتهما رجلا، يقال له «العزّ بن الأطغانى» إلى دمشق إلى «الملك الأشرف»، و حدّثاه فى أن يقصد حلب، و أنهما يساعدانه بأموالهما، و أوهمه صاحب «شيزر» أنّ معظم الأمراء بحلب، يوافقونه على ذلك، و أوهمه ابن العجمى أنّ أقاربه، و جماعه كبيره من الحلبيّين، يتابعونه، و يشايعونه،

و يوافقونه، على ذلك، و اشترط على «الملك الأشرف»، أن يولّيه قضاء حلب.

فمضى رسولهما إلى «الملك الأشرف»، و اجتمع ببعض خواصّه، و ذكر له الأمر الذى جاء فيه، فلم يحضره اليه، و أجابهما بأنّه: «لا تتصوّر أن يبدو منى غدر، و لا قبيح فى حقّ أحد من ذريّه الملك الظاهر»، و أخبرنى «فلك الدّين بن المسيرى» أنّه هو الّذى كان المتكلّم بين «الملك الأشرف»، و بين رسولهما.

و نمى هذا الخبر إلى الملكه، و الأمراء، فسيّروا من يوقف الرسول و اتّفق وصوله إلى حلب فقبض فى «باب العراق»، و أصعد إلى القلعه، و سئل عن ذلك، فأخبرهم بالحديث على فصّه، فحبس الرّسول، و حلقت لحيته، و سيّر الى «دربساك»، و حبس بها، و أصعد «ابن العجمى»، و صاحب شيزر، و اعتقلا بالقلعه، و أخذت أموال صاحب شيزر جميعها، و لم يتعرّض لأموال ابن العجمى، تطيبا لقلوب أهله. و داما فى الاعتقال، من جمادى، من سنه أربع و ثلاثين الى أن مات الملك الكامل، فى سنه خمس و ثلاثين و ستمائه، و أطلقا.

و ما حدث أيضا، فى سنه أربع و ثلاثين، أنّ أميرا من التركمان، يقال له «قنغر» جمع إليه جمعا من التركمان، بعد موت «الملك العزيز»، و عاث فى أطراف بلاد حلب، من ناحيه «قورس»، و غيرها، و نهب ضياعا متعدّده، و كان يغاز(۱)، و يدخل الى بلد الروم، فخرج اليه عسكر من حلب، فكسر

۱- كذا بالأصل و لعله أراد« يغزو» أو« يغير».

ذلک العسکر، و نهبه.

و تخوف أمراء حلب، أن یکون ذلک بأمر «ملک الرّوم»، فسیّروا رسولا- إلی ملک الروم، فی معناه، فأنکر ذلک، و أمر بردّ ما أخذه، من بلد حلب، فردّ بعضه، و انکف عن العیث و الفساد.

و بذل «ملک الروم» من نفسه الموافقه، و النصره «للملک النّاصر»، و کفّ من یقصد بلاده بأذی، فسیّر له تقدمه سنیّه، من حلب، علی ید «شرف الدین بن أمیر جاندار»، فأکرم الرّسول إکراما کثیرا، و سیّر الیه رسول فی الباطن، و هو أوحد الدّین- قاضی خلاط- فاستحلفه علی الموالاه «للملک الناصر»، و الذبّ عن بلاده، و دفع من یقصدها.

و اتفق أیضا، فی هذه السنه، تحرّک الداویّه، من «بغراس»، و أغاروا فی بلد «العمق»، و استاقوا أغناما للترکمان، و مواشی لغیرهم کثیره.

فخرج «الملک المعظم بن الملک الناصر» یقدم عسکر حلب، و نزلوا علی «بغراس» و حصروها مدّه، حتی ثغروا مواضع من سورها، و نفد ما فیها من الذخائر، و أشرفت علی الأخذ، فسیّر البرنس- صاحب أنطاکیه- و شفع فیهم، بعد أن کان مغاضبا لهم، فرأوا المصلحه، فی إجابته إلی ذلک، و عقدوا الهدنه مع الداویّه، علی «بغراس»، و رحلوا عنها، و لو أقاموا علیها یومین آخرین، لما استطاع من فیها الصبر علی المدافعه.

و سار العسکر عن «بغراس»، بعد أن أخربوها، و بلدها، خرابا شنیعا، و نزل العسکر الاسلامی بالقرب من «دربساک»، فجمع «الداویّه»

جموعهم، و استنجدوا بصاحب «جبيل» و غيره، من الفرنج، و جمعوا راجلا- كثيرا، و ساروا من جهه حجر «شغلان» إلى «دربساك»، ظنا منهم أن يكبسوا الربض، على غرّه من أهله، و أن ينالوا منه غرضا، فاستعدّ لهم من بالربض من الأجناد، و نزل جماعه من أجناد القلعه، و قاتلوهم فى الربض، قتالا شديدا، و حموه منهم، و اشتغلوا بقتالهم، إلى أن وصل الخبر إلى عسكر حلب، فركبوا، و وصلوا إليهم، و قد تعب الفرنج، و كلّت خيولهم، فوقعوا عليهم، فانهزم الفرنج هزيمه شنيعه، و قتل منهم خلق عظيم، و استولى المسلمون على فارسهم و راجلهم، و كان فيهم جماعه من المقدّمين و اختبأ منهم جماعه من الخيّاله، و غيرهم، خلف الأشجار فى الجبل، فأخذوا، و لم ينج منهم إلّا القليل، و دخلوا بالرؤوس و الأسرى إلى حلب، و كان يوما مشهودا و حبسوا فى القلعه، ثم أنزلوا الى الخندق.

و استولى المسلمون على فارسهم و راجلهم، و كان فيهم جماعه من المقدّمين و اختبأ منهم جماعه من الخيّاله، و غيرهم، خلف الأشجار فى الجبل، فأخذوا، و كان يوما مشهودا و حبسوا فى القلعه، ثم أنزلوا إلى الخندق.

و فتّت هذه الوقعه فى أعضاد «الداويّه»، بالساحل، و لم ينتعشوا بعدها، و كانوا قد استطالوا على المسلمين و الفرنج.

و مات فى هذه السّنه «علاء الدين كيقباذ»- ملك الروم- «بقيصريه»، فى أوائل شوّال، من سنه أربع و ثلاثين و ستمائه، و سيّرت رسولا إلى ابنه «غياث الدين كيخسرو»، القائم فى الملك بعده، بالتّعزيه، و تجديد الأيمان عليه، على القاعده التى كانت مع أبيه، فحلّفته على ذلك، فى ذى القعده.

و كـان قـد قبض على «قيرخـان»- مقـدّم الخوارزميه- فهرب من بقى منهم، من بلاـد الروم، و نهبوا فى طريقهم ما قـدروا عليه، و عبروا الفرات، و استمالهم الملك الصالح بن الملك الكامل، و أقطعهم مواضع فى الجزيره.

و توفّى «الملـك الأشـرف» بـدمشق، لأـربع خلون من المحرم من سـنه خمس و ثلاـثين و سـتمائه. و أوصـى بهـا لأـخيه «الملك الصالح اسماعيل»، و جدّد الأيمان مع الجماعه، الذين كانوا وافقوا أخاه «الملك الأشرف».

فخرج «الملـك الكامـل» من مصـر، و قصـد دمشق، و سيّر من حلب نجـده إلى دمشق و كـذلك سـيّر «الملك المجاهـد» ولـده «المنصور» إليها، و نزل «الملك الكامل» على دمشق، و حصرها مدّه، فرجع «الملك المظفّر»- صاحب حماه- عن موافقه الجماعه و داخـل الملـك الكامـل، و أطلعه على جميع الأـحوال، و وقع بينه و بين صـاحب حمص اختلاـف، و طلب من صـاحب حمص «سلميه»، لتجرى الموافقه على ما كان عليه.

فسيّرت من حلب، و معى الأمير «علاء الـدّين طيبغا الظّاهرى»، ليوفّق بين صاحب حمص و صاحب حماه، فأبى كلّ واحـد منهما، أن يجيب صـاحبه إلى مـا يريـد. و كـان مطلوب صـاحب حماه أن يعطيه صاحب حمص «سـلميه» و القلعه الّتى جـدّدها «الملك المجاهد» المعروفه «بشميميس»(١). فقال «الملك المجاهـد»: «هـذه ثمينه لى، و قد حلف لى على كلّ ما بيدى»، و أبى أن يجيبه إلى ذلك.

١- ما تزال تحمل الاسم نفسه قرب سلميه، يراها على يمينه الخارج من سلميه إلى حماه.

فعدنا إلى «حماه»، و ذكرنا لصاحبها مقاله «الملك المجاهد»، و أنّ فى ما يحاوله نقضا للعهد، فقال: «هو قد نقض عهدى، و أنفذ و استفسد جماعه من عسكرى»، و عدّد له ذنوبا لا أصل لها، و قال: «لا بدّ من قصده، و إذا نزل الملك الكامل على حمص، نزلت معه عليها و فعلت ما يصل إليه جهدى.

و لكن حلب، أبذل نفسى و مالى دون الوصول إلى قريه منها، و لا أرجع عن اليمين الّتى حلفت بها للسّتر العالى، و الملك الناصر».

فقلت: «فالمولى يعلم ما جرى بيننا و بين صاحب حمص، من الأيمان، و ما نقض منها عهدا، و إذا قصده قاصد إلى حمص يتعيّن إنجاده و نصرته، و إذا وصل عسكر من حلب لنجدته، فكيف يفعل المولى»؟ فتلجلج، و قال:

«أنا أقاتله، و من قاتلنى قاتلته».

فكتبنا بذلك إلى حلب، فجاء الأمر بالتوجّه إلى حلب، فسرنا فى الحال من غير توديع، حتى وصلنا العبادى ليله الاثنين، مستهلّ جمادى الأولى، من سنه خمس و ثلاثين و ستّمائه، فلحقنا «المهماندار»(۱) بالخلع و التّسفير، فلم نقبل منه شيئا، و وصلنا إلى حلب يوم الثلاثاء، فتحقّق أنّه قد داخل «الملك الكامل»، و أنه يطالعه بالمتجدّدات جميعها.

و أما دمشق، فإنّ «الملك الكامل»، لازم حصارها، حتى صالحه «الملك الصّالح»، على أن أبقى له بعلبك، و بصرى، و أخذ منه دمشق، فى تاسع

۱- أى مايماثل مدير المراسم.

عشر جمادى الأولى، من السّنه، و لم يتعرّض لنجده حلب، و حمص، بسوء.

و خرجوا من دمشق إلى مستقرّهم.

و وصل «النّاصح»، و عسكر حلب، إلى حلب، و استدعى «الملك المعظّم»، و أقارب السلطان و الأمراء، و حلفوا للسّلطان «الملك الناصر» و «للخاتون الملكه»، على طبقاتهم. ثمّ حلف بعد ذلك أكابر البلد، و رؤساؤها. ثم حلف الأجناد و العامه، و استعدّ الناس للحصار بالذّخائر، و الأقوات، و الحطب، و ما يجرى مجراه، و نقلت أحجار المناجيق إلى أبواب البلد، و استخدم جماعه من الخوارزميّه، و غيرهم.

و وصل «قنغر التركمانى» فاستخدم بحلب، و قدّم على التركمان. و قفز جماعه من العسكر الكاملى إلى حلب، فاستخدموا، و تتابعت الرسل إلى «ملك الرّوم»، لطلب نجده، تصل إلى حلب، من جهته، فسيّر نجده من أجود عساكره، و عرض عليهم أن يسيّر غيرها، فاكتفوا بمن سيّره.

و سيّر ملك الروم رسولا- إلى «الملك الكامل»، يخاطبه فى الامتناع عن قصد حلب، فأمر بالتبريز من دمشق، لقصد حلب، و أخرج الخيم و الأعلام، فمرض، و مات بدمشق، فى قلعتها، فى حادى و عشرين، شهر رجب، من سنه خمس و ثلاثين و ستمائه، و وصل خبر موته، فعمل له العزاء بحلب، و حضره السّلطان «الملك النّاصر»، يومين، و أمر العسكر، فى الحال، بالخروج إلى معرّه النعمان، فخرج، و نازل معرّه النّعمان، مع «الملك المعظّم»، و وصل رسول «الملك المظفّر»- صاحب حماه- يتلطّف الحال، فلم

يلتفت إليه، و لم يستحضر. و سيّرت المجانيق، و نصبت على قلعه المعرّه.

و وصل فى أثناء ذلك، رسول من السّلطان «غياث الدّين كيخسرو»، يطلب الوصله إلى «الخاتون الملكه»، بأن تزوّجه بنت السلطان «الملك العزيز»، أخت السّلطان «الملك الناصر»، و أن يزوّج السّلطان الملك الناصر، أخت السلطان «غياث الدين»، و استقرّ الأمر على ذلك، و اجتمع النّاس فى دار السّلطان، بالقلعه، و عقد عقد السّلطان «غياث الدّين» على الستّ «غازيه خاتون». و تولّيت عقد النكاح، على مذهب الإمام أبى حنيفه- رضى اللّه عنه- لصغر الزّوجه، على خمسين ألف دينار، و قبل النّكاح، عن السّلطان «غياث الدّين» الرسول الواصل من جهته، «عزّ الدّين»- قاضى دوقات(۱)- حينئذ- و نثر الذّهب، عند الفراغ من العقد.

و وصل، عند ذلك، الخبر بفتح «معرّه النّعمان»، فى تلك السّاعه، على جناح طائر- و ضربت البشائر للأمرين، و ذلك فى تاسع شعبان(۲) من سنه خمس و ثلاثين و ستّمائه.

سار العسكر فنازل «حماه»، و ابتنى صاحبها سورا من اللّبن، على حاضرها، من جهه القبله، و نهب عسكر حلب بلد «حماه» و رستاقها.

و وصل رسول من الملك «الصالح بن الملك الكامل»، يشفع فى صاحب حماه، فلم يجب إلى سؤاله فيه، و اعتذر إليه بما بدا منه، و طلب

۱- هى توقات عند ياقوت، بلده بين قونيه و سيواس.

۲- قراءه ترجيحيه، بسبب طمس مطلع السطر.

الرّسول، عن صاحبه، الموافقه و المعاضـده، و أن يسـفروا فى الصّـلح، بينه و بين «ملك الرّوم»، فأجيب جوابا، لم يحصل منه على طائل.

و وردت الرّسـل من مصـر، من الملك العادل، و الملك الكامل، يطلبون منه الموافقه، بينه و بين صاحب حلب، و أن يجروا منه، على عاده أبيه، فى الصّلح، و إقامه الدعوه له بحلب، فلم يجب إلى شى ء من ذلك، و رجعت الرّسل بغير طائل.

و فى هذه السنه، قبض على «قنغر التركمانى»، و حبس بقلعه حلب، و نهبت خيمه و دوابّه.

و سيّرت من حلب، فى الرّابع من شوّال، سـنه خمس و ثلاـثين و سـتمائه، إلى «بلاـد الرّوم»، لعقـد الوصـله بين السّـلطان «الملك النّاصر»، و السّلطان «غياث الدين كيسخرو»، على أخت السّلطان كيخسرو، و هى ابنه خاله الملك العزيز، والد الملك الناصر.

و سـمع السـلطان كيخسـرو بوصولى، و كان فى عزم «كيخسـرو» التوجّه إلى ناحيه «قونيه»، فتعوّق بسـببى، و سيّر بولقا إلى «أقجا» دربنـد، قبـل وصولى «ابلسـتان» يسـتحثّنى على الوصول، و يعرّفنى تعويقه بسـببى، ثم سـير بولقا آخر، فوصل إلى تحت «سـمندو» يستحثّنى على الوصول.

فأسرعت السّير، حتى وصلت إلى «قيصريّه»، و السّلطان فى «الكيقباذيه»، فاستدعانى إليه، و لم أنزل «بقيصريّه»، و اجتمعت به، عند وصولى، يوم الثلاثاء، سادس عشر شوّال، من سنه خمس و ثلاثين و ستمائه،

و وقعت الإجابه إلى عقد العقد. و وكّل السلطان «كمال الدّين كاميار»، على عقد العقد معى، على أخته «ملكه خاتون بنت كيقباذ». و دخلنا فى تلك السّاعه إلى «قيصريّه»، و أحضر قاضى البلده، و الشّهود، و عقدت العقد مع «كاميار»، على خمسين ألف دينار سلطانيّه، مثل صداق «كيخسرو»، الذى كتب عليه لأخت السّلطان «الملك الناصر».

و أظهر فى ذلك اليوم من التجمّل، و آلات الذهب، و الفضه، ما لا يمكن وصفه. و نثرت الدنانير الواصله، صحبتى، و كانت ألف دينار، و نثر فى دار السلطان من الذّهب، و الدّراهم، و الثياب، و السكّر، شى ء كثير.

و ضربت البشائر فى دار السّلطان، و أظهر من السرّور و الفرح، ما لا يوصف.

و سيّرت، فى الحال، بعض أصحابى إلى حلب، مبشّرا بذلك كلّه، فضربت البشائر بحلب، و أفيضت الخلع على المبشّر، و عدت إلى حلب، فدخلتها يوم الخميس، تاسع ذى القعده، و التقانى السلطان «الملك الناصر»- أعزّ اللّه نصره- يوم وصولى.

هذا كلّه، و العسكر الحلبىّ محاصر «حماه». و كان قبل هذا العقد، سيّر السلطان «كيخسرو» الأمير «قمر الدّين» الخادم- و يعرف بملك الأرمن- رسولا- إلى حلب، و على يده توقيع من السّلطان «الملك الناصر»، بالرّها، و سروج. و اتّفق الأمر معه، على أن خطب له الملك «المظفّر شهاب الدّين غازى»- ابن الملك العادل- و أقطعه حرّان، و أقطع «الملك المنصور»- صاحب ماردين- سنجار، و نصيبين، و «الملك المجاهد»- صاحب

حمص- عانه، و غربا من بلد الخابور، و كانت هذه البلاد فى يد «الملك الصالح بن الملك الكامل». و اتّفق الأمر، على أن يأخذ السلطان «كيخسرو» آمد، و سميساط، و أعمالها.

و كان «الخوارزميّه»، قد خرجوا على «الملك الصالح»، و استولوا على البلاد، و هرب «الملك الصّالح» منهم. فأنعم على الرّسول الواصل إلى حلب، و أعطى عطاء وافرا، و قبل التوقيع منه.

و لم تر الملكه «الخاتون» مضايقه ابن أخيها فى البلاد، و لم تتعرّض لشى ء منها. و بلغه ذلك فسيّر إليها، و عرض عليها تلك البلاد، و غيرها، و قال:

«البلاد كلّها بحكمك، و إن شئت إرسال نائب يتسلّم هذه البلاد، و غيرها، فأرسليه لأسلّم إليه ما تأمرين بتسليمه». فشكرته، و طيّبت قلبه.

و اتّفق بعد ذلك مع «الخوارزميّه»، و أقطعهم: حرّان، و الرّها، و غيرهما، بعد أن كانوا اتفقوا مع «الملك المنصور»- صاحب ماردين- و قصدوا بلاد «الملك الصالح أيوب»، و أغاروا عليها، و نزلوا على حرّان، و أجفل أهلها.

و خاف «الملك الصالح»، فاختفى، ثم ظهر «بسنجار»، و حصره «بدر الدّين لؤلؤ»- صاحب الموصل- و كان قد ترك ولده الملك «المغيث» «بقلعه حرّان»، فخاف من الخوارزميّه، و سار مختفيا نحو «قلعه جعبر»، فطلبوه، و نهبوه و من معه، و أفلت فى شرذمه من أصحابه، و وصل إلى

«منبج» مستجيرا بعمّته. فسيّر إليه من حلب، و ردّ عن الوصول إليها بوجه لطيف، و قيل له: «نخاف أن يطلبك منّا سلطان الرّوم، و لا ـ يمكننا منعك منه»، فعاد إلى حرّان، و وصله كتاب أبيه يأمره بموافقه «الخوارزميه» و الوصول إليه بهم لدفع «لؤلؤ»، ففعل ذلك؛ و سار «بالخوارزميّه»، طالبين عسكر الموصل، فانهزموا و أفرجوا عن سنجار، و أدركهم الخوارزميه فقتلوا منهم و نهبوا أثقالهم، و قوى «الملك الصالح» بهم.

و وصل عسكر «الروم» إلى آمد، و نازلها، و أخذ بعض قلاعها، و توجّه عسكر «الخوارزميّه»، إلى جهتهم، فرحلوا عن آمد. و لم ينالوا منها زبده.

و وصل رسول «السلطان كيخسرو» عز الدّين- قاضى دوقات- إلى حلب فى هذه السنه، و تحدّث فى إقامه الدّعوه «للسلطان كيخسرو»، و ضرب السكّه باسمه. و كان الأمراء و العسكر محاصرين «حماه»، فتوقّفت الملكه فى ذلك، و أشير عليها بموافقته على ما طلب، فأجابت و خطب له فى بوم الجمعه «.........»(۱) من سنه خمس و ثلاثين و ستمائه، على منبر حلب.

و حضر فى ذلك اليوم، الأمير «جمال الدّوله إقبال»، و صعد الرّسول إلى المنبر، و نثر الدّنانير عند إقامه الدعوه، و نثر «جمال الدوله» دنانير و دراهم، و خلع على الدعاء، و أظهر من السرور، و الاحتفال فى ذلك

۱- فراغ بالأصل.

اليوم، شى ء عظيم، فى مقابله ما أظهر «بقيصريه» من الاحتفال يوم عقد الملك الناصر.

و طال الحصار على «حماه»، و لم تكن «الملكه الخاتون» تؤثر أخذها من ابن أختها، و انما أرادت التّضييق عليه، لينزل عن طلب «معرّه النعمان».

و ضجر العسكر، فاستدعى إلى حلب المحروسه، فوصل إليها فى «.....»(۱) من سنه ست و ثلاثين و ستمائه.

و كان الملك «الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل»، بعد موت «الملك الكامل»، قد استولى على «دمشق»، و على الخزائن، التى كانت فى صحبه «الملك الكامل»؛ و يظهر الطاعه «للملك العادل» و أرسل إلى حلب، رسولا- يطلب منهم معاضدته، و انتماءه، فلم يصغوا إلى قوله، و امتنعوا أن يدخلوا بينه و بين الملك العادل.

و خاف من «الملك العادل»، فراسل الملك «الصالح أيّوب بن الملك الكامل»، و اتّفقا على أن تسلّم إلى «الملك الصالح» دمشق، و يعوّضه عنها «بالرّقه» و «سنجار» و «عانه»، فسار «الملك الصالح»، من الشّرق، و «الخوارزميّه» فى صحبته، فى جمادى الأولى.

و تقدّم الملك الصالح إلى دمشق، و تسلّمها من «الملك الجواد»، فى جمادى الآخره من سنه ستّ و ثلاثين، و أرسل إلى عمّته إلى حلب، يعرفها بذلك، و يبذل من نفسه الموافقه على ما تريده، و يطلب المساعده له،

۱- فراغ بالأصل.

و المعاضده على أخذ مصر، فأجابته بأنّها: «لا تدخل بينه و بين أخيه، و أنكما ولد أخى»، و لم تجبه إلى ما اقترح.

و سار «الملك الجواد» إلى «الرّقه»، فأخرجه «الخوارزميه» منها، و سار إلى «سنجار»، فأقام بها مدّه، و خرج إلى «عانه»، فسار بدر الدين لؤلؤ إلى سنجار، بعمله كانت له فيها، فاستولى عليها، فى شهر ربيع الأوّل، من سنه سبع و ثلاثين.

و أما الملك الصالح، فإنّه صعد إلى «نابلس»، و أقام بها، و كاتب الأمراء المصريّين، و عثر الملك العادل على قضيّتهم، فقبض الذين كاتبوه، و لم يتّفق للملك الصّالح ما أراد.

و ساق عمّه «الملك الصالح اسماعيل»، من بعلبك، «و الملك المجاهد»- صاحب حمص- منها، و دخلا «دمشق»، و ملكها «الملك الصالح»، و حصر القلعه يوما أو يومين، و فتحها، و ذلك فى شهر ربيع الأوّل، من سنه سبع و ثلاثين و ستمائه. و قبض على «الملك المغيث» ابن الملك الصّالح، و سجنه «بقلعه دمشق».

و سمع الملك الصّالح بن الكامل بذلك، فتوجّه نحو دمشق، حتى وصل إلى «العقبه»، فلم يجد معه من عسكره من ينصحه، فعاد إلى «نابلس»، فسيّر «الملك الناصر»- صاحب الكرك- و قبض عليه، و حمله مقيّدا إلى «الكرك» و سجنه بها.

و تجدّدت الوحشه بين «الملك الناصر»، و بين «الملك الصالح»،

عمّه، بسبب استيلائه على دمشق. و اتفق الملك العادل و عمّه الملك الصّالح، فاستوحش «الملك الناصر» من الملك العادل لذلك، حتى آل الأمر به إلى أن أخرج الملك الصّالح بن الكامل من سجن «الكرك»، و خرج معه، و كاتب الأمراء بمصر، فقبضوا على «الملك العادل» «ببلبيس»، فى ليله الجمعه، الثامنه من ذى القعده، من سنه سبع و ثلاثين و ستمائه، و وصل الملك الصّالح أيوب، فدخل «القاهره»، بكره الأحد الرابع و العشرين من الشهر المذكور.

و كنت إذ ذاك بالقاهره، رسولا إلى «الملك العادل»، أهنئه بكسر عسكره الافرنج على «غزّه»، و أطلب أن يسيّر عمّاته بنات «الملك العادل»، معى إلى أختهن «الملكه» إلى حلب، فاستحضرنى «الملك الصّالح أيّوب»، يوم الثلاثاء حادى عشر ذى الحجّه، و قال لى: «تقبّل الأرض بين يدى السّتر العالى، و تعرّفها أننى مملوكها، و انّها عندى فى محلّ «الملك الكامل»، و أنا أعرض نفسى لخدمتها، و امتثال أمرها فيما تأمر به»، و حمّلنى مثل هذا القول إلى «السّلطان الملك الناصر».

و نزلت من مصر، فاجتمعت بالملك الصّالح اسماعيل بن الملك العادل، فى رابع محرّم سنه ثمان و ثلاثين، و حمّلنى رساله إلى «الملكه الخاتون»، يطلب منها معاضدته، و مساعدته، على «الملك الصّالح» صاحب مصر- إن قصده، فلم تجبه إلى ذلك فى ذلك الوقت.

و كان «الخوارزميّه»، فى سنه سبع و ثلاثين، قد وضعوا أيديهم على

«أوشين»- من بلد البيره- و طمعوا فى أطراف بلد «البيره»، و استولوا على قلعه «حرّان»، حين كان «الملك الصالح» محبوسا «بالكرك»، و امتدّت أطماعهم إلى البلاد المجاوره لهم، و كثير تثقيلهم على الملك «الحافظ أرسلان بن الملك العادل»، بناحيه «قلعه جعبر»، و هو يداريهم، و يبذل لهم الأموال؛ و أطماعهم تشتدّ.

و اتّفق أنه فلج، و خاف من ولده، فأرسل إلى أخته «الملكه» بحلب يطلب منها أن تقايضه «بقلعه جعبر» و «بالس». إلى شى ء تعمل له، بمقدار «قلعه جعبر» و «بالس». فاتّفق الأمر على أن تعوّضه «بعزاز»، و مواضع تعمل بمقدار ذلك. و سيّر من حلب من تسلّم «قلعه جعبر»، فى صفر من سنه ثمان و ثلاثين و ستمائه.

و وصل «الملك الحافظ» إلى حلب، فى هذا الشّهر، و صعد فى المحفّه إلى القلعه، و اجتمع بأخته «الملكه»، و أنزل فى الدار المعروفه «بصاحب عين تاب»- تحت القلعه- و سلمت إلى نوّابه «قلعه عزاز».

فخرج الخوارزميه، عند ذلك، و أغاروا على بلد «قلعه جعبر»، و وصلوا إلى «بالس»، فأغاروا عليها، و نهبوها، و لم يسلم منها إلّا من كان خرج عنها إلى حلب و إلى منبج.

و فى هذا الشّهر، توفّى القاضى «جمال الدّين أبو عبد اللّه، محمد بن عبد الرّحمن بن علوان»- قاضى حلب- و ولّى قضاءها بعده نائبه ابن أخيه «كمال الدين أبو العبّاس، أحمد بن القاضى زين الدّين أبى محمد».

[الحروب مع الخوارزميه]

و خرج عسكر حلب إلى جهه «الخوارزميه»، و مقدّمهم «الملك المعظّم تورانشاه» بن الملك الناصر، فنزلوا «بالنّقره»، و رحلوا منها إلى «منبج»، و أقاموا بها مدّه. و تجمّع «الخوارزميه» فى حرّان، و الحلبيّون غير محتفلين بأمرهم، و عسكر حلب بعضه فى نجده «ملك الرّوم» فى مقابله «التتار»، و بعضهم فى «قلعه جعبر»، و بعضهم مفرّقون فى القلاع، مثل «شيزر»، «و حارم»، و غيرهما.

و سار الخوارزميّه، بجملتهم، فى جمع عظيم، و معهم «الملك الجواد بن مودود بن الملك الحافظ»، و «الملك الصالح» بن الملك المجاهد صاحب حمص- و كان جمعهم يزيد على اثنى عشر ألفا، و انضم اليهم الأمير «على بن حديثه» فى جموعه من العرب، و كان استوحش من أهل حلب، لتقريبهم الأحلاف.

و عبروا بجملتهم من «جسر الرّقه»، و ساروا، حتى وصلوا نهر «بوجبار»، و سمع بهم من بمنبج، من عسكر حلب، فرحلوا من منبج، و نزلوا فى وادى «بزاعا»، و أصبح كلّ واحد من الفريقين، يطلب صاحبه، و عسكر حلب لا يزيدون عن ألف و خمسمائه فارس.

و تعبّأ كلّ فريق لقتال صاحبه. و أقبل الخوارزميه- و مقدّمهم «بركه خان»- و معه «صاروخان» و «بردى خان» و «كشلو خان» و غيرهم، من أمرائهم، و الملك الجواد، و ابن الملك الحافظ، و ابن صاحب حمص، و عسكر «ماردين» نجده معهم و عبروا «نهر الذّهب». و التقى الفريقان، على

«البیره»- قریه بالوادی- فی یوم الخمیس رابع عشر، من شهر ربیع الآخر، من سنه ثمان و ثلاثین و ستمائه، فصدمهم عسکر حلب علی قلّته، صدمه، تزحزحوا لها، و تکاثر الخوارزمیه علیهم.

و جاء «علیّ بن حدیثه»، و خرج من بین البساتین، و جاء من وراء عسکر حلب، و وقع فی الغلمان، و «الرکابداریه»، و أحاطوا بهم، من جمیع الجهات، و انهزموا و هم مطبقون علیهم، و جعلوا طریقهم علی «رصیف الملکه»، الذی یأخذ من «بزاعا» إلی حلب، حتی خرجوا فیما بین «ربانا» و «تلفیتا». و الخوارزمیّه فی آثارهم یقتلون، و یأسرون، و نزلوا من جهه «اعرابیه»، و «فرفارین» و هم فی آثارهم، فقبضوا علی «الملک المعظّم»، بعد أن ثبت فی المعرکه، و جرح جراحات مثخنه، و علی أخیه «نصره الدین»، و قبضوا علی عامه الأمراء، و لم یسلم من العسکر إلّا القلیل. و قتل فی المعرکه «الملک الصالح» ابن الملک الأفضل، و ابن الملک الزّاهر، و جماعه کثیره. و استولوا علی ثقل العسکر، و نهب الأحلاف من العرب أکثر ثقل العسکر، و کانوا أشدّ ضررا علی العسکر، فی انتهاب أموالهم من أعدائهم.

و نزل «الخوارزمیّه» حول «حیلان»، و امتدّوا علی النهر، إلی «فافین»، و قطعوا علی جماعه من العسکر أموالا- أخذوها منهم، و ابتاعوا بها أنفسهم، و شربوا تلک اللیله، و قتلوا جماعه من الأسری صبرا، فخاف الباقون، و قطعوا أموالا علی أنفسهم، و زنوها فمنهم من خلص، و منهم من أخذوا منه المال، و غدروا به، و لم یطلقوه.

و اختبط «بلـد حلب»، و تقدّم إلى مقدّمى البلده بحفظ الأسوار، و الأبواب، و جفل أهل «الحاضـر»، و من كان خارج المدينه إلى المـدينه، بما قـدروا على نقله من أمتعتهم، و بقى فى البلـد الأميران: «شـمس الدّين لؤلؤ»، و «عزّ الدّين بن مجلّى»، فى جماعه، لا تبلغ مائتى فارس يركبون، و يخرجون إلى ظاهر المدينه، يتعرّفون أخبارهم.

و بثّوا سـراياهم، فى أعمـال حلب يشـنّون الغـاره فيهـا، فبلغت خيلهم إلى بلـد «عزاز»، و «تـلّ باشـر»، و «برج الرّصـاص»، و «جبل سمعان»، و «بلد الحوّار»، و «طرف العمق»، و جاؤوا أهل هذه النوحى على غفله، فلم يستطيعوا أن يهربوا بين أيديهم، و من أجفل منهم لحقـوه، فأخـذوا من المواشـى، و الأـمتعه، و الحرم، و الصبيـان، مـا لاـ يحـدّ و لاـ يوصـف، و ارتكبوا من الفـاحشه مع حرم المسلمين، ما لم يفعله أحد من الكفّار، إلّا ما سمع عن القرامطه.

ثم رحلوا إلى «بزاعا»، و «الباب»، فعذّبوا أهل الموضـعين، و استقروهم على أموالهم التى أخفوها، و استصفوها منهم. و قتلوا منهم جمـاعه، و نهبوا ما كان فيها من المتاع و المواشـى؛ و كان بعضـهم، قـد هرب إلى حلب، وقت الوقعه، بما خفّ معه من الحرم، و المتاع، فسلم.

ثم رحلوا إلى «منبج»، و قد اسـتعصم أهلها بالسّور و درّبوا المواضع التى لا سور لها، فهجموها بالسّيف، فى يوم الخميس الحادى و العشرين، من شهر ربيع الآخر، من سنه ثمان و ثلاثين، و قتلوا من أهلها خلقا كثيرا،

و خرّبوا دورها، و نبشوها، فعثروا فيها على أموال عظيمه، و سبوا أولادهم و نساءهم، و جاهروا اللّه تعالى بالمعاصى فى حرمهم، و التجأ لّمه من النّساء إلى «المسجد الجامع»، فدخلوا عليهنّ، و فحشوا ببعضهن فى المسجد الجامع، و كان الواحد منهم يأخذ المرأه، و على صدرها ولدها الرّضيع، فيأخذه منها، و يضرب به الأرض، و يأخذها، و يمضى.

و وصل الخبر بكسره عسكر حلب إلى حمص إلى «الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد»، و قد عزم على الدخول إلى بلد «الفرنج» للغاره، و عنده من عسكره و عسكر دمشق مقدار ألف فارس، فساق بمن معه من العسكر. و وصل إلى حلب فى يوم السّبت الثالث و العشرين، من شهر ربيع الآخر.

و خرج السّلطان و أهل البلد، و التقوه إلى «السّعدى»، و نزل «الهزّازه»، ثم أخليت له فى ذلك اليوم دار «علم الدّين قيصر الظّاهرى».

بمصلّى العيد العتيق- خارج «باب الرّابيه»- فأقام بها، و استقرّ الأمر معه على أن يستقدم العساكر، و تجمع، و وقع التوثّق منه، و له، بالأيمان و العهود.

و سيّرت رسولا- إلى الملك «الصالح إسماعيل بن الملك العادل» لتحليفه، فسرت، و وصلت إلى دمشق، و حلّفته فى جمادى الآخره من السّنه، و طلبت منه نجده من عسكره، زياده على من كان منهم بحلب، فسيّر نجده أخرى، و أطلق الأسرى «الداويّه»، الذين كانوا بحلب استكفاء لشرّهم.

و حين سمع «الخوارزميّه» تجمّع العساكر بحلب، عادوا من أقطاعاتهم، و تجمّعوا «بحرّان»، و عزموا على العبور إلى جهه حلب، و معاجلتهم قبل أن يكثر جمعهم، و ظنّوا أنهم يبادرون إلى صلحهم.

و كان «عليّ بن حديثه»، قد انفصل عن «الخوارزميه» و ظاهر ابن غنام، قد خدم بحلب، و أمّر فى سائر العرب، و زوّجته «الملكه الخاتون» بعض جواريها، و أقطعته أقطاعا ترضيه.

فسار «الخوارزميه»، من «حرّان»، فى يوم الاثنين سادس عشر شهر رجب، من سنه ثمان و ثلاثين و ستمائه، و تتابعوا فى الرّحيل، و وصلوا إلى «الرّقه»، و عبروا «الفرات»، و بلغ خبرهم إلى حلب، فبرز «الملك المنصور» خيمته، و ضربها شرقىّ حلب، على أرض «النّيرب» و «جبرين»، و خرجت العساكر، بخيمها حوله.

و وصل «الخوارزميّه» إلى «الفايا» ثم إلى «دير حافر» ثم إلى «الجبّول»، و امتدوا فى أرض «النّقره». و أقام «الملك المنصور»، و العسكر معه، فى الخيم، و يزك الخوارزميّه فى «تلّ عرن»، و يزك الملك المنصور على «بوشلا»، و العربان يناوشون «الخوارزميّه».

و عاث الخوارزميّه فى البلد، و أحرقوا الأبواب الّتى فى القرى، و أخذوا ما قدروا عليه، و كان الفساد فى هذه المرّه، أقلّ من المرّه الأولى.

و كان البلد قد أجفل، فلم ينتهبوا إلّا ما عجز أهله عن حمله، و تأخّر لقاء العسكر الخوارزميّه، لأنّهم لم يتكملوا العدّه، و رحل الخوارزميّه، فنزلوا

بقرب «الصافيه»، و مضوا إلى «سرمين»، و نهبوها، و دخلوا «دار الدّعوه»، و كان قد اجتمع فيها أمتعه كثيره للناس، ظنّا منهم أنّهم لاـ يجسرون على قربانها، خوفا من «الاسماعيليه»، فدخلوها قهرا، و نهبوا جميع ما كان فيها، و رحلوا إلى «معرّه النعمان» و نزل العسكر مع «الملك المنصور» على «تلّ السّلطان» ثم رحلوا إلى «الحيار».

و رحل «الخوارزميّه» إلى «كفرطاب»، و جفل البلد بين أيديهم، و أحرقوا «كفرطاب»، و ساروا إلى «شيزر»، و تحيّز أهلها إلى المدينه التى تحت القلعه، فهجموا الربض، و احتمت المدينه التى تحت القلعه يوما، ثم هجموها فى اليوم الثانى، و نهبوا ما أمكنهم نهبه.

و أرسل عليهم أهل القلعه الجروخ، و الحجاره، فقتلوا منهم جماعه وافره، و بلغهم إستعداد عسكر حلب، للقائهم، و أنّهم قد وقفوا بينهم و بين بلادهم، للقائهم، فطلبوا ناحيه «حماه»، و جاوزوها إلى جهه القبله.

فسارت العساكر الحلبيّه، لقصدهم، فقصدوا ناحيه «سلميه»، ثم توجّهوا إلى ناحيه «الرّصافه»، و بلغ خبرهم عسكر حلب، فركبوا، و طلبوا مقاطعتهم، و وقع جمع من العرب بهم، بقرب «الرّصافه»، و قد تعبت خيولهم، و ضعفت لقوه السير، و قلّه الزاد و العلف، فألقوا أثقالهم كلّها، و الغنائم التى كانت معهم من البلاد، و أرسلوا خلقا ممّن كانوا أسروه من بلد حلب، و شيزر، و كفرطاب؛ و ساروا طالبى «الرّقّه» مجدّين فى السّير، و اشتغل العرب، و من كان معهم من الجند، بنهب ما ألقوه، و وصل

«الخوارزميّه» إلى الفرات، مقابل «الرّقّه»- غربى البليل و شماليّه- بكره الاثنين خامس شعبان.

و أما الملك المنصور و عسكر حلب، فإنّهم وصلوا إلى «صفّين»، و ساقوا سوقا قويا، ليسبقوا الخوارزميّه إلى الماء، و يحولوا بينهم و بين العبور إلى «الرقه»، فوصلوا بعد وصول الخوارزميه بساعه، فوجدوا الخوارزميه قد احتموا فى «بستان البليل»، و أخذوا منها الأبواب، و جعلوها ستائر عليهم، و حفروا خندقا عليهم، فقاتلوهم إلى بعد العشاء، و أخذوا من الأغنام، التى لهم، شيئا كثيرا، و لم يكن عندهم علوفه لدوابّهم، و لا زاد لأنفسهم، فعادوا فى اللّيل إلى منزلتهم «بصفّين»، و نام جماعه من الرجاله فى «البليل»، فوقع عليه «الخوارزميّه» فقتلوهم، و عبر الخوارزميّه إلى «الرّقه»، و قد هلكت دوابّهم إلّا القليل، و أكثرهم رجّاله؛ و سروا إلى «حرّان»، و أحضروا لهم دوابّ ركبوها، و توجهوا إلى «حرّان».

و أراد «الملك المنصور» العبور من جسر «قلعه جعبر»، فلم يمكنه لقلّه العلوفه، فسار بالعساكر إلى «البيره»، و عبر من عبرها بالعسكر و الجموع.

و سار حتى نزل ما بين «سروج» و «الرّها».

و وصل الخوارزميّه ليكبسوا اليزك، فعلموا بهم، و تاهوا فى اللّيل، و ركب العسكر، فعادوا و العسكر فى آثارهم، إلى «سروج»، و لم ينالوا زبده، و وصلوا إلى «حرّان»، و جمعوا جمعا كثيرا، حتى أخذوا عوامّ «حرّان»، و ألزموهم بالخروج معهم، ليكثروا بهم السواد، و وصلوا إلى

قرب «الرّها» إلى جبل يقال له «جلهمان» و اجتمعوا عليه، و رتّبوا عسكرهم، و كثّروا سوادهم بالجمال، و عملوا رايات من القصب، على الجمال، ليلقوا الرّعب فى قلوب العسكر، بتكثير السواد.

و ركب العسكر من منزلته، بعد أن وصل رسول، من عسكر «الرّوم»، يخبر بوصوله فى النجده، بعد حطّ الخيم للرّحيل، فلم يتوقّفوا.

[البطش بالخوارزميه]

و ساروا، إلى أن وصلوا إلى «الخوارزميّه»، يوم الأربعاء الحادى و العشرين، من شهر رمضان، سنه ثمان و ثلاثين و ستمائه، و التقوا، و كسر «الخوارزميّه»، و استبيح عسكرهم، و هربوا، و العساكر فى آثارهم، إلى أن حال اللّيل بينهم و بينهم فعاد العسكر، و وصل الخوارزميّه إلى «حرّان» و أخذوا نساءهم و هربوا، و رتبوا فى قلعه «حرّان» واليا من جهه «بركه خان»، و ساروا، و وصل «الملك المنصور» و العساكر إليها، فوكّل بالقلعه من يحصرها، و ساروا خلف الخوارزميه إلى «الخابور»، و الخوارزميّه منهزمون، و ألقوا أثقالهم، و بعض أولادهم، و نزلوا فى طريقهم على «الفرات»، فجاءهم السّيل فى الليل، فأغرق منهم جمعا كثيرا، و دخلوا إلى بلد «عانه» و احتموا فيه لأنه بلد الخليفه.

و زيّنت مدينه حلب أياما لهذه البشرى. و ضربت البشائر، و وصلت أعلامهم و أسراؤهم، إلى حلب. و اعتصمت القلعه «بحرّان» أياما، ثم سلّمت إلى الحلبيّين، و أخرج من كان بها من الأمراء، من أمراء حلب و أقارب السّلطان، و بادر «بدر الدّين لؤلؤ» إلى «نصيبين»، و إلى «دارا» فاستولى عليهما، و استخلص من «دارا» عمّ السلطان الملك «المعظّم

تورانشاه»، و استدعاه إلى الموصل، و قدّم له مراكب، و ثيابا، و تحفا، كثيره، و سيّره إلى العسكر، و استولى العسكر الحلبىّ، على «حرّان»، و «سروج»، و «الرها»، و «رأس عين»، و «جملين»، و «الموزر»، و «الرقه»، و أعمال ذلك، و استولى «الملك المنصور» على بلد «الخابور» و «قرقيسيا».

و استولى نوّاب «صاحب الرّوم» على «السويداء»، بعد إستيلاء عسكر حلب عليها، لكونها من أعمال «آمد». و وصل نجده ملك الرّوم، بعد الكسره، فسيّرت إليهم الخلع، و النفقات، و ساروا إلى «آمد»، و التقوا بعساكر الرّوم، و حاصروها إلى أن اتّفقوا مع صاحبها ولد «الملك الصالح» على أن أبقوا بيده «حصن كيفا» و أعماله، و سلم إليهم «آمد». و أقام «الخوارزميه» ببلاد الخليفه، إلى أن دخلت سنه تسع و ثلاثين و ستمائه.

و خرجوا إلى ناحيه «الموصل»، و اتفقوا مع صاحبها، إلى أن أظهر إليهم المسالمه، و سلّم إليهم «نصيبين»، و اتفقوا مع الملك «المظفّر شهاب الدّين غازى» بن الملك العادل- صاحب ميافارقين- و سيّر إلى حلب، و أعلمهم بذلك، و طلب موافقته، و اليمين له، على أنه إن قصده «سلطان الرّوم» دافعوا عنه، و كان قد استشعر من جهته، فلم يوافقه الحلبيّون على ذلك، و وصل إليه «الخوارزميّه» و اتفقوا على قصد «آمد»، فبرزت العساكر من حلب، و مقدّمها الملك «المعظّم توارنشاه»، و خرجت إلى «حرّان»، فى صفر، من سنه تسع و ثلاثين، و ساروا بأجمعهم إلى آمد، و دفعوا الخوارزميه عنها، و رحلوا عنها إلى «ميّافارقين»، فأغاروا على رستاقها، و نهبوا بلدها، و اعتصم الخوارزميه بحاضرها، خارج البلد.

و وصلت العساكر و أقامت قريبا من «ميافارقين»، و جرت لهم معهم وقعات، إلى أن تهادنوا، على أن يقطع ملك «الرّوم» الخوارزميه، ما كان أقطاعا لهم فى بلاده، و أنهم يكونون مقيمين فى أطراف بلاده، و على أن الملكه «الخاتون» بحلب، تعطى أخاها الملك المظفّر، ما تختاره، من غير اشتراط عليها، و على أن يكونوا و «شهاب الدّين غازى» سلما، لمن هو داخل فى هدنتهم- و كان صاحب ماردين قد حلف للملك الناصر- و رجع العسكر الحلبى، فلم ينتظم من الأمر الّذى قرّروه شى ء، و وصل رسل الملك «المظفّر»، و رسل «الخوارزميّه». و عادوا من غير اتّفاق. و أطلق أسرى «الخوارزميه» من حلب.

و خرج «الملك المظفّر» و الخوارزميه، و وصلوا إلى بلد «الموصل».

و عاد صاحب «ماردين» إلى موافقتهم، و نزلوا على «الموصل»، و نهبوا رستاقها، و استاقوا مواشيها، ثم توجّهوا إلى ناحيه «الخابور».

و اتّفق الأمر على أن ورد «الملك المنصور»- صاحب حمص- إلى حلب. و خرج السّلطان «الملك النّاصر»، و أكابر المدينه، و التقوه إلى «الوضيحى». و وصل إلى ظاهر حلب، فى «......»(١) و نزل بدار «علم الدّين قيصر»، و جمع العساكر، و توجّه إلى بلاد «الجزيره».

و وصل «الملك المظفّر» و «الخوارزميّه»- بعد أن عبر «الملك المنصور» الفرات- إلى «رأس عين»، و اعتصم أهلها، مع العسكر الّذى كان بها،

١- فراغ بالأصل.

و كـان معهم جمـاعه، من الرّمـاه، و الجرخيه، من الفرنـج، فـأمّنوا أهلهـا، و دخلوهـا، و أخـذوا من كـان بها من العسـكر. و رحل «الملـك المنصور» و العسـكر من «الفرات» إلى «حرّان»، فعاد الملك المظفّر و الخوارزميّه إلى «ميّافارقين»، و أطلقوا من كان بها، فى صـحبتهم، من العسـكر الّذين أخذوهم من «رأس عين»، ثم توّجه «الملك المنصور» و العسـكر إلى آمد، و اجتمعوا بمن كان بها من عسكر الرّوم، و أقاموا ينتظرون وصول عساكر «الرّوم»، مع الدهليز، لمنازله «ميافارقين».

و توفّى «الملك الحافظ أرسـلان شاه»، ابن الملك العادل، بقلعه «عزاز»، و نقل تابوته إلى مدينه حلب. و خرج السّـلطان «الملك الناصـر»، و أعيـان البلـده، و صـلّوا عليه، و دفن فى «الفردوس»، فى المكـان الـذى أنشـأته أخته «الملكه الخـاتون»، و تسـلّم نواب «الملك النّاصر» قلعه «عزاز» من نوّابه من غير ممانعه، و ذلک كلّه، فى ذى الحجه، من سنه تسع و ثلاثين و ستمائه.

[ظهور التتار]

و اتفـق أن خرج «التتـار» إلى «أرزن الرّوم»، و اشـتغل «الرّوم» بهـم، و أغـاروا إلى بلـد «خرتـبرت» و خـاف «الملـك المنصـور» و العسـكر، مـن إقـامتهم فى تلـک البلاـد، و أنّهـم لاـ يـأمنون مـن كبسه من جهه «التتـار»، فعـادوا إلى «رأس عين»، فخرج «الملك المظفّر» و «الخـوارزميّه»، إلى «دنيسـر»، فخرج «الملـک المنصور» إلى «الجرجب»، و سـاروا إلى جهتهم. فوصـلهم الخـبر أنهم قد نزلوا «الخابور»، فساروا إلى جهتهم، و نزلوا «المجـدل»، و كان قـد انضاف إلى «الخوارزميّه» جمع عظيم، من «التركمان»، يقدمهم أمير يقال له

«ابن دودى»، حتّى بلغ من أمره أنّه قال للملك المظفّر: «أنا أكسرهم بالجوابنه الّذين معى». و كان عدّتهم سبعين ألف «جوبان» غير الخياله من التركمان.

و رحل «الملك المظفّر»، حتّى نزل قريبا من «المجدل»، فعلم به «الملك المنصور»، فأشار الأمير «شمس الدّين لؤلؤ الأمينى» بمبادرتهم، و الرحيل إليهم فى تلك السّاعه، فرحلوا، و وافوهم، و قد نزلوا، فى يوم الخميس، الثالث و العشرين، من صفر، من سنه أربعين و ستمائه، فركبوا، و التقى الصفّان، فما هو إلّا أن التقوا، و ولى «الملك المظفّر» منهزما، «و الخوارزميه»، و حالت الخيم بينهم و بينهم فسلّموا، و قتل منهم جماعه، و وقع العسكر فى الخيم، و الخركاهات، و بها الأقمشه و النّساء، فنهبوا جميع ما فى العسكر، و أخذوا النساء و جميع ما كان معهنّ من الأموال، و الحلىّ، و الذّهب، و لم يفلت من النساء أحد.

و نزل «الملك المنصور»، فى خيمه «الملك المظفّر» و استولى على خزانته، و على جميع ما كان فى وطاقه، و غنم العسكر من الخيل، و البغال، و الجمال، و الآلات، و الأغنام، ما لا يحصى، و بلغت الأغنام المنهوبه إلى «الموصل» و «حلب» و «حماه» و «حمص»، بحيث بيع الرأس من الغنم فى العسكر، بأبخس الأثمان، و ضربت البشائر بحلب، و زيّنت أياما سبعه، و توجّه «الملك المنصور»، و العساكر إلى حلب، و خرج السلطان «الملك الناصر» إلى «قلعه جعبر». و توجّه إلى «منبج» للقائهم، و اجتمع بهم،

فوصلوا إلى حلب، يوم الأربعاء مستهلّ جمادى الأولى، من سنه أربعين و ستمائه.

و طلع «للخاتون الملكه» قرحه فى مراق البطن، و ازداد و رمها، و حدث لها حمّى بسببها، و سار «الملك المنصور» ليله الجمعه ثالث الشهر.

و توجّه فى صحبته نجده من حلب، لتقصد بلاد الفرنج بناحيه «طرابلس»، و قوى مرض «الملكه الخاتون»، إلى أن توفّيت إلى رحمه اللّه تعالى، ليله الجمعه الحاديه عشره، من جمادى الأولى، من سنه أربعين و ستمائه. و دفنت فى الحجره بالقلعه، تجاه الصفّه، التى دفن فيها ولدها الملك العزيز- رحمها اللّه- و كان مولدها بقلعه حلب، حين كانت فى ولايه أبيها «الملك العادل»، إما فى سنه إحدى أو اثنتين و ثمانين و خمسمائه، و بلغنى أنّه كان عنده ضيف، فلمّا أخبر بولادتها، سمّاها «ضيفه» لذلك.

و أمر السّلطان «الملك الناصر» فى ملكه، و نهى باشاره وزيره «جمال الدّين الأكرم» و الأمير «جمال الدوله إقبال الخاتونى»، و علّم السلطان فى التواقيع، و أشهد عليه بتمليك الأمير «جمال الدّوله» نصف الملوحه، و الحصّه الجاريه، فى ملك بيت المال «بالناعوره». و أقرّ على نفسه بالبلوغ، و ملّك الوزير الحصّه التى بأيدى نوّاب بيت المال «تقيل» و رحاها، و جعل يجلس فى «دار العدل»، فى كلّ يوم اثنين و خميس، بعد الركوب، و ترفع إليه المظالم، و خلع على امرائه و كبراء البلد، و أقطع الأمير «جمال الدّوله» «عزاز» و قلعتها و ما كان فى يد «الملك الحافظ» بن الملك العادل، و جميع ما كان من

الحواصل، فى الأماكن المذكوره، و ذلك فى الحادى و العشرين، من جمادى الأولى من سنه أربعين و ستمائه.

و عاثت «الخوارزميّه» و «التركمان» على بلاد «الجزيره»، فخرج عسكر حلب، و مقدّمهم الأمير «جمال الدّوله» فى جمادى الآخره، و ساروا، و اجتمعوا فى «رأس عين». فتجمّع الخوارزميه، و انضووا إلى صاحب «ماردين»، و احتموا بالجبل، فوصل عسكر حلب، و نزلوا مقابلتهم، تحت الجبل، و خندقوا حولهم، و جرت لهم معهم وقعات، و تضرّر عسكر حلب، بالمقام، لقله العلوفه، إلى أن ورد «نائب المملكه بالرّوم» و هو «الأمير شمس الدّين الأصبهانى» إلى «شهاب الدّين غازى»- و إلى صاحب ماردين- و الخوارزميه، و أصلح بينهم على أن يعطى صاحب «ماردين» «رأس عين». و أرضى «ملك الروم» الخوارزميه «بخرتبرت»، و شى ء من البلاد، و الملك المظفّر غازى «بخلاط»، و توجّهت العساكر،- و «النائب الاصبهانى»، فى جملتها- و خرج السّلطان «الملك الناصر»، و تلقّاهم إلى «منبج»، و دخل «النّائب» إلى حلب، يوم السبت التاسع عشر من شوّال.

و دخل السّلطان و العسكر، يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من شوّال، و ورد مع «النّائب» أموال عظيمه، لتستخدم بها العساكر من حلب نجده، و مقدّمها «الناصح الفارسى»، فى ذى الحجه، من سنه أربعين و ستمائه، فالتقاهم السّلطان «غياث الدّين»، «بسيواس» أحسن لقاء، و أعطاهم عطاء سنيّا، و فوّض تدبير العسكر إلى «الناصح أبى المعالى الفارسى»، و فرح أهل «بلاد الرّوم»، و قويت قلوبهم بنجده حلب.

و سار «السّلطان» من «سيواس» إلى «أقشهر»(۱)، و وصله الخبر بوصول «التتار»، فسيّر بعض أمرائه، و عسكر حلب، ليكشفوهم. فوصلوا إليهم، و نشب القتال بينهم، و وقعت بينهم حملات، فانهزم «التتار»، بين أيديهم، ثم تكاثروا، و حملوا عليهم، فانكسر عسكر «الروم» و ثبت الحلبيون»، و جرى بينهم كرّات، و خرج عليهم كمينان، من اليمين و اليسار فأحدقوا بهم، فلم يسلم منهم إلّا من حمل، و خرج من بينهم، و ذلك، فى يوم الخميس، الثالث عشر من المحرّم، سنه إحدى و أربعين و ستمائه.

و انهزم ملك «الرّوم» فى الليل، ليله الجمعه، و أجفل أهل بلاد الرّوم، إلى حلب و أعمالها، و عاث «التّركمان» فى أطراف الرّوم، و نهبوا من خرج إلى الشّام(۲).

۱- على مقربه من قونيه.

۲- جاء فى نهايه هذه الصفحه من مخطوطه باريس يقول كاتبها: كتبت هذه النسخه من خط مؤلفها المولى الصاحب كمال الدين أبى حفص عمر بن أحمد بن عبد اللّه بن أبى جراده الحلبى، رحمه اللّه تعالى، و هذا آخر ما وجدته بخطه. و ذلك لإحدى عشره ليله خلت من ربيع الآخر سنه ست و سبعين و ستمائه، أحسن اللّه ختامها، و الحمد للّه، و صلاته على نبيه محمد و سلم.

الفهارس العامه

اشاره

الآیات القرآنیه

الشعر.

أعلام الجماعات.

أعلام الأفراد.

أعلام الأماکن.

الآیات القرآنیه الکریمه

الشعر

الشطر الأول/ القافيه/ رقم الصفحه

ص: ۷۱۷

أعلام الجماعات

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

ص: ۷۲۱

حرف الخاء

الخراسانيه: ۳۳۲.

الخزر: ۱۹۳- ۲۰۶- ۲۶۵.

بنو خفاجه: ۲۳۶.

الخوارزميه: ۶۶۷ - ۶۸۵- ۶۸۹ - ۶۹۰ - ۶۹۱ - ۶۹۲ - ۶۹۴ - ۶۹۵ - ۶۹۶ - ۶۹۹ - ۷۰۰ - ۷۰۱ - ۷۰۲ - ۷۰۳ - ۷۰۴ - ۷۰۵ - ۷۰۶- ۷۰۸.

حرف الدال

الداويه: ۵۷۳- ۵۷۵- ۶۲۹- ۶۶۸- ۶۸۱- ۶۸۲- ۶۹۸.

الدرزيه: ۲۱۱.

الديلم: ۱۲۴- ۱۳۲- ۲۵۴- ۳۳۲- ۳۵۴.

حرف الراء

الراونديه: ۶۹.

بنو ربيع: ۲۵۷.

الركابداريه: ۶۹۶.

الروس: ۲۰۶.

الروم: ۴۱- ۴۲- ۴۳- ۴۴- ۴۵- ۴۶- ۵۰- ۵۶- ۵۷- ۶۶- ۷۲- ۷۷- ۱۱۳- ۱۲۱- ۱۲۴- ۱۲۵- ۱۲۷- ۱۳۰- ۱۳۲- ۱۳۶- ۱۳۴- ۱۳۹- ۱۴۰- ۱۴۱- ۱۴۴- ۱۴۸- ۱۴۹- ۱۵۱- ۱۵۲- ۱۵۳- ۱۵۴- ۱۵۵- ۱۵۶- ۱۵۷- ۱۶۰- ۱۶۳- ۱۷۰- ۱۷۱- ۱۷۵- ۱۷۸- ۱۷۹- ۱۹۳- ۲۱۱- ۲۱۸- ۲۴۵- ۲۵۱- ۲۵۵- ۲۵۶- ۲۶۳- ۲۶۴- ۲۶۵- ۲۶۶- ۱۶۷- ۲۶۹- ۲۷۸- ۳۱۴- ۳۱۵- ۳۱۶- ۳۲۳- ۳۹۴- ۳۹۶- ۴۰۴- ۴۵۷- ۴۵۸- ۴۵۹- ۴۶۰- ۴۸۹- ۴۹۴- ۴۹۵- ۵۰۷- ۶۲- ۶۴۵- ۶۴۹- ۶۵۰-

حرف السين

حرف الشين

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

أعلام الأفراد

حرف الألف

ص: ۷۲۶

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزای

حرف السین

سيف الدين بن قلج ۶۴۱- ۶۴۶- ۶۴۷- ۶۵۵- ۶۵۷- ۶۶۳- ۶۷۲

سيف الدين بن عمرون ۴۴۶

حرف الشين

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

العادل بن أيوب (الملك) ٥٤٥- ٥٦١- ٥٦٢- ٥٦٣- ٥٦٤- ٥٦٥- ٥٦٦- ٥٦٨- ٥٦٩- ٥٧٠- ٥٧٢- ٥٧٩- ٥٨٥- ٥٩٧-

حرف الغین

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

المجاهد (الملك) صاحب حمص ۶۱۶- ۶۱۹- ۶۲۱- ۶۲۲- ۶۴۴- ۶۷۳- ۶۷۸- ۶۸۴- ۶۸۸- ۶۹۲

مجد الدين بن الدايه أبو بكر بن الدايه

مجد الدين بن العجمى ۶۷۰

مجد الدين أخو الفقيه عيسى ۶۱۳

محمود بن زائده ۲۳۹- ۲۴۹

محمـود بن زنکی ۴۷۲ - ۴۷۳ - ۴۷۴ - ۴۷۵ - ۴۷۷ - ۴۷۸ - ۴۷۹ - ۴۸۰ - ۴۸۳ - ۴۸۴ - ۴۸۵ - ۴۸۶ - ۴۸۷ - ۴۸۸ - ۴۸۹ - ۴۹۰- ۴۹۱ - ۴۹۲ - ۴۹۳ - ۴۹۴ - ۴۹۵ - ۴۹۶ - ۴۹۸ - ۴۹۹ - ۵۰۱ - ۵۰۲ - ۵۰۳ - ۵۰۵ - ۵۰۶ - ۵۰۷ - ۵۰۸ - ۵۰۹ - ۵۱۱ - ۵۱۲ - ۵۱۳- ۵۱۸ - ۵۱۹ - ۵۲۰ - ۵۳۲ - ۵۴۰ - ۵۴۳ - ۵۴۶ - ۵۷۱

المظفر (الملك) بن المنصور ۶۵۳- ۶۶۶- ۶۷۲- ۶۷۳- ۶۷۴- ۶۷۸- ۶۸۳- ۶۸۵- ۷۰۴

مظفر الدين جرديک ۶۵۴- ۶۶۱

مظفر الدين بن زين الدين ۵۲۵- ۵۴۰- ۵۴۲- ۵۴۳- ۵۴۴- ۵۴۵- ۵۴۷-

المنصور (الملك) بن العزيز محمد بن العزيز

المنصور (الملك صاحب ماردين) ۶۸۸- ۶۸۹

المنصور (الملك) بن المجاهد ابراهيم بن المجاهد

منصور بن محمد بن زغيب ۲۴۹

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

ص: ٧٧٧

أعلام الأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجیم

حرف الحاء

ص: ۷۸۹

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزای

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العین

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

قلعه نادر ۳۸۲- ۳۸۳- ۵۴۹

قلعه نجم ۱۰۶- ۵۵۰- ۶۱۸- ۶۲۳- ۶۳۸

قلعه هاب ۳۰۷- ۳۶۱

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

المحتوى العام

ص: ٨١٨

زنكى يحاصر دمشق ۴۶۳

ص: ۸۱۹

ص: ٨٢١

صلح الرمله ۵۹۷

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.